الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد الصديق بن يحي– جيجل–

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي:.....

مذكرة بعنـــوان :

مظاهر تعليم اللغة العربية عند العرب القدامى

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص : علوم اللسان

من إعداد الطالبتين:

- آسيـــا رزيـــق
- هالة بوحني

إشراف الأستاذة:

- حياة طكوك

لجنة المناقشة

1–الأستاذة: بدرة كعسيس	رئيسا.
2–الأستاذة: حياة طكوك	مشرفا ومقررا.
3–الأستاذة: أسماء ذنايب	عضوا مناقشا.

السنة الجامعية:

2017/2016 م - 1438/1437هـ

بسم الله الرحمان الرحيم

له الشكر أولا وآخرا على ماوفقني إليه، وما كنت لأصل لهذا

لولا أن وفقني إليه الخالق الرحمان

إلى من أنستني صحبتها وضللتني مودتها وازرتني قوتها

إلمن تعبت وسهرت الليالي وهي ترعاني وارضعتني من صبرها

الى من يصدقني قولها وإن احتد ويخلص لي نصحها وان اشتد

أميأمي فليحفظك ربي

إلى من ألبسني ثوب الاخلاق و علمني معنى الكفاح و النظال

إلى من أنار لي درب الحياة و كان لي خير سند

إلى من أتاح لي فرصة التعلم

إلى والدي الغالي حفظك الله

الى من كانو سندا في حياتي اخوتي و احواتي

فارس، وليد، محمد ،نعيمة، صبيحة، فضيلة، حنان، و نوال

الى البراعم الصغار كوثر، الاء، بدر الدين،إسحاق

إلى عمتي الغالية و زوجها

إلى من تركو في نفسي اجمل الاثر

وأروع الذكرى وذكرهم قلبي صديقاتي

هالة، امينة ،سلاف، منى، وردة، نجوى، نهاد

إلى كل الذين وقفو الى جانبي و سهلوا علي طريق البحث ولو بالكلمة،

الابتسامة، والشعور الصادق، ودعا لي بالخير ولم يتسنى ليذكرهم

أهدي لهم جميعا ثمرة جهدي و زبدة مشواري الدراسي

آسيـــا

إهداء

في الحياة لا بد

أن تتعلم كيف نبدأ أمل طريق جديد وكيف تقتنص فرص للسعادة

وتمسك بأول خيط يقودك نحو مستقبل جديد... هداء

وعلى هذا أهدي ثمرة جهدي إلى

من وهبا أنفسهما لأجلنا وسهرا الليالي والأشهر والأعوام في سبيل تحقيق أمنا،وتوفير

مايضمن راحتنا...وقاسوا من حرارة الصيف ورياح الخريف وبرد الشتاء في سبيل ايصالن

ا إلى دفئ الربيع وشمسه ونسيمه...إلى من عانوا من الظلمات ليضمنوا تعليمنا مالم

يتمكنا من تعلمه في حياتهما ولكن خبرتهما من أنارت دروبنا...إلى والدي

عمار وأمي مليكة حفظهما الله من كل سوء

إلى الإخوة والأخوات صليحة، راضية وزوجها محمد ، خالد، وداد وزوجها عبد المالك، فارس،

كنزة، مبارك ،والكتكوتة شهرة

الذين لم يبخلوا علينا بالنصح والإرشاد وخاصة وداد التي ساهمت بشكل كبير

في كتابة هذا البحث

إلى روح جدي مبارك وجدتي حدة

وعمتي عقيلة وجدي مسعود رحمهم الله وعمي مسعود وعائلته الكريمة وأولاده جميعا.

إلى خطيبي رمضان وكل عائلتهالكريمة أمه ،إخوته وأخواته.

إلى عمتي زاهية وعائلتها،إلى عمتي نسيمة وعائلتها.

إلى أخوالي وزوجاتهم وخالاتي ،وجدي وجدتي.

إلى زميلتي الفاضلة أسيا التي ساندتني في مشواري ا

لدراسي وضنت بي خيرا فلم أخيب ضنها أبدا.

إلى صديقاتي أمينة ،سلاف،منى،نجوى،نهاد،

وإلى كل الأصدقاء والأقارب وكل من ساعدني على إنجاز هذا

العمل.

جزاكم الله خيرا أجمعين.

هالة

مقدمة

مقدمة

إن لكل أمة ثقافة خاصة بها وهذه الثقافة تتصل بغيرها من الثقافات وتتفاعل معها، فتتأثر وتؤثر فيها وثقافة الأمة تكمن في هويتها التي تميزها عن باقي الأمم، بما تنظمه من آداب، وعلوم، وأعراف، واللغة العربية هي جزء لا يتجزأ من ثقافة الأمة الإسلامية، والتي أصبحت محل فخر واعتزاز لهم، فهي بمثابة لسان الحضارة العربية والذي يعبر عما فيها، وحاضرها، ومستقبلها، ونظرا للظروف الصعبة التي مرت بها اللغة، إلا أنها بقيت متماسكة.

وقد بذل العلماء جهودا كبيرة للحفاظ على مكانتها، فخصوا بتعليمها ونشرها في كل أرجاء الحضارة ولهذا أعطوا لها ولمعلميها مكانة عظيمة، فبارتقاء اللغة ترتقي الأمة، ولم تكن اللغة العربية بعيدة عن هذا الرقي في رأي العلماء والأدباء القدامى والذين عملوا على تعلمها وتعليمها، وتجسدت العملية التعليمية في ثلاثة أقطاب: المعلم والمتعلم والمادة المعرفية وهذه الأخيرة تكتسب وتعلم بطرق وأساليب يعتمدها المعلم في أماكن خاصة مرتبطة بعملية التعليم.

ومن خلال التطورات التي عرفتها عملية تعليم اللغة العربية قديما، ومالها من دور فعال في تطوير العلوم ارتأتينا أن يكون عنوان دراستنا " مظاهر تعليم اللغة العربية عند العرب القدامى " لما للغة من أثر في مساعدة المتعلم على اكتساب المهارات اللغوية وتجسيدها على أرض الواقع، كما تمكن المعلم من توصيل أفكاره ومعارفه بسهولة، ونظرا لنزول القرآن باللغة العربية، والتي حفظها الله بحفظ القرآن ، لذا كان كفيلا بنا دراسة هذا الموضوع من أجل معرفة الظروف التي مرت بها العملية التعليمية، والكيفية التي كانوا يعلمون بها لنشر العلم والمعرفة، إلى جانب الكشف عن بعض النقاط العالقة حول قضية مظاهر تعليم اللغة العربية عند القدامى، وذلك من خلال ما توصل إليه العلماء المحدثون حول التراث العربي القديم .

أثارت هذه المسألة اهتمام العلماء ومازالت تثير الكثير من التساؤلات حول كيفية تعلم اللغة، فيا ترى ما هي مظاهر تعليم اللغة العربية عند العرب القدامى؟ وماهي أهم الطرق المتبعة في مجال التعليم قديما؟ وكيف كانت نظرة العلماء للتعليم عموما واللغة العربية خصوصا؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية وجب وضع خطة، تمثلت في مقدمة وخاتمة، يتوسطهما مدخل وفصلين، كان عنوان المدخل: " المسار التاريخي للتعليم عند العرب القدامى ".

وتم الحديث فيه عن التعليم ومراحل تطوره منذ العصر الجاهلي حتى العصر الأندلسي، أما الفصل الأول فوسمناه بـ " عناصر العملية التعليمية عند العرب القدامى"، تضمن جانبا نظريا وآخر تطبيقي، وقد احتوى على ثلاثة مباحث هي: المعلم، المتعلم، المادة المعرفية، من حيث المفهوم، وصورتهم عند العرب القدامى، كجانب نظري أما الجانب التطبيقي فكانت دراستنا خاصة بمظاهرهم في أربع مدونات وهي: " المقدمة " " لابن خلدون " ، " آداب المعلمين " " لابن سحنون" ، و" آداب الدنيا والدين " " للماوردي " ، و" تعليم المتعلم طريق التعلم " "للزرنوجي " .

أما الفصل الثاني المعنون" بالمؤسسات التعليمية والطرق والأساليب المعتمدة في العملية التعليمية " فقد اشتمل أيضا على جانبين نظري وتطبيقي، حيث تضمن ثلاثة مباحث هي: المؤسسات التعليمية، وطرق وأساليب التعليم، من جانب التعريف، ومكانتهم عند العرب القدامى، ثم تم دراستهم في المدونات الأربع سابقة الذكر. أما الخاتمة، فكانت عبارة عن نقاط موجزة تحمل نتائج هذا البحث وخلاصته.

وككل البحوث فقد اعتمد هذا البحث على مناهج علمية لتكون الدراسة أكثر دقة وموضوعية فاعتمدنا المنهج التاريخي وذلك من خلال رصد مظاهر التعليم عبر مسيرتها الزمنية من العصر الجاهلي حتى الأندلسي والتي بدأ فيها الحديث عن الفترة الزمنية التي برز فيها اهتمام العرب بالتعليم عامة واللغة العربية خاصة، وقد قام هذا المنهج على إجراءات وصفية مقارنة، وذلك من خلال وصف الواقع التعليمي والمتغيرات الاجتماعية التي أثرت على التعليم في المجتمع الإسلامي، ومقارنتها بين آراء ووجهات نظر العلماء المختلفة حولها، لمعرفة نقاط الاتفاق والاختلاف فيما بينهم.

اعتمد البحث أيضا على مجموعة من المصادر والمراجع التي لا غنى عنها في إثرائه من مثل: " المقدمة " " لا بن خلدون " ، " آداب المعلمين " " لابن سحنون" ، و" أدب الدنيا والدين " " للماوردي " ، و" تعليم المتعلم طريق التعلم " "للزرنوجي " ، " التربية والثقافة العربية الإسلامية في الشام والجزيرة خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة " " لملكة أبيض" ، التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين " لعبد الله عبد الدايم "، " التربية والتعليم في الإسلام " " لمحمد أسعد طلس " ، و" إحياء علوم الدين " للغزالي"، والتربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية " " لمحمد منير مرسي ".

أما الدراسات السابقة التي عالجت مثل هذا الموضوع نجد: " مذكرة ملامح تعليمية اللغة العربية عند ابن خلدون من خلال مقدمته لـ" ربيعة باب لحاج "، والتعليم في الشام " لـ " سمية بنت محمد فرج الواقي "، فقد كانت هاتين الدراستين قريبتين نوعا ما من دراستنا ، فالأولى تحدثت عن العملية القديمة لتعلم اللغة ومقارنتها مع الدراسات اللغوية الحديثة في كتاب " مقدمة " " ابن خلدون " وهي بهذا قد خصصت مجال الدراسة على عكس دراستنا التي شملت غيره من العلماء وكان " ابن خلدون " من بينهم ، وهي بهذا قد ساعدتنا لمعرفة الجانب التعليمي عنده، أما الدراسة الثانية فقد احتوى جانبا منها على عملية التعليم ، والذي خصصته صاحبة هذه الدراسة في حيز زمني معين ، أما دراستنا فقد حاولنا من خلالها تتبع عملية التعليم عبر العصور، ونظرا لتطور العصر العباسي عن باقي الأزمنة الأخرى خصصنا مجال المدونات فيه لأنها كانت تخدم موضوعنا أكثر من كل الجوانب.

تعرض البحث في رحلته لجملة من الصعوبات والعراقيل، كضيق الوقت، وصعوبة الحصول على المدونات الأصلية ورقيا، مع قلة المراجع التي تخدم موضوعنا في مكتبتنا، وهذه طبيعة كل البحوث الجادة التي تحاول تقديم أفضل النتائج.

ونرجو أن يكون بحثنا موفقا وشاملا لجوانبه حتى يستفيد طالب العلم، كما استفدنا منه، من خلال التعرف على نظرة علماء العرب للعملية التعليمية–فليس هذا إلا جهدا صادقا، وكل جهد يحتمل الخطأ والصواب، فإن كان صوابا دعموه وإن كان خطأ صححوه والله من وراء القصد، ونسأل الله أن يجعل هذا الموضوع نواة خير ومعلمة هدى، ويسدد منا القول والعمل.

كما لا يفوتنا أن نتقدم بالشكر إلى الأستاذة المشرفة " حياة طكوك " على صبرها وتحملها مشاق هذا البحث، فكانت خير ناصح وموجه.

مدخل:

مدخل: المسار التاريخي للتعليم عند العرب القدامى:

ينحصر تاريخ البشرية الأكبر في مرحلة ما قبل التاريخ، هذه المرحلة الغامضة في أغلب جوانبها كون أحداثها لم تُدون وتناقلتها الألسن جيلا بعد جيل، وحدث نفس الأمر بالنسبة للتعليم، فقد كان شفويا قائما على أساس المراقبة والتقليد، وكانت التقاليد والمعتقدات والقيم والممارسات والمعارف المحلية المعترف بها تعبر عن طريق القصص، والأساطير، والطقوس والأغاني دون اللجوء إلى نظام الكتابة، معتمدين في هذه العملية على الاستخدامات الشعرية كالقافية، والجناس، وما كانت هذه الوسائل سوى أساليب توضيحية.

I- العصر الجاهلي[130ق.هـ-13ق.هـ]:

يعتبر العصر الجاهلي من أقدم العصور عند العرب، وما ميّز هذه الفترة أنها كانت فقيرة فكريا وثقافيا مقارنة بالعصور اليونانية، والرومانية، والفارسية كون هذه الأخيرة امتازت بطائفة من العلوم كالفلسفة و الطب والآداب، على خلاف الحياة الفكرية العربية التي ما كانت تميّزها سوى اللغة والشعر، والأمثال والقصص البسيطة وهذه لا يمكن تسميتها علوما وإنما يطلق عليها معارف وذلك لبساطتها، فالظروف التي عاشها العربي في هذه الحقبة لا تسمح بوجود علم منظم، ولا مفكرين يدونون قواعده ويثبتون مناهجه، بالإضافة إلى عدم توفر وسائل التعليم، وقد أشار الإمام "صاعد الأندلس" في كتابه " طبقات الأمم " عن شتى العلوم المنتشرة أنداك قائلا:«إن علوم العرب كانت علوم لسانها وأحكام لغتها ونظم الأشعار وتأليف الخطب والعرب أهل علم الأخبار ومعدن معرفة السير والأمصار ثم كانت لهم معرفة بأوقات مطالع النجوم ومغاربها وعلم بأنواء الكواكب وأمطارها على حسب ما أدركوه بفرط العناية وطول التجربة لاحتياجهم إلى معرفة ذلك في سبيل المعيشة لا على طريق تعلّم الحقائق ولأعلى سبيل التدرب في العلوم».[1]

مما جعل الكثير منهم ينفرون من العلم والتعليم، أمّا في وسط الجزيرة العربية حيث يقيم معظم البدو فقد انعدم العلم فيها ولم يبق منه إلا ما اكتسبه البدويون من تجارب هدتهم إليها العقول التي أخذوها في صور فردية من الأمم والقبائل المجاورة؛ كعلوم النجوم ومطالعها والطب حيث كانوا يعالجون أمراضهم ببعض النباتات الصحراوية،

[1] هدى عبد الرزاق هوبي الطائي: أصول التعليم في الإسلام للعصرين الأول والثاني، مجلة مداد الأدب، ع7، معهد إعداد معلمات،العراق، 2011، ص125.

إضافة إلى علم الأنساب والكهانة والتاريخ والجمال، ورغم ذلك فأعظم مظاهر الحياة الفكرية في الحياة الجاهلية عند العرب هي تلك اللغة التي وصلتنا بما تحمله في طياتها من أمثال وتجارب وحكم وشعر.

فالتعليم في معظم القبائل البدائية كان عبارة عما يلقيه الأولياء لأولادهم، وما يلاحظه الصغار من أعمال وسلوكات الكبار وبما أن التعليم جزء من التدريس فقد كان شفويا ينتقل من جيل لآخر وذلك سعي منهم ترسيخ القيم الثقافية والاجتماعية والدينية، فالمتعلمون كانوا يأخذون العلم بطريقة غير رسمية من الوالدين والأسرة عامة فقد ذكر "محمد عبد الرزاق شفشق" في كتابه "التربية المعاصرة طبيعتها وأبعادها الإنسانية" قائلا: «وكانت الأسرة أهم وسائل التربية عند العرب البدو الجاهلين، وقد تشاركها في ذلك العشيرة التي تجمع أفرادها أواصر النسب وروابط القرابة التي تعد صورة مكبرة للأسرة».[1]

ومع مرور الوقت أصبحوا يتلقون التعليمات العلمية في طابع رسمي منظم، وأصبح نقل العديد من المهارات التعليمية من خلال شخص ذو معرفة وثقافة بالتعليم، وبهذا بدأ التطور يظهر شيئا فشيئا داخل البيئة العربية وأصبحت التقاليد الشفوية مهمة جدّا تحفظ وتكرر في معظم المجتمعات، ولم يستمر الجهل الذي كان قائما حول ظاهرتي الكتابة والقراءة طويلا فبرزت المدارس في شكلها القانوني التي تمتاز بنظام محكم ومطبق من قبل الجميع.

ومنذ ذلك الحين ظهر ما يعرف بتعلّم الكتابة التي أصبحت أمرا لا مناص منه، وقد أسهمت هذه الأخيرة في نقل التراث وحفظه هذا من جهة، أما التعليم الرسمي في محو الأمية فقد «كان لفئة معينة من المجتمع خاصة الأثرياء منهم الذين يستطيعون دفع الأجرة لمرشديهم في المؤسسات أو الأماكن التعليمية من جهة أخرى»[2]. فالعلوم التي كانت تُدرّس في تلك الفترة محدودة تتناسب مع ثقافة بيئتهم؛ فنجد منها الأدب وفصاحة القول وروعة الجواب وكمال اللغة، هذه الأخيرة كانت قديمة قدم المجتمع الإنساني، لكنها دخلت في إطار البروز والتطور أكثر بعدما ظهرت مهارات تعليمية شغلت فكر العلماء والمفكرين المهتمين بتعليم اللغة، ومن تلك المهارات القراءة والكتابة بالدرجة الأولى لتأتي بعدها مهارة الملكة والتي تعد مهارة ثابتة تُكتسب عن طريق التعلّم لأنها تحدث بالتكرار والممارسة وفي هذا الخصوص قال "ابن خلدون" شارحا معنى الملكة:«...فالملكة الحاصلة من

---

[1] محمد عبد الرزاق شفشق: التربية المعاصرة طبيعتها وأبعادها الإنسانية، دار القلم للنشر والتوزيع ،الكويت، ط1، 1984، ص42.

[2] علوان الجشعمي: التربية والتعليم عند الجاحظ وابن رشد، مجلة الفتح، العدد31، كلية التربية، جامعة ديالي (دب)،2007،ص2.

https://ar.m.wikipedia.org.com 2016/10/24 30: Pm15 تاريخ التعليم .

التعليم في تلك المختصرات إذا تمّ على سَدَاده ولم تعقبه آفة فهي ملكة قاصرة عن الملكات التي تحصل من الموضوعات البسيطة المطولة بكثرة ما يقع في تلك التكرار والإحالة المعيدَين لحصول الملكة». [1] فاللغة العربية الفصحى أي لغة مضرّ هي ملكة مكتسبة طبيعيا بالسماع ولا تحتاج إلى معلم لينقلها للآخرين وقد فسر "ابن خلدون" القول الشائع بأن اللغة العربية طبع في العرب قائلا « وهذا معنى ما تقوله العامة من أن اللغة للعرب بالطبع، أي بالملكة الأولى التي أخذت عنهم ولم يأخذوها عن غيرهم».[2]

ومن هنا يمكن القول أن اللغة العربية هي ملكة طبيعية في نفوس العرب وليست مصطنعة، ولهذا عمل المفكرون القدامى على تثبيت منهج تسير عليه عملية التعليم لتنمو وتنتشر أكثر فصار التدرج في التعليم منهجا مطبقا على الجميع، حرصا منهم على السير الحسن لنقل المعارف والعلوم، وبعد فترة بدأت محاسن هذا المنهج تظهر شيئا فشيئا، فالتدرج في التعليم هو التقدم خطوة تلوى الأخرى نحو تعليم اللغة العربية من جيل لآخر.

II- العصر الإسلامي[13ق.هـ-41هـ]:

إن انتهاء الفترة الجاهلية أدت إلى ظهور عصرٍ كان منيرا للعقول وموقظا للنفوس، وذلك بمجيء الإسلام الذي جعل خير دين على البشرية، وكان ذلك في أوائل القرن السابع للميلاد فاعتبره العرب دين فخر واعتزاز فكانت أول حركة تعليمية ظهرت في جزيرة العرب والهدف منها هو تفهم الدّين بصورة واضحة، وعلى هذا الأساس صار صار العربي ملما بالعلم والتعلّم وحب المعرفة أكثر. وذلك رغبة في فهم ألفاظه، ومنه أصبحت مهنة التعليم أفضل وسيلة لفهم جل هذه الأمور، بالرغم من أنها كانت في بدايتها حكرا على صفوة من الخاصة، كرجال الدّين ويقال في ذلك: « وكانت مهنة التعليم في منزلة سامية نتيجة لسمو مراكز الكهنة في المجتمع في ذلك الوقت، كما كان التعليم مقصورا على تعلم رموز اللغة وفهم ما سجل بهذه الرموز من تاريخ ودين وفلك وغيرها».[3]

وقد أكّد القرآن الكريم في آيات كثيرة على أهمية التعليم وضرورته وبين فضل العلم كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [سورة الزمر- 09-]

---

[1] ابن خلدون (ولي الدين عبد الرحمن): المقدمة. تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، (دط)، (دت)، ص682.

[2] المصدر نفسه، ص711.

[3] محمد كتش: تاريخ نشأة مهنة التعليمwww.bohout madrassia.blgs pot.com 23، /2016/10، 16:30.

فتغيرت نظرة العرب لمهنة التعليم في العصر الإسلامي، لكونه يزود العقل بالمعارف والخبرات وإعداده ليكون قادرا على الفهم والاستجابة؛ أي بناء القدرات وتكوين الأطر، وتلاقي العناصر في كلّ متكامل. [1]

فمرمى التعليم في الإسلام هو إخراج الناس من الظلمات إلى النور، وبهذا أصبحت اللغة العربية لغة رسمية وتعلمها أمرا ضروريا لكونها لغة القرآن، وقد كان البني صلى الله عليه وسلم المعلم الأول فكان قدوة للمسلمين، وكل قول كان يصدر عنه يعدّ ناموسا تربويا وأخلاقيا يهتدي به المسلمون والتابعون. فحياته كانت تطبيقا للمنهج القرآني وعملا به وتفسيرا له وكان خلقه هو القرآن الكريم، وقد كانت"دار الأرقم بن أبي الأرقم" في مكّة المكرمة هي المدرسة الأولى في الإسلام وكان المعلّم الأوّل فيها هو النبي عليه أفضل السّلام، فكان القرآن الكريم والحديث النبوي منهجان اتبعتهما هذه المدرسة، أمّا طريقة التعليم فكانت قائمة على الشرح والتوضيح والتفسير والتحليل.[2]

وتعد هذه المدرسة من أوائل المؤسسات التربوية في الإسلام وكانت أشبه بكلية لإعداد الدّعاة والمفكرين والمناضلين للدعوة في سبيل الإسلام. أمّا الطّلاب الذين تلقنوا الحكمة الإسلامية في هذه المدرسة فكانوا الرسل الذين أوفدهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك ورؤساء القبائل لدعوتهم إلى الإسلام.

وبعد هجرة الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى المدينة اتخذ بها مسجدا فكان أعظم مدرسة إسلامية في تاريخ الإسلام، إذ جعله موضعًا للتعليم يعلمهم فيه تعاليم الإسلام، وقد كان هذا المسجد تطوير لنهج مدرسة الأرقم، ومن ذلك بدأت عملية التعليم المنظمة منطلقة منه، وبعد مرور الوقت أصبح المسجد منبرا تعقد فيه حلقات العلم والجدل والنّقاش وتتّم الشورى وتجتمع الأمة، وعندما اتّسعت الدّولة لتشمل الجزيرة العربية بأكملها فإنّ النبي كان يرسل معلّمين من المدينة إلى المراكز الهامة لتعليم مبادئ الدّين الجديد، وكانت تعاليم النبي تقضي بألاّ يؤدي الصّلاة إلاّ أكثر القوم علما بالسّنة وفقها بالقرآن.[3]

وقد اهتم النبي –صلى الله عليه وسلم– بتعليم القراءة والكتابة، وعيّن "سعيدا بن العاص" للقيام بذلك وهو من المعروفين بكتاباتهم الجيّدة، هذا وقد عقد النبي اتفاقا مع أسرى بدر الذين يجيدون القراءة والكتابة

---

[1] ينظر: صالح سالم باقارش، وعبد الله علي: مشاهر الفكر التربوي عبر التاريخ، دار الحارثي للنشر والتوزيع، الطائف، (دط)، 1986، ص158. نقلا عن:(هدى عبد الرزاق هوبي الطائي: أصول التعليم في الإسلام للعصرين الأول والثاني، ص129.

[2] ينظر: عبد الغني عبود: دراسة مقارنة لتاريخ التربية، دار الفكر العربي، القاهرة، دط،1968، ص205. نقلا عن:(علي أسعد وطفة): التراث التربوي للحضارة العربية الإسلامية، ص14.

[3] ينظر: ملكة أبيض: تاريخ التربية وعلم النفس عند العرب، مطبعة الإنشاء، منشورات جامعة دمشق، دمشق، سوريا، (دط)، 1982، ص9.

لإطلاق سراحهم، في مقابل ذلك تعليم كل منهم عشرة من أبناء المسلمين، كما شجّع أيضا تعليم اللغات الأجنبية وذلك لحاجته إلى مراسلين، ومن المعروف عن "زيد بن ثابت" أنّه من كتّاب الوحي قام بتعلّم الفارسية والرّومية والحبشية والآرامية، ثم تعلّم العبرية فكان خير كتّاب الرّسائل الموجهة إلى اليهود بناء على طلب من النبي.[1]

مبرزا بذلك مكانة العلم مؤكدا على التواضع والاحترام قائلا: « تعلّموا العلم وعلّموه للنّاس وتعلّموا الوقار والسكينة، وتواضعوا لمن تعلّمتم منه العلم وتواضعوا لمن علّمتموه العلم ولا تكونوا جبّارة العلماء».[2]

أمّا المعلّمون فكان كلّ واحد منهم متخصّصا في علم من العلوم خاصّة أحكام العربية وقواعدها، وكان كلّ من البلاغة والبيان أعظم وسيلتين ينافس بهما الإسلام العصر الجاهلي وبهذا بدأ التعليم يتطوّر بتطور الظروف داخل المجتمع الإسلامي.

وبعد وفاة الرّسول –صلى الله عليه وسلم – جمع القرآن الكريم رغبة في توحيد الأمّة على كتاب واحد، خاصّة بعد الأحداث التي عرفتها الدّولة الإسلامية آنذاك وكان ذلك في عهد الخلفاء الرّاشدين [من12-41هـ]. فبعد أن جمع القرآن في مصحف واحد أقبل المسلمون بعدها على جمع الحديث والاستعانة به في تفسير القرآن، ومن العلوم التي كانت منتشرة في هاته الفترة: القرآن الكريم، فقد كان الخلفاء الرّاشدون يحرصون على تعليم القرآن الكريم ويشّجعون على حفظه وذلك امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم: «أدّبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيّكم، وحب أهل بيته، وقراءة القرآن»[3].

إضافة إلى ذلك فقد انتشر علم الحديث امتدادا لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم يقول "سعد بن أبي وقّاص": «كنا نعلّم أولادنا مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم كما نعلّمهم السّور من القرآن».[4]

---

[1] ينظر: ملكة أبيض: تاريخ التربية وعلم النّفس عند العرب، ص11

[2] هدى عبد الرزاق هوبي الطائي: أصول التعليم في الإسلام للعصرين الأول والثاني، ص5.

[3] علي أسعد وطفة: التراث التربوي للحضارة العربية، مركز الرافدين للدراسات والبحوث والاستراتيجيات، الكويت، (دط)، ص05.

[4] هدى عبد الرزاق هوبي الطائي: أصول التعليم في الإسلام للعصرين الأول والثاني، ص136.

كما كان الخلفاء يحثون على تعلم اللّغة العربية، فقد كتب الفاروق إلى العرب في أذربيجان «تعلموا العرّبية فإنّها تثبت العقل وتزيد من المروءة»[1]

وقد حظت علوم أخرى باهتمام الخلفاء كالخطابة والأنساب، والطّب والحساب، وعلم التفسير والبلاغة، والمنطق والفقه، والشّعر هذا الأخير الذي كان يروى في المساجد منذ القرن **الأول للهجرة**، وقد أوصى الخليفة" عمر بن الخطاب"-رضي الله عنه - قائلا: « أرووا من الشعر أعفه، ومن الحديث أحسنه، ومن النّسب ما تواصلون عليه وتعرفون قرب رحم مجهول قد عرفت فوصل ومحاسن الشّعر تدّل على مكارم الأخلاق وتنهي عن مساويها».[2]

III- العصر الأموي[41هـ-132هـ]:

إن التحوّل الذي طرأ على الدّولة الإسلاميّة، أدّى إلى تغير نظام الحكم فيها فأصبح وراثيا، وبلغ الاحتكاك الثّقافي أوجّه مع الثقافات المجاورة خاصّة الرّومانية واليونانية، فأصبحت الدّولة الأموّية مركز إشعاع الحضارات حيث أبدى الخلفاء الأمويين اهتماما كبيرا بالعلم والتربية فتركوا تراثا في مختلف الميادين التربوية وكذا المعرفيّة حيث شجّعوا العلماء على التّعليم، فاتسّع نطاق المساجد والدّواوين فشكّلت العلوم الدينية نواة الحركة العلمية: كعلوم تفسير القرآن والحديث والفقه والقياس. فنبغ روّاة الحديث من التابعين وكان أشهرهم: "عروة بن الزبير"، "نافع بن جبير" وابن حزم الأنصاري"[3] وبهذا بدأ التعليم يتطور بعدما أبدى الأمويّون اهتماما كبيرا بالتراث الفكري اليوناني، كان الأمير "خالد بن يزيد بن معاوية" رائد الاهتمام، فأحضر من الإسكندرية جماعة من فلاسفة اليونان ممّن تفصّحوا باللّغة العربية، وأمرهم بنقل الكتب من اليونانية إلى العربية وقد أجاز بذلك الخليفة الأموي الملقّب بالخليفة "الرّاشدي الخامس" ترجمة الكتب والمؤلفات الأجنبية خاصة الطبيّة منها.[4]

وقد تميّز العصر ببروز الكتاتيب التي كانت على نوعين: أحدهما يدفع فيه الطلاّب رسوما لتعليمهم، أمّا الآخر فقد كان مجانيا خاصا بأبناء الفقراء والمحتاجين، فكانت أهّم العلوم التي تلقّن للأطفال تتمثل في: القراءة والحساب والفرائض والنحو وأشعار العرب وأيامهم، ولم تقتصر عملية التعليم داخل الدواوين والكتاتيب بل

---

[1] هدى عبد الرزاق هويي الطائي: أصول التعليم في الإسلام للعصرين الأول والثاني، ص136.

[2] المرجع نفسه، ص137.

[3] ينظر: علي أسعد وطفة: التراث التربوي للحضارة العربية الإسلامية، ص19.

[4] ينظر: المرجع نفسه، ص19.

انتقلت إلى القصور فكان الأمويّون يستدعون المعلّمون إلى القصور بغرض تعليم أبنائهم فكان التّعليم داخل القصر غير التّعليم الذي يؤخذ في الكتاتيب وباقي المؤسسات التعليمية «لأنّ التعليم كان يخضع لبرامج محدّدة ومرسومة يشارك في تحديدها كبار العلماء وجهابذة الفقهاء»[1]. وبالرغم من ذلك إلاّ أنّ بعض الخلفاء كانوا يرسلون أبناءهم إلى البادية رغبة في تعلّم لغة العرب الفصحاء بعيدا عن اللّحن والعجمة. وخير مثال على ذلك أنّ "الخليفة معاوية" قد أرسل ابنه "يزيد" إلى بادية الشّام لاكتسابه اللّغة كما أرسل الخليفة "عمر بن عبد العزيز" من قبل والده لتعلّم الفقه وأصول الدّين، فصار بعد ذلك فقيه زمانه وقدوة عصره، وقد عني الأمويّون عناية كبيرة بالمكتبات العلميّة ويعدّ بيت الحكمة الذي أنشأه "معاوية بن أبي سفيان" من أقدم الخزائن العربيّة.[2]

وبالرغم من المكانة التي وصلت إليها المعرفة العلمية بالكتاتيب والدوّاوين ظلّت المساجد تلعب دورا كبيرا في التّعليم ولا يزال المسجد الأموي بدمشق شاهدا تاريخيّا على المكانة الكبيرة التي إليها المعرفة العلمية داخل الحياة الفكرية للدّولة الأموّية.

IV- العصر العباسي[132هـ-656هـ]:

إنّ انتهاء الخلافة الأموية أدّى إلى ظهور دولة استطاعت البروز في حقبة وجيزة وهي دولة بني العبّاس، التي استمرّت خلافتها حوالي خمسة قرون من الزمن[3].فجعلت من التعليم أهم وسيلة الازدهار والرّقي من خلال الاكتشافات العلميّة، وهذا الازدهار يعود إلى تشجيع الخلفاء العبّاسيين للعلم والمعرفة ومن أمثلة أولئك: "هارون الرشيد"، "المأمون"، "المعتصم".... إلخ.

إضافة إلى الانفتاح الحدودي على الثقافات الأخرى والذي أدّى إلى تفاعل حضاري نتج عنه أعظم حضارة فكرية وعلميّة في التاريخ الإنساني، ضف إلى ذلك نشاط الترجمة من اللغات الأجنبية-الفارسية واليونانية-إلى العربية بحيث كان المترجمون يحصلون على مكافآت هذا، ومن جهة أخرى فقد استمرت رواية الحديث حيث كثر فيه التزوير، فظهرت الحاجة إلى تمحيصه وتمييز الصّحيح من الموضوع فيه وقد قام بذلك أشهر روّاة الحديث أمثال :"البخاري" و"مسلم"، "الترميذي" وكذا "السّجستاني".

---

[1] علي أسعد وطفة: التراث التربوي للحضارة العربية الإسلامية، ص20.

[2] ينظر: ملكة أبيض: تاريخ التربية وعلم النفس عند العرب، ص16.

[3] ينظر: علي أسعد وطفة: التراث التربوي للحضارة العربية، ص21.

وقد صنّفت الأحاديث فيها على حسب روّاتها، فعرفت كتبهم "بالصّحاح"، و قال الدّكتور "محمد كمال الدّين":« وطّد العلماء لأنفسهم وأصبحت بعدها مكانتهم عالية بين منزلة سامية في نفوس الحكّام والمحكومين في مجتمعهم على حدّ سواء، استنادا لما للعاطفة الدّينية من أثر جيّاش في نفوس هؤلاء وهؤلاء»[1]. ومن جهة أخرى نشطت الترجمة إلى العربية فترجم "عبد الله بن المقفع" كتابه« كليلة ودمنة» من الفارسية إلى العربية، كما ترجمت كتب أخرى في مجال الطب والفلك والأدب والفلسفة، فوضع" محمد بن موسى الخوارزمي" «أسس علم الجبر» كما ترجم "ثابت بن قرّة كتب الرياضيات والمنطق والفلك من السّريانية والعبرية واليونانية فانتقل بذلك هؤلاء العلماء بالدّرس التعليمي إلى مرحلة أعلى، ألا وهي التعليم العالي داخل المدارس والمساجد التي أصبحت بدورها من المؤسسات الهامّة في نهوض الحياة الفكرية في هذا العصر، وكان يشترط فيمن يتولّى منصب معلّم الصبيان فيها أن يكون مؤدّبا ذو أخلاق عالية إذ قال" ابن طولون":« ينبغي أن يكون صحيح العقيدة، فقد نشأ صبيان كثيرون عقيدتهم فاسدة، لأنّ فقيههم كان كذلك، ومن حقّ معلّم الصّغار ألاّ يعلّمهم شيئا قبل القرآن، ثمّ بعده حديث النبي صلى الله عليه وسلم، وعليه تمكين الصبي المميّز من كتابة القرآن في اللّوح، وحمل المصحف وهو محدث».[2]

وقد شارك المسلمون على اختلاف قومياتهم في مسيرة العلم متّخذين اللّغة العربية–لغة القرآن الكريم لهم– لغة معبّرة للعلم الذي حملوه فسميّت الفترة الأولى منه بالعصر الذهبي، وبعدها اهتّز كيان الدّولة العبّاسية حين سقطت على يد"هولاكو" عام656هـ حيث بدأت الحركة العلمية والثقافية تتراجع شيئا فشيئا حتّى انتهى عهد كبار الفقهاء، وعلى الرغم من هذا الاهتزاز ظلّ التّعليم مستمرّا فأنشأت مدارس لتدريس الفقه ومن أشهرها المدرسة النّظامية في بغداد وأصفهان؛ وهي المدرسة التي بناها "نظام الملك"[3]. كما حُوّلت بيوتهم إلى مؤسسات علمية وتربوية وهذا ما أكدّ عليه "ابن الحاج" قائلا: « أنّ على العالم صاحب البيت أن يتلقاهم ببشاشة الوجه وحسن التّلقي، إذ أنّ البيت انقباضهم بخلاف المسجد، ومن الآداب أن يكون موضع الدّرس في البيت بحيث لا يسمع فيه لأهل البيت حسّ ولا كلام».[4]

---

(1) .www.alnssabon.com10: 21 :pm ,23/10/2016

(2) ينظر: المرجع نفسه.

(3) ينظر: علي أسعد وطفة: التراث التربوي للحضارة العربية، ص23-24.

(4) ابن الحاج (أبو عبد الله محمد العبدري الفاريسي): المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات، ج2 ،دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1995، ص207.

وعلى الرّغم من ذلك عانت هذه الفترة من جمود التفكير وتراجع الفنون والعلوم هذا وقد تمّ الاقتصار على العلوم الدينية كالفقه والحديث فقط.

V- العصر الأندلسي [400هـ-479هـ]:

إلى جانب الدولة العباسية نجد الدولة الأندلسية التي أولت عناية كبيرة بالحركة العلمية، فكان كل رجل في الأندلس ينفق ما عنده من مال حتى يتعلم وذلك لشغفهم الشديد بالعلم فمن أهّم العلماء الأندلسيين الذين تميزوا بحب التعليم "عبد الرحمن الداخل"(138-172هـ)، فقد كوّن في عهده قاعدة قوية احتل بها مكانة عالية في البلاغة والأدب، حتى صار من أعظم حكام الأندلسيين، واتبع نهجه أمراء وخلفاء وملوك من الأندلسيين منهم "هشام الرضّى"(172-180هـ) ويعد هذا الأخير من أبرز الحكام وذلك لما تميزت به فترة حكمه من حماس وشجاعة قوية في مجال التعليم داخل موطنه، فمنح للفقهاء حماية وتأييدا حتى قيل عنه أنّه: «لم يقتل أحد من جنده في شيء من جيوشه، إلا وألحق ولده في ديوانه أرزاقه»[1].

وعن طريق هذا الاهتمام وصل التعليم مرحلة تطور أكثر ما كان عليه في العصور السابقة، خاصة بعد ظهور الفقيه" يحي بن يحي الليثي"(ت 234هـ)، الملقب ب"عاقل الأندلس"، فقد انتشرت المكتبات والكتب في جل انحاء البلاد، واتسعت عملية التأليف بكثرة المؤلفين واهتم عبد الرحمن الناصر بجمع الكتب وحبه لها، والذي زاد هذا العصر تميزا هو تمويل الحكام للمدارس أموالا من أجل تعليم أولاد الضعفاء والمساكين بقرطبة، وقد بلغ عدد المدارس سبعة وعشرون مدرسة مجانية بالإضافة إلى توسيع عملية صناعة الوراقة في الأندلس، الأمر الذي ساعد على انتشار الكتب وازدهار الحياة العلمية، خاصة في " غرناطة " و" طُليطلة " ضف إلى ذلك توسيع الكتاتيب من أجل تعليم الصبيان اللغة العربية وآدابها ومبادئ الدين الإسلامي وقد أورد "نايف معروف" في كتابه "خصائص العربية وطرائق تدرسيها" نصا "لابن سينا" ينصحنا ويحثنا على تلقين أطفالنا آيات القرآن الكريم وأبيات الشعر التي تحث على الفضائل وتنهى عن الرذائل وذلك حين قال في كتابه" السياسة ":« ينبغي البدء بتعلم القرآن، بمجرد تهيؤ الطفل للتلقين جسميا وعقليا...فإذا فرغ الصبي من حفظ القرآن، وألم بأصول اللغة أنظر عند ذلك في توجيهه إلى ما يلائم طبيعته واستعداده»[2].كما قال "ابن خلدون" في هذا الخصوص مدرجا المناهج الدراسية في الأندلس:« وأمّا أهل الأندلس فمذهبهم تعليم القرآن والكتاب .... وجعلوه أصلا في التعليم،

---

(1) أنور محمد زناتي: العلم والتعليم في الأندلس .www.alukah.net . 2016/10/30. pm18:00

(2) نايف محمود معروف: خصائص العربية وطرائق تدريسيها، دار النفائس للنشر، بيروت، لبنان، ط6، 2008،ص101.

فلا يقتصرون لذلك عليه فقط بل يخلطون في تعليمهم للولدان رواية الشّعر في الغالب والترسل وأخذهم بقوانين العربية وحفظها وتجويد الخط والكتابة...إلى أن يخرج الولد من عمر البلوغ إلى الشبيبة وقد شدّ بعض الشيء في العربيّة والشعر والبصر بهما وبرز في الخطّ والكتاب وتعلق بأذيال العلم على الجملة».[1]

فالأطفال كانوا يأخذون العلم منذ صغرهم، فكان المعلّم يجمع عددا محدودا من الأطفال في مكان صغير مفتوح على الشّارع يطلق عليه اسم المصريّة وبذلك لم تتغير طرق تعليم الأطفال وحتّى المادة التي كانوا يأخذونها إذ بقي القرآن الكريم هو أوّل مادة يتم تعلّمها إلى جانب قصائد من الشّعر ومقتطفات من النثر، ويدرس شيئا من النحو وقليلا من الحساب والكتابة والقراءة فكان هناك تحفيز من قبل المعلّمين على المتعلّمين الذين يحفظون القرآن الكريم دون أن يغيب عن ذاكرته حرف واحد منه هذا من جهة، وحفظ الأشعار والقصائد والحكايات والمدوّنات كمدونة "المتنبي" وغيرها من جهة أخرى، أمّا العلوم التي اشتغل عليها الأندلسيون فهي الفقه فكان الأمراء لا يهتمون إلاّ بالقضاة أمثال "هشام ابنه" و"الحكم بن هشام" فكانوا يقرّبونهم إليهم خاصة في الأوضاع السيّاسية التي عرفتها الأندلس من حروب وفتن، فكانت سمة الفقيه عندهم جليلة فكان يقال للكاتب والنحوي واللغوي فقيه، ولكنّهم من جهة أخرى درسوا علوم الإعراب واللّغة غير أنّهم لم يستقصوا هذه العلوم، وفي فترة حكم الأمير "هشام" كان هناك منجّم يعرف "بِالجِنِّي"[2]؛ قال صاحب "نفح الطّيب" عندما ذكر أنّ "هشاما" أشخصه من وطنه إلى قرطبة:« وكان في علم النجوم والمعرفة بالحركات العلمية بطليموس زمانه حذقا وإصابة».[3]

هذا ما جعل عملية التعليم تصل إلى أوج تطورها وتوسعها فقد كان العمل بالتعليم العالي مناط تقدير المجتمع واحترامه، لكون المعرفة لا تتقدم بالحفاظ عليها وإنما يتعهدها إنماء وتجديدا.[4]

وإلى هنا يمكن القول أنّ عملية التعليم قد أخذت مجرى واحد، وذلك من حيث المنهج المتبع في تقديم المادة المعرفية التي أخذت تتطور باستمرار عبر العصور، من الجاهلي بداية إلى الأندلسي نهاية، وقد تميزت الفترة الجاهلية بجملة من الخصائص ندكر منها ما يلي:

- الحياة العقلية والفكرية فيها كانت مقتصرة على علوم محدودة: كاللّغة والشعر، والأمثال، والقصص البسيطة.

---

(1) ابن خلدون: مقدمة، ص688-689.

(2) مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب، ج3، دار الكتاب العربي للنشر، بيروت، لبنان، ط6،2001، ص259.

(3) المقري (أحمد بن محمد المقري التلمساني): نفح الطّيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ج1، دار الكتاب العربي، (دب)، (دت)، ص335.

(4) أنور محمد زناتي: العلم والتعليم في الأندلس www.alukah.net 2016/10/30 . pm18:00

- التعليم كان شفويا نابعا من بعض القبائل البدائية، وكان قائما على تطوير مهارتي القراءة والكتابة، وذلك بالرغم من نقص وسائل التعليم وبساطتها.

- اتباع منهج التدرّج في التعليم و محاولة تطويره، وذلك بعد مجيئ الإسلام [13ق.م- 41هـ] وقد جاء هذا الأخير بجملة من النقاط أهمها:

- الانتقال من منهج التدرج في التعليم إلى منهج القرآن والحديث.

- تطوير المؤسسات التعليمية ودلك بظهور المساجد كمسجد قباء في المدينة ومدرسة الارقم بن أبي الأرقم في مكة

- بروز العلوم أخرى غير السالفة الذكر منها: علم التفسير، علم الحديث-وعلم البلاغة...إلخ.

- إلزامية التعليم وذلك بطلب من الرسول صلى الله عليه وسلم، كما شجع الخلفاء على تعليم علوم أخرى كالخطابة وعلم الأنساب، والطب والحساب.

- وبعد انتقال الحكم إلى الدولة الأموية [41-132هـ] تطور التعليم أكثر من حيث المهج والمادة المعرفية والمؤسسات التعليمية ويتضح ذلك فيما يلي:

- كثرة المساجد التي برزت بروزا واضحا كمؤسسات تعليمية راقية منها المسجد الأموي بدمشق، إضافة إلى الكتاتيب والدّواوين ولم يقتصر التعليم في هذه المؤسسات فقط، بل برزت القصور التي أصبحت مكانا لأخذ العلم والعرفة.

- الحفاظ على القرآن والحديث منهجان للتعليم، مع إضافة علوم جديدة كالسنن والفرائض وأشعار العرب وأيامهم.

أما الحقبة العباسية[132هـ-656هـ] فكانت الأكثر تطورا وازدهارا في جميع الميادين، فمن الناحية العقلية يمكن القول:

- أن التعليم الذي كان سائدا في هذا العصر لم يكن مقتصرا على الناحية الدينية فقط، بل شمل علوما عقلية بحسب فروعها.

- شمولية المعرفة وموسوعيتها لدى علماء هذا العصر، فنجد العالم يصنف في العلوم الدينية، والعربية، والعقلية.

- عدم اقتصار العلم ومقوماته على إقليم محدد، بل شمل جميع أراضي الخلافة العباسية.

- تراجع سن التعليم إلى ما دون 5 سنوات، كحفظ آيات القرآن الكريم وتدبر معانيه.

وعلى الرغم من التطور والصمود الذي ظهرت به الدولة العباسية إلا أن الدولة الأندلسية[400هـ-479هـ] استطاعت أخد مكانتها، فتميزت بجملة من الإيجابيات من الناحية العلمية نذكر منها:

- أعطت الدولة الأندلسية عناية كبيرة بالحركة العلمية.

- بروز علماء جدد من أهمهم عبد الرحمان الداخل وهشام الرضى، اللذان كانا سببا في تطور التعليم انتشاره.

- ظهور عملية جديدة في مجال التعليم، كانت الأولى من نوعها وهي عملية "التمويل" والتي قام بها الحكام من أجل توسيع المدارس وانتشار التعليم.

- كثرة المدارس فبلغت سبعة وعشرين مدرسة.

- اتساع نطاق التعليم بصناعة الورق، فانتشرت الكتب وتوسعت الكتاتيب.

الفصل الأول

الفصل الأول: عناصر العملية التعليمية عند العرب القدامى.

تمهيد

إن العملية التعليمية منظومة تتكامل عناصرها مع بعضها البعض، وتتكايف فيما بينها لتحقيق النتائج والغايات الموجودة التي تحدث داخل الفصل الدراسي، وقد ركزت العملية التعليمية قديما على أهمية التفاعل بين المعلم والمتعلّم فهما يمثلان قطبا هذه العملية التي لا تنجح إلاّ بهما.

وبهذا حظي المعلم منذ القدم بمكانة إنسانية واجتماعية راقية في الأواسط المتحضرة التي تقدره وتعرف فضله فكانت نظرة القدامى له نظرة تقدير وتبجيل، لكونه صاحب رسالة مقدسة وشريفة، فالمعلم هو المسؤول الوحيد عن تأديب الأولاد وتربيتهم تربية سليمة من خلال الرعاية الواعية والشاملة لنمو قدراتهم، فالقدامى لم ينظروا للمعلم نظرة ملّقن وناقل للعلوم، بل نظروا إليه نظرة صانع أجيال وناشر علوم ورائد فكر ومؤسس نهضة.

وفي مقابل المعلم نجد المتعلم الذي يمثل القطب الثاني من العملية الديداكتيكية، فهو يغطي مرحلة تعليمية بعينها تتسم بخصائص عقلية وسلوكية مخالفة بصورة واضحة لخصائص المرحلة الأخرى، كما يجب أن تتوفر لديه قدرات واهتمامات بغية اكساب المهارات اللغوية وتحلّيه بمجموعة من الاستعدادات النفسية التي تحمل خصوصيات فردية أو قدرات وتصورات ادراكية تفكيرية، فينبغي إذا على المتعلم أن يستغلّ ويوظف طاقاته النفسية والجسمية وخاصة العقلية في تعلمه حتى يكون دوره نشطا وفعالا في عملية تعلمه.

لم تنحصر العملية التعليمية في إطار المعلم والمتعلم فقط، بل تعدت الى مظهر ثابت نستطيع القول بانه الرابط بينهما، ويتمثل هذا المظهر في المادة المعرفية وهي تلك المادة المتضمنة للمحتويات اللغوية المحددة في مقررات وبرامج معدة من طرف خبراء مختصيين في شؤون العملية التعليمية وتختلف هذه المادة في محتواها من عالم الى آخر.

ومنه فالمعلم والمتعلم هما محورا الرسالة التربوية والركيزة الأهم في نجاحها، فهما يعملان على تطوير المادة المعرفية ونقلها بين الأجيال، ولهذا عمل كل العلماء على إبراز تلك العلاقة التي تجمع بين هذه المظاهر الثلاثة.

المبحث الأول: المعلم

إن العودة إلى التراث القديم بقصد إحياء مكانة المعلم ليس بالأمر الهين، وذلك لتشعب الكتب والمؤلفات القديمة في الحديث والتشدد بخصاله باعتباره المحور الأول في العملية التعليمية، فالمعلم هو المحرك، الموجه، المنشط والمرشد لهذه العملية بأساليب محكمة وهادفة وشاملة من خلال تكوينه بطريقة تؤهله للقيام بهذا الدور على أحسن وأكمل وجه.

1. التعريف بالمعلّم:

لقد تداول العلماء تعريفات عديدة للمعلم سواء في كتبهم أو في معالجهم، فاختلفوا وتباينوا في ذلك، فعرفه "ابن منظور" في معجمه " لسان العرب " في مادة علم: «من صفات الله عز وجل، العَليم والعالم والعلاّم؛ قال الله عز وجل: وهو الخلاق العليم، وقال أيضا: عالم الغيب والشهادة، وقال أيضا: علاّم الغيوب، فهو الله العالم بما كان وما يكون قبل كونه، وبما يكون ولما يكن بعد قبل أن يكون، لم يزل عالما ولا يزال عالما بما كان وما يكون ، ولا يخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء... وعليم، فعيل: من أبنية المبالغة ويجوز أن يقال للإنسان الذي علّمه الله علما من العلوم عليم»[1]،أمّا في " معجم الوسيط ": «المعلم: الملهم، الصواب والخير وجاء فيه أيضا: المعلّم هو من يتخذ مهنة التعليم، ومن له الحق في ممارسة إحدى المهن استقلالا، وكان هدا اللّقب أرفع الدراجات في نظام الصناع كالتجاريين والحدّادين»[2].

أمّا اصطلاحا: «هو المسيطر و المهيمن في الموقف التعليمي، فهو بمثابة حجر الزاوية في العملية التربوية والمساعد في تحقيق أهدافها، كما يمثّل طاقة الإبداع باعتباره أهم العناصر المدخلية في تلك المنظومة، تصلح بصلاحه وتضعف بضعفه».[3]

فالمعلم يقوم بتربية وتعليم المتعلم وذلك بتوجيهه بمجموعة من الخبرات التي اكتسبها، باستخدام طرق ووسائل مبسطة تجعل المتعلّم يتقبل ذلك بسهولة. إلى جانب هذا فهو المشرف التّربوي والرّكن الأساسي في العمليّة الدّيداكتيكيّة، وذلك للدّور المهم الذي يقوم به في تحسين أداء المتعلّمين والارتقاء بالعمليّة التعليميّة والتربوية بجميع

---

[1] ابن منظور (أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم): لسان العرب، ج10، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط4، 2005، ص 26

[2] إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، ج1، المكتبة الإسلامية للطباعة، والنشر والتوزيع، اسطنبول، تركيا 1960، ص624.

[3] مناع آمنة: أقطاب المثلث الديداكتيكي في التراث العربي على ضوء اللسانيات الحديثة، مجلة الواحات للبحوث والدراسات ع2 جامعة غرداية، الجزائر، 2014، ص3.

عناصرها، فنجاح النّظام التّعليمي يعني نجاح الحضارة وتميّزها، وللمعلّم أثر واضح ليس على أفرادها خاصة بل على المجتمع كلّه.

2. صورة المعلم عند العرب القدامى:

تضافرت جهود العلماء منذ القدم لإبراز مكانة المعلم وأهميته داخل البيئة التعليمية، فعلى الرغم من امتداد العصور لم تختلف نظرتهم إليه فكان المتصدر لعملية توصيل الخبرات والمعلومات التربوية التي اكتسبها للمتعلم بشكل مبسط تجعل المتعلّم يتقبل ذلك بسهولة، فالمعلّم جوهرة أساسية في عملية التعليم وهو قائد المجتمع الذي يقوم بتنشئة الأجيال للمستقبل.

لقد تعددت أسماء المعلم من عصر لآخر وذلك باختلاف المهام التي يؤديها، فكان الشيخ أول التسمية والقائم على تعليم القراءة والكتابة ثم تطور وصار مقرئا للقرآن، ومن مقرئ إلى شيخ مؤدب هذا الأخير الذي يجمع بين المهنتين معا – تعليم القراءة والكتابة و قراءة القرآن – ثم من شيخ مؤدب إلى معلم مؤدب وهو المعني بمهنتي التعليم والتأديب لأبناء الخلفاء وأعيان القوم في قصورهم، رغبة في الحفاظ على معاني الإسلام ومفاهيمه.[1]

حيث يقول " أحمد شلبي ": «...اشتق اسم المؤدب من الأدب إما خلفا أو رواية، وقد أطلق كلمة مؤدب على معلمي أولاد الملوك إذ كان الناحيتين....»[2]، أي أنه كان يهتم بتعليم القرآن واللغة العربية، وقد اختلفت هذه الألقاب كل حسب درجة تعمقه في العلم فنجد معلمي الكتاتيب كانوا أقل مكانة من معلمي المساجد والمدارس، فالمعلم منذ القدم يعتبر حجر الزاوية لبيئة تعليمية راقية من جميع النواحي التربوية، وذلك من خلال الدور المهم الذي يقوم به اتجاه المتعلم من تحفيزات وتشجيعات داخل مجلس التعليم، حتى يشعر المتعلّم بحماس وثقة وراحة نفسية عالية للتعليم والتعلّم، وفي هذا يقول "ابن سينا"(370هـ-427) في كتابه "السياسة ":«على مؤدب الصبي أن يكون بصيرا برياضة الأخلاق، حاذقا بتخريج الصّبيان»[3]؛ فالمعلّم في نظر المتعلّم ليس ملقّنا للمادة المعرفية فقط، بل هو معلّم ومربي ومؤدّب ومثقف، ومنه اعتبر المعلّم عصب العملية التربوية إذا غاب هذا القطب أدّى ذلك إلى انهيار هذه العملية. أعلام التراث العربي في مجال التربية والتعليم، فإنّ للمعلّم منزلة رفيعة لدى المسلمين وقد جعل الرّسول – صلى الله عليه وسلم – نفسه معلما فقال: «إنّما بعثت

---

(1) ينظر: فتيحة حداد: المفاهيم التعليمية في العصور الإسلامية الأولى-تنظير وتحليل-، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، (دت)، ص14.

(2) أحمد شلبي: تاريخ الدولة الإسلامية، موسوعة النظم والحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية،القاهرة،مصر،ط4 ،1976، ص44-45

(3) ابن سينا (أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي): السياسة، تح: علي محمد أسبر، بدايات النشر والتوزيع، (دب)، ط1، 2007،ص84.

معلّما»[1]، ومنذ ذلك الحين كانت نظرة العرب القدامى للمعلّم نظرة اجلال و واكبار، ورسموا له دستورا يوضّح مجمل المهام والأدوار والصّفات التي ينبغي التحلّي بها، وفي منزلة المعلّمين قال "الجاحظ"(159هـ-225هـ):«لو استقصيت عدد النحويين والعروضين والحساب والخطّاطين لوجدت أكثرهم مؤدّب كبار ومعلّم صغار فكم تظن إنّ وجدنا منهم من الرواة والقضاة والحكماء ومن الهواة ومن الحماة والكفاة...ومن أصحاب الرسائل والخطابة»[2] وقد أشار "الغزالي" من خلال كتابه " إحياء علوم الدّين " إلى أن مهنة التعليم ليست المهنة السهلة، لأنّ على عاتقه-المعلّم- تقع مسؤولية الطّلاب في التعليم والتعلّم، وبقدر ما هي خطيرة بقدر ما تعلي من شأن صاحبها فقال: «فمن علم وعمل بما علم فهو الذي يدعى عظيما في ملكوت السماوات فإنّه كالشمس تضيئ لغيرها، ومن اشتغل بالتعليم فقد تقلّد أمرا عظيما وخطرا جسيما فليحفظ آدابه»[3]؛ أي المعلّم يقوم بالتعليم وفقا للمنهج القديم فهو ناصح أمين وصديق حميم ومبدع، وحافز على الإبداع، لهذا اشترط عليه أن يكون لديه تكوين واستعداد للتعليم لأنّه يساهم في بناء شخصية هامة تكون أساس نهوض الأمّة وازدهارها.

إنّ تعدد الرؤى والمواقف أثار انعكاسات إيجابية منها وسلبية أدّت إلى تضارب في الأفكار بين العلماء حول صفات المعلم، شروطه وخصائصه، فكل واحد منهم رسمه في صورة مختلفة عن صورة عالم آخر ونجد هناك من عرفوا قيمة المعلم حق المعرفة، وادركوا مكانته تمام الإدراك، فأشعروا للمعلم بعظيم دورم وعلو مكانته داخل المجتمع وعقد بذلك العزم على مواصلة السير في طريق البناء والنور، وقد أوصى علماء كثر المعلم على ضرورة التدرج في تعليم الصبي وأن يبدأ معه من السهل إلى الصعب، وفي هذا قال: "الغزالي": «إن أول واجبات المربي أن يعلّم الطفل ما يسهل عليه فهمه، لأن الموضوعات الصعبة تؤدي إلى ارتباكه العقلي وتنفره من العلم »[4]، أما "ابن جماعة الكناني"(639هـ-733هـ) فقد قال :«على المعلم أن يحرص على تعليمه وتفهيمه يبذل جهده وتقريب المعنى له من غير إكثار لا يحتمله ذهنه ويوضح لمتوقف الذهن العبارة ...وعندما يكون المتعلم عادي الذكاء لا يلقى إليه ما لم يتأهل له لأن ذلك يبدد ذهنه»[5] ، فالنّاس سواسية غير أنه توجد بعض الصفات الموروثة والمكتسبة تجعلهم مختلفين.

---

[1] ينظر: مثنى علوان الجشعمي: التربية والتعليم عند الجاحظ وابن رشد، ص7.

[2] المرجع نفسه، ص7.

[3] أبو حامد الغزالي (محمد بن محمد بن محمد): احياء علوم الدّين، دار ابن حزم، (دب)، ط1، 2005،ص67-68.

[4] ينظر: المرجع نفسه ، ص70.

[5] ابن جماعة الكناني (بدر الدين أبي عبد الله محمد بن إبراهيم): تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، تح: عبد السلام عمري علي، دار الأثار للتوزيع والنشر، القاهرة، مصر، ط1، 2005، ص142.

أمّا "الفارابي" فقد أكد على «وجوب تنمية الطالب في مجال البناء الجسمي والمجال العقلي الأخلاقي وهذا ما يؤشر رؤية متكاملة لمكونات الشخصية الإنسانية بكل جوانبها المعرفية والوجدانية والمحاربة مع إيلائه الجانب العقلي اهتماما أكبر»[1] فالمعلم يجسد شخصيته من خلال رسائل تربوية علمية تعليمية يرسلها للمتعلم عن طريق التقليد والمحاكاة، حتى يشعر بها المتعلم ويكسبها في قالب تراثي أصيل.

لم تتوقف صورة المعلم لدى القدامى عند هذا الحد فقط، بل استمرت إلى حد أنهم أكدّوا على ضرورة تدين المعلم وارتباطه الوثيق بالدين والقرآن يزيد من تمسك المتعلم به، فيجب أن يكون تقيا شاكرا لله عابدا له بأداء الصلوات والعبادات فقال "الكناني": «أن يحافظ على القيام بشعائر الإسلام وظواهر الأحكام كإقامة الصلوات في مساجد الجماعات وإفشاء السلام للخواص والعوام»[2]، أمّا "ابن سينا " فقال أن من أهم صفات المعلم :«أن يكون عاقلا متدينا على علم بعلوم دينه وأصوله وإلمام بما فيه ذلك معرفة بآداب المجالسة والمآكلة والمحادثة والمعاشرة»[3]،وإلى جانب هذا نجد "الجاحظ" الذي قام بوصف المعلم بحق فقال: «ما كان عندنا بالبصرة أدرى بفنون العلم ولا أحسن بياتا من أبي الوزير وأبي عدنان المعلمين»[4]، وقال أيضا في موقف مخاطبا من يغمط حق المعلمين «وألزمت الأكابر ذنب الأصاغر وحكمت على المجتهدين بتفريط المقصرين ولو نظرت من جهة النظر علمت إن النعمة فيهم سابقة والشكر لازم واجب»[5] ،وعلى إثر هذا ميز "الجاحظ" بين مستوى المعلم الرديء والمعلم الجيد إذ قال عن المعلمين :«وهؤلاء هم الذين هجرتهم أو شكرتهم حاججتهم أو فحشت عليهم»[6] ، وبالتالي فالمعلمون درجات والدرجة تختلف باختلاف الصفات والآداب ولهذا نبه "الكناني" المعلم «بأن لا يُظهر للمتعلم تفضيل بعضهم على بعض في المودّة والاعتناء مع تساويهم في الصفات من سن أو ديانة أو فضلية، فإن ذلك ربما يوحش منه الصدر، وينفر القلب وحتى في أمر المناوبة»[7]، موقف آخر أكد "الغزالي" على الأمر نفسه فألحّ على المعلم ضرورة الشفقة على المتعلمين التي هي من وظائف وآداب التعليم فطلب المعلم أن يجريهم مجرى بنيه.

---

[1] محسن علي عطية: الكافي في أساليب تدريس اللغة العربية، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2006، ص36.

[2] ابن جماعة الكناني: تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، ص91

[3] عمر فروج : عبقرية العرب في العلم والفلسفة ،منشورات المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط3، 1980،ص182.

[4] مثنى علوان الجشعي: التربية والتعليم عند الجاحظ و ابن رشد، ص7.

[5] المرجع نفسه، ص7.

[6] المرجع نفسه، ص6.

[7] ابن جماعة الكناني: تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، ص 152 – 153.

أمّا من جانب آخر فقد اشترط العلماء على المعلم أيضا أن لا يكلف المتعلم فوق طاقته العقلية فقال "الكناني" موجها المعلم بأن لا يبدأ في تعليم طلابه حتى يجرب ذهنه ويعلم حاله، وقال: "الغزالي" على أن: «يقتصر المعلم بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقى إليه ملا يبلغه عقله فينفره أو يخبط عليه عقله»[1] وفي خصوص هذا أكد "الكناني" على أهمية المعلم ودوره الفعال في عملية التعليم وذللك لما له من أثر إيجابي كبير على تربية النشء تربية سليمة ، وساعد على تصحيح أخطائه وبناء فكره بناء سليما من حيث الأخلاق السلوكات اللتان تعتبران شخصية المتعلم ، وعلى هذا الأساس اشترط "الكناني" على المعلم العدل والمساواة، والرفق والتواضع والصبر وغيرها من الصفات التي تعود بالنفع والفائدة على المتعلم[2] ، وفي هذا المقام قال "الغزالي" موضحا مكانة المعلم باعتباره قدوة مثالية للمتعلم :«أن يكون المعلم قدوة حسنة وأن يطابق قوله فعله وأن يكون متحليا بالورع والتقوى؛ لأن أعين الصبيان غليه ناظرة و آدانهم إليه مصغية ، فما استحسن فهو عندهم الحسن وما استقبح فهو عندهم القبيح»[3]، فالمعلم هو رجل مقدام يقوم بتوجيه وإرشاد المتعلم من كل نواحي الحياة الاجتماعية الثقافية الثقافية والاجتماعية، لأن أفعاله تبرز صفاته.

من خلال هذه الصور المختلفة التي رسمها العلماء للمعلم، يتضّح جليا أن هذا الأخير هو أساس العملية التربوية وذلك من خلال المهام والأدوار التي يقوم بها كقيادة المجتمع والحفاظ على معالمه التراثية والثقافية وغيرها واتصافه بجملة من الخصائص والصفات التي انفرد بها عن بقية العلماء في المهن الأخرى.

---

[1] أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ص70.

[2] ينظر: جيهان عبد الله المحلوت، المقومات الشخصية والمهنية للمعلم في ضوء أراء بعض المربيين المسلمين ومدى تمثلها لدى معلمي المرحلة الثانوية بمحافظة غزة من جهة نظر طلبتهم، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، قسم أصول التربية، كلية التربية، لجامعة الإسلامية، غزة ، فلسطين،2007،ص16.

[3] أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ص71.

3. صورة المعلم في المدونات الأربع:

لقد بذل العلماء والباحثون والمفكرون قديما جهودا كبيرة في استنباط الشروط والصفات التي يجب على المعلم أن يتحلّى بها، فقد خصص هؤلاء فصولا وأبوابا، بل كتبا بأكملها للحديث عن هيئة المعلم وما يتعلق به ومن بينهم "ابن سحنون"،"الماوردي"، "الزرنوجي"، و"ابن خلدون".

أ- شروط المعلم:

1. ابن سحنون (202هـ-256هـ):

خصص "ابن سحنون" كتابا تحدث فيه عن المعلم والمتعلم، والذي عنونه بـ " آداب المعلّمين " وقيل عنه "المتعلّمين" أو "المعلّمين". ألفت نسخته الأولى في القرن الثالث للهجري، احتوى على اثني عشرة صفحة مكتوبة بخط جميل ودقيق، وقد كتب صاحب الكتاب العناوين الرئيسية بالحبر الأحمر، كما وُجد خط نسخي إفريقي يعود إلى القرن الثامن للهجرة، هذا الكتاب كان عبارة عن رسائل وجهها "ابن سحنون" إلى المعلمين، وتعد هذه الطبعة التي حققها "محمد العروسي المطوي" هي الطبعة الثانية التي أعيدت طباعتها بعد وفاة العلامة والمحقق الأوّل "حسن حسني عبد الوّهاب" سنة1931 بتونس، وبعد مضي الوقت وكثرة المطابع، وصل عدد نسخ الكتاب 8787 نسخة وثماني رسائل.

يعد هذا الكتاب من جملة الآثار التي كان يعتز بها قديما، فقد احتوى على اسم المحقق الأوّل في الصفحة الأولى تحقيقات "حسن حسني عبد الوهّاب" في أعلى الصفحة من جهة اليمين، وفي الوسط عنوان الكتاب و اسم المؤلف الذي جاء تحت العنوان مباشرة من جهة اليسار، وفي أقصى اليسار عبارة-طبعة جديدة بمراجعة وتعليق- تحتها اسم المحقق مباشرة "محمد العروسي المطوي".

واحتوى أيضا على مقدمة المحقق لتصدير الطبعة الثانية، ثم مقدمة الطبعة الأولى التي كانت لـ"عبد الوّهاب"، هذا إلى جانب التعريف بصاحب الكتاب، وجاء فيه أيضا لمحة تاريخية عن الكتاتيب بإفريقيا والتي تناولت تسعة محاور، تلتها مباشرة نص الرسالة الموجهة إلى المعلمين وما يجب عليهم من مهام اتجاه المتعلمين وصفات يجب التميّز بها، بحيث قسمها إلى (10) محاور فرعية، كل عنوان مختص بموضوع معين لا يخرج عن نطاق التربية والتعليم قديما، كما احتوى أيضا على الملاحق والفهارس وبلغ عدد صفحاته بذلك 195 صفحة، وهذه النسخة هي نسخة الكترونية ونظرا لقلة النسخ التراثية لم نستطع الحصول عليها ورقيا.

شدّد "ابن سحنون" على جملة من الشروط، رأى بأنها كفيلة أن يتحلى المعلم بها وهي:

أ- فضل تعليم القرآن وتعلمه:

لقد كان العلامة "ابن سحنون" دائم التنديد بتعليم القرآن وتعلمه، فكان أوّل ما أكّده في كتابه هذا هو فضل القرآن على نفسية العالم من جهة والمتعلم من جهة أخرى، وقد استشهد على ذلك بقول الرسول –صلى الله عليه وسلم–: «فضلكم من تعلم القرآن وعلمه»[1]؛ لأن في ذلك منفعة علمية تعود على صاحبها سواء من الناحية البدنية أو النّفسية، فإذا تحقق الاستقرار النفسي وجدت الروح نعيمها.

وحث "ابن سحنون" أيضا على جملة من النقاط، تعود بالنفع على المتعلم وهي من واجب المعلم القيام بها وهي:

– حث الطلاب على تعلم القرآن الكريم وإثرائهم معلوماتيا، وتطبيق قدراتهم، وقد استشهد على ذلك بقوله الرسول –صلى الله عليه وسلم–: «من تعلم القرآن في شبيبته اختلط القرآن بلحمه ودمه، ومن تعلمه في كبره وهو يتفلت منه ولا يتركه فله أجره مرتين»[2]؛ فتعلم القرآن له أجر عظيم عند الله.

– غرس الأفضلية في تدبّر معاني القرآن الكريم.

– الحرص على تعليم القرآن للغير وذلك استنادا لما جاء في قوله–صلى الله عليه وسلم–:«يرفع الله بالقرآن أقواما»[3]؛ أي القرآن هو أساس الأمة وقوامها.

تدل هذه الشروط على مكانة وقيمة القرآن عند "ابن سحنون"، من خلال حثه وتأكيده على ضرورة تعليم القرآن الكريم.

ب- العدل بين الصبيان:

يعتبر هذا الشرط من أهم الشروط التي يجب على المعلم التقيد بها، لأن المجتمع القديم قد فرض على المؤدب بالمساواة التامة بين الطّلاب سواء كانوا فقراء أو أغنياء، والتعامل معهم على أنهم سواسية إذ قال "ابن سحنون" في هذا الخصوص: «يجب العدل في التعليم، ولا يفضل فيه بعضهم على بعض ولو تفاضلوا في

---

[1] ابن سحنون (أبو عبد الله محمد بن أبي سعيد): آداب المعلمين، تح: حسن حسني عبد الوّهاب، مكتبة الفقه المالكي للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 1972، ص75.

[2] المصدر نفسه، ص81.

[3] المصدر نفسه، ص77

الجعل*إلاّ أن يبين ذلك لوليه في عقده، ويكون تفضيله في وقت غير وقت تعلمه للصبيان»[1]؛ أي لا يجوز التفريق بين غني ولا فقير فذلك يؤثر على التحصيل العلمي للمتعلم، وإذا أحسّ المعلّم بهذا التأثير عليه أن يبادر في إزالته حتى لا يتعقد هذا المتعلم نفسيا، كما يحصل عقابا عسيرا يوم القيامة مصداقا لقوله-عليه الصلاة والسلام-:«إنما مؤدب وُلِيَ ثلاثة صبية من هذه الأمة، ولم يعلمهم بالسوية، فقيرهم مع غنيهم، وغنيهم مع فقيرهم، حشر يوم القيامة مع الخائنين»[2]، هذا يعني أنّ التفريق في التعليم بين الطّلاب يؤدّي بصاحبه إلى الخيانة، فيحشره الله يوم القيامة مع الخائنين.

ج- في ختمة القرآن وما يجب للمعلم:

لم تختلف نظرة "ابن سحنون" إلى المعلم وشروطه، بل كان في كل مرة يعطي له شرطا جديدا يجعله مقيدا به، وعلى حسب تعبيره فإنّ ختمة القرآن تكون بحفظه سواء كان كله أو معظمه أو نصفه أو ثلثه أو ربعه ولا يجوز له أن يحمل المتعلم فوق ما يريد، بل يقدم له هذه المادة بالتدرج على حسب قدرته، وقد استشهد صاحب "آداب المعلمين " بقوله: «وسألته متى تجب الختمة، فقال إذا قاربها وجاوزها الثلثين؛ فسألته عن ختمة النصف، فقال لا أرى ذلك يلزم، فقال سحنون ولا يلزم ختمة غير القرآن كله ولا نصف، ولا ثلث لا ربع إلاّ أن يتطوعوا بذلك»[3] وذكر "ابن سحنون" ما يجب على المعلم في ذلك من حقوق على المتعلم فقال:[4]

- يجوز للمعلم في طلب الإذن من أولياء المتعلمين كلهم باعتباره أجيرا لهم، إذا كان هذا الإذن لا يستغرق أكثر من ساعة.

- كما يجوز للمتعلم تقديم الهدايا للمعلم في يوم الختمة وفي الأعياد، أمّا غير ذلك فلا يجوز له إلاّ بإذن الولي.

د- عطية العيد:

وجد "ابن سحنون" في قضية تكليف المتعلمين بإحضار الهدايا للمعلمين أمر غير طبيعي، بالنسبة لما يقبضه هذا العالم من أجر مقابل تعليمهم، كما يعد ذلك مخالف لما اشترطوا عليه في العقد، وبذلك يعتبر حرام فقال فيه: «ولا يحل للمعلم أن يكلف الصبيان فوق أجرته شيئا من هدية وغير ذلك، ولا يسألهم في ذلك، فإن

*يقال: الجعل هو الشرط والتفاضل في الجعل هو الاختلاف والتفاوت في الشرط.

[1] ابن سحنون: آداب المعلمين، ص49-50.

[2] المصدر نفسه، ص84-85.

[3] المصدر نفسه، ص94.

[4] ينظر: المصدر نفسه، ص95.

أهدوا إليه على ذلك فهو حرام، إلاّ أن يهدوا إليه من غير مسألة»[1]. وكما رأى أيضا[2]: الهدية المقدمة من طرف المتعلم، إذا كانت هذه الهدية من تلقاء نفسه، لا يجوز له تهديدهم ومعاقبتهم إذا لم يهدوه هدية.

ه- ما جاء في إجارة المعلم ومتى تجب:

لقد كان التعليم قديما يبنى على عقود تتم بين المعلم و ولي المتعلّم، بحيث يكون هذا العالم مقيدا به ويسير على إثره، وقد أجمعوا بذلك على أنّ الإجارة تكون على حال الصبيان؛ فمنهم الخفيف ومنهم الثقيل وقد جاء على حد تعبير "ابن سحنون" أنّ الرجل إذا استأجر لولده من يرضعه ثم مات الأب أو الصبي، فإنّ هذه الإجارة تنتقض*، وما بقي من مال الصبي يظل له إذا كان له مال، وإن مات الصبي يأخذ الأب باقي الإجارة[3] وفي هذا الخصوص استشهد "ابن سحنون" فقال: «روي عن "أشهب عن مالك" أنّه قال:" أن تلك العطية نفذت للصبي فإن مات الأب كانت للصبي، وإن مات الصبي كان ما بقي موروثا عن الصبي كأنه مال له وكذلك أجرة المعلم مثل هذا والله أعلم"»[4]، ومن أهم المبادئ التي أوردها "ابن سحنون" تحت هذا الشرط:[5]

- يجوز أن يستأجر المعلم لجماعة، وأن يفرض على كل واحد ما ينوبه إذا تراضى الآباء على ذلك.
- يجوز للمعلم قضاء حاجياته وأن ينظر في العلم أثناء أوقات فراغه؛ أي عند استغناء الصبيان عنه.
- إجازة المعلم مساعدة الصبي في ختمة القرآن وتعليمه وقراءته لتمكنه من معرفة حروفه، استنادا على عقده.
- يجوز للمعلم تعليم صبيان إذا استأجر على تعليمهم صبيان آخرين بحيث لا يضر بتعليمهم.

2- الماوردي[364-525هـ].

* التعريف بكتاب" أدب الدنيا والدين" للماوردي:

اشتهر "الماوردي" بأنّه ممثّل الفكر السياسي الإسلامي بما كتبه في هذا الميدان، غير أنّ فكره التربوي لم يحظ بالاهتمام الكافي حيث ألّف مجموعة من الكتب من بينها "أدب الدّين والدنيا "، هذا الكتاب الذي يلقى على الجانب التربوي الذي لا يستغني عنه الفرد والمجتمع في أداء الوظيفة السياسية والاجتماعية بحيث اتّسم

---

[1] ابن سحنون: آداب المعلمين، ص96.

[2] ينظر: المصدر نفسه، ص96.

* يقال: انقضى، ينقضي، انقضاء فهو منقض، وانقضى الشيء بمعنى انقضى وفنى وتنتقض بمعنى تنقطع.

[3] ينظر: المصدر نفسه، ص120.

[4] المصدر نفسه، ص121.

[5] ينظر: المصدر نفسه، ص 122-124.

عصره- وهما القرنان الرّابع والخامس- بالانقسام السياسي والصراع المذهبي، وما صاحب ذلك من الفتن والاضطرابات فحاول أن يجمع شمل الأمّة على وحدة الدّينكما يتّضح ذلك في كتابه.

يتضمن هذا الكتاب على صفحة الغلاف والتي تحتوي على عنوان الكتاب، اسم المؤلف ثم المعلّق والمحقق، دار النّشر، فبلد النشر، تليها مباشرة صفحة الواجهة الداخلية حيث احتوى على المعلومات نفسها مع ذكر رقم الطبع والسنة، اشتمل أيضا على مقدمة المترجم حيث عرض فيها "التعريف بصاحب الكتاب".

يتضمن هذا الكتاب خمسة أبواب: الباب الأول: "في فضل العلم وذم الهوى"، أمّا الباب الثاني: "أدب العلم"، الباب الثالث :"أدب الدنيا"، الباب الرابع :"في أدب النفس"، أمّا الباب الخامس: "آداب المواضعة والاصطلاح"، ولكل باب منها مجموعة من الفصول، ويكون بذلك عدد صفحاته "365 صفحة" مستشهدا في ذلك من كتاب الله عز وجّل، وسنّة رسوله صلى الله عليه وسلم ثمّ متبعا ذلك بأمثال الحكماء، وآداب البلغاء وأقوال الشّعراء. وهذه النسخة التي بين أيدينا هي نسخة إلكترونية.

يبحث هذا الكتاب في الأخلاق والآداب التي يجب أن يتمسّك بها المعلم والمتعلم في دينه ودنياه ومنطلقاته في هذا تنسجم مع الفكر الإسلامي بشكل عام، والرّكن الفقهي بشكل خاص. أمّا أهمّ الشروط الواجب توفرها عند المعلم حسب "الماوردي" تتمثل في:

أ- تواضع العلماء والمتعلمين:

لا يغفل "الماوردي" تنبيه المعلمين إلى خطورة الغرور ويؤكد ضرورة اتسّام العلماء بالتواضع، لكونه من الأخلاق التي ترفع من منزلة المعلّمين وذلك بقوله: «لأنّ التواضع عطوف والعجب منفر، وهو بكل أحد قبيح وبالعلماء أقبح لأنّ الناس بهم يقتدون وكثيرا ما بداخلهم الإعجاب لتوحّدهم بفضيلة العلم ولو أنّهم نظروا حق النظر وعملوا بموجب العلم لكان التواضع بهم أولى ومجانية العجب بهم أحرى»[1]، فالعجب يعدّ من الصفات الرذيلة خاصة إذا ارتبط بالمعلم؛ في افتخاره بالعالم فوجب عليه أن يتواضع لكونه يعدّ قدوة في نظرهم ولا يفي العلم لكثرة العجب والغرور.

إنّ التكبّر والإعجاب بالنفس ينزل من قيمته بين النّاس عامة، وبين طلاّبه خاصة ويجعله صغيرا في نظرهم وهذا ما يعبّر عن تقصيره على خلاف التّواضع قائلا: «وقلما تجد بالعلم معجب وبما أدركه منه مفتخرا إلاّ

[1] أبو الحسن الماوردي (علي بن محمد بن حبيب البصري): أدب الدنيا والدّين، تح: محمد كريم راجع، دار اقرأ، بيروت، لبنان، ط4 1985، ص82-83.

من كان فيه مقلا ومقصرا لأنّه قد يجهل قدره ويحسب أنّه نال بالدّخول فيه أكثره، فأمّا من كان فيه متوجّها ومنه مستكثرا فهو يعلم من بعد غايته والعجز عن إدراك نهايته ما يصدّه عن العجب به»[1]، ومن جهة أخرى فإنّ التكلف و الإعجاب بالنّفس يحثّ النّاس إلى الاستعاذة منه، ويدّعم "الماوردي" رأيه باستعاذة "الجاحظ" في كتابه« البيان والتبيين» حيث يقول:« اللّهم إنّا نعود بك من فتنة القول كما نعوذ بك من فتنة العمل ونعوذ بك من التّكلف لما لا نحسن كما نعوذ بك من العجب بما نحسن ونعوذ من شرّ السّلاطة والهذر كما نعوذ بك من شرّ العي والحصر»[2]،"فالجاحظ" يتعوذّ من القول وحدّته، ومن الكلام الذي لا طائل له ومن العجب، والحبسة، وعدم القدرة على الإفصاح.

ب- الاستمرار والاستكثار في طلب العلم:

يرى "الماوردي" أنّ طلب العلم لا ينتهي بمجرد التوصل والإدراك إلى غرض وهدف ما، لذلك يحثّ المعلّم إلى تجنب الإقناع في العلم لأنّ منبعه واسع بقوله: «...مستقلاّ للفضيلة منه ليزداد منها، ومستكثرا للنقيصة فيها لينتهي عنها، ولا يقتنع من العلم بما أدرك لأنّ القناعة فيه زهد، والزهد فيه ترك والتّرك له جهل»[3]. فمن رحمة الله بالإنسان أنّه لم يرزقه النّهاية في العلم، فجعل الكمال مطلبا يتشوق إليه الإنسان، وأمر بطلب العلم والاستزادة منه.

ويدعم "الماوردي" رأيه بأقوال بعض الفقهاء قائلا:« وقد قال بعض الحكماء: عليك بالعلم والإكثار منه فإنّ قليله أشبه بشيء بقليل الخير وكثيره أشبه بشيء بكثيره، ولن يعيب الخير إلاّ القلّة فأما كثرته فإنّها أمنية»[4] فوجب إذا على المعلم أن ينكّب ويجتهد في طلب العلم دون ملل أو تعب لأنّ ذلك يقرّبه إلى الله عزّ وجّل، وترفع بذلك منزلته ومكانته بين النّاس، خاصة أنّ مرتبة العلماء تأتي بعد مرتبة الأنبياء وبالتالي فالله قد اصطفاهم عن سائر البشر مستندا الإمام "الماوردي" في ذلك لقول" عبد الله بن مسعود"-رضي الله عنه- :«مَفْهُومَانِ لاَ يَشْبَعَانِ طَالِبُ عِلْمٍ وَطَالِبُ دُنْيَا أَمَّا طَالِبُ العِلْمِ فَإِنَّهُ يَزْدَادُ مِنَ الرَّحْمَنِ قُرْبَا، وَأَمَّا طَالِبُ الدُّنْيَا فَإِنَّهُ يَزْدَادُ طُغْيَانًا»[5]، فلزم على المعلم أن يطلب العلم مرضاة لله وليس لتحقيق أغراض دنيوية لأنّ ذلك يضرّه.

---

[1] أبو الحسن الماوردي: أدب الدنيا والدّين، ص84.

[2] الجاحظ (أبي عثمان عمرو بن بحر): البيان والتبيين، تح، درويش جويدى، ج1-3، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، (دط)، 2003 ص7.

[3] أبو الحسن الماوردي: أدب الدنيا والدّين، ص87.

[4] المصدر نفسه، ص87.

[5] أبو الحسن الماوردي: أدب الدنيا والدّين، ص85-86.

ج- العلم بعلمه وتجنّب قول مالا يفعل:

يؤكّد "الماوردي" على أنّ العالم أو المعلّم لابدّ له من العمل بعلمه لكونّه يعدّ قدوة للنّاس، هذا فضلا عن الأجر الذي يناله قائلا:« وليكن من شيمته العمل بعلمه وحثّ النفس على أن تأمر بما يأمر به ولا يكن ممّن قال الله تعالى فيهم: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً ﴾ سورة الجمعة -07- [1]،هذا و قد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنّه قال: «وَيْلٌ لِجِمَاعِ القَوْلِ وَيْلٌ لِلْمُصَّبِرِينَ*»[2]، فالرغبة من تعلّم العلم هو العمل به وليس التحدّث به فقد يتجّنب النّاس طلب العلم لما رأوه من قلّة الانتفاع به، فمرتبة العلم قبل مرتبة القول كما أنّ مرتبة العلم قبل العمل، ومن جهة أخرى لابدّ للمعلّم أن يتجنّب قول مالا يفعل لأنّ ذلك يضرّه، بل لابدّ أنّ يسرّ في طلب العلم وفي هذا يقول"الماوردي": «ثمّ ليجتنب أن يقول مالا يفعل، وأن يأمر بما لا يأتمر وأنّ يسرّ غير ما يظهر »[3]، ومنه وجب على المعلّم أن يعمل بقوله ولا ينقطع إلى أحدهما فيضرّه ذلك.

يعتذر "الماوردي" من تقصير المعلمين ومكرهم لما فيه أذى للنّفس ولغيرها، ويعلّل ذلك بقوله:« عذرا له في تقصيره فيضرّه وإن لم يضرّ غيره، فإنّ إعذار النّفس يغريها ويحسّن لها مساويها فإنّ من قال مالا يفعل فقد مكر ومن أمر بها لا يأتمر فقد خدع ومن أسرّ غير ما يظهر فقد نافق»[4]، ويعني هذا أنّ العالم لا يجب أن ينقطع عن العلم إلى العمل، أو ينقطع عن العمل إلى العلم لأنّ ذلك يعدّ تقصيرا: «فقد حكي عن الزّهري أنّه قال: «العلم أفضل من العمل به لمن جهل، والعمل أفضل من العلم لمن عمل، وأمّا فضل ما بين العلم والعبادة إذا لم يخلّ بواجب ولم يقصر في فرض»[5]، فينبغي إذا على المعلّم أن يعمل بعلمه ويفعل ما يقول لأنّ ذلك يعدّ من واجباته بحيث لا تتحقق الغايات الكبرى من العلم إلاّ بتطبيقاته لنفع النّاس به.

ما نلاحظه أنّ "الماوردي" لم يركّز على مستوى المعلّم من الجانب العلمي، بل تعدّاها إلى صفات المعلّم الأخلاقية التي تحتّل مكانة راقية.

---

[1] أبو الحسن الماوردي: أدب الدنيا والدّين ، ص86.

* المصّبرين: الذين يستمعون القول ولا يعملون به.

[2] المصدر نفسه، ص87.

[3] المصدر نفسه، ص89.

[4] المصدر نفسه، ص89.

[5] المصدر نفسه، ص90.

3- الزرنوجي[591هـ]:

*التعريف بكتاب "تعليم المتعلم طريق التعلّم".

هو الإمام "برهان الإسلام الزرنوجي" الذي ينسب إلى الزرنوج، عاش في الفترة ما بين أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع للهجري، ويعدّ "الزرنوجي" واحد ممّن يشار إليهم بالبنان في مجال الفقه، والعلم الشرعي والأدب والنشر، وكان ممّن أجيز له في التّعليم؛ إلاّ أنّ تراثه العلمي انحصر في كتابه التربوي القيّم «تعليم المتعلّم طريق التعلّم».

يشتمل هذا الكتاب على صفحة الغلاف والتي تضمنت بدورها على: عنوان الكتاب، اسم المؤلف، دار النشر، تليها مباشرة صفحة الواجهة الدّاخلية، والتي احتوت على رقم الطبعة، والسنة، ثمّ دار النشر وبلد النشر.

واشتمل أيضا على مقدمة والتي تطرّق فيها المؤلف إلى ذكر أسباب تأليف هذا الكتاب، والذي يتضمن هذا الكتاب على ثلاثة عشر فصلا، مستشهدا في ذلك من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، أقوال الشعراء وآداب البلغاء، أمثال الحكماء وقصص الخلفاء، وتضمّن في الصفحة الأخيرة على فهارس الموضوعات وبلغ بذلك عدد صفحاته ستّة وتسعون صفحة. كما ترجم إلى اللّغات: اللاّتينية، التركية، الفارسيّة، الفرنسية والإنجليزية وما ذلك إلاّ لشهرته وحاجة النّاس إليه، والنسخة التي تحصلنا عليها هي نسخة إلكترونية.

لقد رأى "الزرنوجي" بضرورة العودة إلى كتاب الله وسنّته، ولا يكون ذلك إلاّ عن طريق التربية والتعليم فألّف «تعليم المتّعلم طريق التعلّم» حيث يعدّ من أهمّ الكتب التي أسهمت في تحقيق هذا الهدف ضمّنه بمجموعة من الشروط والمبادئ الواجب توفّرها عند المعلّم والتي تتمثل في:

أ- المظهر اللائق:

يؤكد "الزرنوجي" في كتابه على ضرورة المظهر اللائق والحسن للمعلّم أمام متعلّميه مستشهدا بقول "أبي حنيفة" -رحمه الله-لأصحابه: « عظّموا عمائمكم ووسّعوا أكمامكم إنّما قال ذلك لئلا يستخف بالعلم وأهله»[1]. فلابدّ أن يتّصف المعلّم بالخلق الحسن مثل: النّظافة في الجسم والملبس، والسّلام على النّاس إذا وصل مجلس التّدريس لأنّ ذلك من قيم الدّين الإسلامي.

[1] برهان الاسلام الزرنوجي (تلميذ صاحب الهداية): تعليم المتعلّم طريق التعلّم، الدّار السودانية للكتب، السّودان، ط1، 2004 ،ص17.

ب- العلم الورع:

يعدّ الأستاذ أساس عمليّة التّعليم لذلك وجب عليه أن يكون ملما بقواعد التّعليم فيقول "الزرنوجي" في اختيار المعلّم: «ينبغي أن يختار الأعلم والأروع والأسن»[1]، فلابدّ أن يكون المعلّم متمكنا من علمه، والاقتدار في نقل المعرفة العالمة وتحويلها إلى متعلّمة، وطرائق التبليغ وفق استراتيجية التعليم المتمركز حول المعلّم والمتعلّم. فضلا عن ذلك يشترط "الزرنوجي" في المعلّم «أن يكون كبيرا في السن، مراكما للعلم والخبرة، راجح العقل وحكيما وازن التصرّف، يملك نظرة فاحصة للأمور، ليكون تأطيره غنيا، ومصاحبته مفيدة»[2]، لزم إذا أن يكون المعلّم مؤهّلا وقادرا على التّدريس حتّى يقوم بمهنته. هذا ولابدّ أن يكون متحكّما في نبرات صوته، فلا ترتفع أكثر من المطلوب، ولا تنخفض أقل من اللازم يقول الإمام" أبوحنيفة" في هذا الصّدد محلّلا اختياره لأستاذة: «اخترت حماد بن أبي سلمان، لأنّني وجدته شيخا، وقورا، حليما»[3]؛ على المعلّم أن يكون ذا خبرة في عمليّة التعلّيم لأنّ ذلك يساعده على تقديم المادّة المعرفية وتوصيلها بطرق مختلفة.

ج- التّواضع:

يعدّ التواضع من أهمّ الشروط الواجب توفّرها عند المعلّم، وذلك بالابتعاد عن الغرور والطمع، فالتكبّر من الخصال التي نهى عنها الإسلام أمّا التواضع فإنّه يعدّ أكبر حافز للارتقاء في عملية التعلّم، ونبذ الكبر والخجل فهما ميعاق عن التدرج في سلّم المعرفة يقول "الزرنوجي" :«وينبغي للمعلّم طالب العلم ألاّ يذل نفسه بالطمع في غير مطمع، ويتحرّر عما فيه ملذة العلم وأهله، ويكون متواضعا والتواضع بين التكبّر والمذلة والعفة» فلزم على المعلّم أن لا يتكبّر ويفتخر خلال طلبه العلم ،بل لابد أن يتواضع، فالتواضع يعدّ من الخصال الحميدة التي ندّد الإسلام بها.

د- الحلم والصّبر:

يرى "الزرنوجي" أنّ الصّبر والحلم من أهمّ الشروط التي يجب أن يتحلّى بها الأستاذ ويقول الإمام "أبو حنيفة" في هذا الصّدد معلّلا اختياره لأستاذه: « اخترت حماد بن أبي سلمان، لأنّي وجدته شيخا وقورا، حليما،

---

[1] برهان الإسلام الزرنوجي: تعليم المتعلّم طريق التعلّم، ص19-20.

[2] محمد ابراهيمي: الزرنوجي رائد التربية النشيطة: حرية المبادرة والاختيار في رسالة تعليم المتعلّم طريق التعلّم،www.oujdacity.net 2016/12/10، pm10:00.

[3] برهان الإسلام الزرنوجي: تعليم المتعلّم طريق التعلّم، ص20.

صبورا في الأمور»[1]، الصبر يعدّ من أبرز حركات بلوغ الشأو في العلم وشرط أساسي لتغلّب النّفس على الصعوبات.

4- ابن خلدون(738هـ-808هـ):

لم تتوقف الدراسات القديمة في الحديث عن مظاهر تعليم اللغة العربية، فإلى جانب "الماوردي" و"الزرنوجي" و "ابن سحنون" نجد "ابن خلدون" الذي كتب بعد هذا الأخير بما يزيد عن خمسمائة عام كتابه "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"، وتعد "المقدمة" جزئه الأوّل الذي ألّف سنة1377، وقد اعتبرت هذه الأخيرة لحقا مؤلفا منفصلا، ذي طابع موسوعي تناولت جميع ميادين المعرفة من الشريعة والتاريخ والاقتصاد والعمران والطب والسيّاسة....إلخ، كما تناول فيه أحوال البشر واختلاف طبائعهم البيئية وأثرها في الإنسان، وعند قراءة هذا المؤلف يمكن استخلاص مجموعة نظريات وأسس ومفاهيم تثبت أن "ابن خلدون" بين أن المجتمعات البشرية تسير وفق قوانين محددة.

احتوى هذا الكتاب على1000 نسخة، طبعت الطبعة الأولى منه سنة 2003 من تحقيق "محمد صديق المنشاوي" فيه تسعة أجزاء، ومنذ القدم كان هذا الكتاب قيّما لدى جميع العلماء خاصة وفي الوسط العلمي عامة، تضمنت الصفحة الأولى منه على عنوان الكتاب في وسط الصفحة من الجهة العلوية، تحتها مباشرة عدد الجزء، ثم تحتها اسم المؤلف الكامل وبين قوسين تاريخ الولادة والوفاة، وتحتها في الجهة السفلية اسم المحقق لتأتي بعدها مقدمة المحقق في الصفحة الموالية بعدها مقدمة المؤلف.

عالجت مقدمة "ابن خلدون" موضوعات متنوعة ضمن ستة أبواب، حيث أطال البابان الثالث والسادس عن البقية، وفي الأخير احتوى على فهرس الموضوعات عامة، بلغ عدد صفحاتها748 صفحة توجد هذه النسخة الكترونيا. وورقيا على شكل كتاب ضخم، غلافه الخارجي من النوع الخشن ذا لون بني، تحتوي صفحة الغلاف الخارجي على عنوان الكتاب واسم المؤلف في وسط الصفحة ثم بعدها في الأسفل في أقصى اليمين اسم المحقق، وفي أقصى اليسار دار النشر، أمّا الجهة الثانية فتحتوي الصفحة على منشورات دار النشر "الفضيلة".

وبهذا الكتاب حقق "ابن خلدون" شهرة عالمية لم يحققها عالم آخر من علماء عصره أو عصور أخرى.

[1] برهان الإسلام الزرنوجي: تعليم المتعلّم طريق التعلّم، ص20.

لم يختلف "ابن خلدون" في الحديث عن شروط المعلم عن بقية العلماء، بل سار على دربهم أحيانا وخالفهم أحيانا أخرى ومن أهمّ هذه الشروط التي رأى أنّها من واجب العالم التقيّد بها نجد:

أ- الإحاطة بمبادئ التعليم وعدم الشدّة على المتعلّمين:

إن نظرة القدامى إلى المعلم، لم تتغير من إلى آخر وإنما كان واحد منهم يعطي رأيا مخالفا عن الرأي الثاني ولهذا وجد "ابن خلدون" أن الإحاطة بمبادئ التعلّيم وعدم الشدّة على المتعلمين من أولى الشروط التي من واجب العالم التقيّد بها لأن ارهاق المتعلّم والتعصّب عليه مضرّة به فقال: «وذلك أن إرهاق الحد بالتعليم مضر بالمتعلم سيما في أصاغر الولد لأنّه من سوء الملكة، ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم سطا به القهر، وضيق على النفس في انبساطها، وذهب بنشاطها، ودعاه إلى الكسل»[1] ؛ فالمعلم في نظر "ابن خلدون" يجب أن يكون ذا ثقافة واسعة، حتى يفيد المتعلم بأفكاره ومعارفه ويبتعد عن الوقوع في قبضة القهر والتعسف، لأنّ ذلك يؤدّي إلى انهيار أولاد الأمّة ومستقبلها فقال في هذا الخصوص:« وانظره في اليهود وما حصل بذلك فيهم من خلق السوء، حتى إنّهم يوصفون في كل أفق وعصر بالحرج، ومعناه في الاصطلاح المشهور: التخابث والكيد وسببه: ما قلناه »[2] ؛ وهذا معناه أن الشدّة والتعسّف يخلق لدى المتعلم صفات غير خلقية ذميمة، ويندفع إلى الركون والكسل ويتظاهر بغير ما في عقله من مشاعر الذل والجبن والخوف وضعف الشخصية ومنه يجب على المتعلّم اختيار طريقة حسنة أثناء معاملته له فقال:« فينبغي للمعلم في متعامله والوالد في ولده أن لا يستبدا عليهما في التأديب»[3] ؛ أي على معلم أن يكون وصيا على متعلمه في كل شيئ داخل مجلس العلم، من أدب وخلق وحسن علم، فيبسط له المسائل من فروع وأصول حتّى يكون هذا التعليم ناجحا يسير على منهج ثابتا ويستوعب هذه المسألة فقال "ابن خلدون": «إن فهم المسألة الواحدة من الفن الواحد ووعيها مشترك بين من شدا في ذلك الفن وبين من هو مبتدئ فيه، وبين العامي الذي لم يعرف علما وبين العالم الحرير» [4]، وكل هذا يدل على أنّ التعليم عند "ابن خلدون" صناعة كباقي الصنائع الأخرى التي تؤكد على أنّ نجاحها وفشلها مرتبطان بالقائمين عليهما.

---

[1] ابن خلدون: مقدمة، ص 691.

[2] المصدر نفسه، ص 691.

[3] المصدر نفسه، ص 691.

[4] المصدر نفسه،ص517.

ب- الإيجاز المفيد في تقديم المسائل العلمية وحسن الانتقاء:

دعا "ابن خلدون" من خلال كتابه «المقدمة» المعلم إلى عدم الاستكثار من العلوم الألية التي تكون صعبة الفهم والانجاز على المتعلم وتتطلب منه التعمق في البحث، كما نبه إلى عدم الاختصار المخل أو التوسع الممل خاصة في مسائل علم النحو الذي يعد الاشتغال بها لغوا، لأنّ الهدف الأسمى من النحو هو معرفة صواب الكلام من خطئه فقال:« ذهب الكثير من المتأخرين إلى اختصار الطرق والأنحاء في العلوم يولعون بها ويدنون منها برنامجا مختصرا في كل علم يشتمل على حصر مسائله وأدلتها باختصار في الألفاظ وحشوا القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن وصار ذلك مخلا بالبلاغة وعسيرا على الفهم» [1]، واستنادا إلى هذا القول فإن "ابن خلدون" يحث على ضرورة التقيّد ببرنامج مختصر من حيث الحشو في الألفاظ ومعانيها.

وإلى جانب هذا فإن "ابن خلدون" ذكر جملة من المسائل التي تخص عملية تقديم المادة المعرفية وهي:

- عدم الانتقال من مسألة عملية إلى مسألة أخرى قبل فهم واستيعاب الأولى، والتأكد على أن المتعلم قد استوعبها فقال: «ومن المذاهب الجميلة والطرق الواجبة في التعليم أن لا يخلط على المتعلمين علمان معا....لما فيه من تقسيم البال وانصرافه عن كل واحد منهما» [2]؛أي الخلط بين العلمين من شأنه أن يؤدّي إلى خيبة الأمل لدى المتعلم.
- اثبات "ابن خلدون" لضرورة فهم المعلم لطبيعة المتعلم النفسية وحثّه على فهم المسائل تدريجيا، لأنّ في ذلك تحفيز وتشجيع على الفهم والاستيعاب.
- التركيز على الأمثال الحسية في تعليم الأحداث وشرحها، ولا وجود لمجال المعقولات فأوّل ادراك للمتعلّم ينشئ عن الحس
- مراعاة الاستعدادات الناجمة عن توليد غايات وأهداف ينشئها المتعلم داخله بغية تحقيق مخيلته العقلية من هذا العلم.

وفي خصوص هذا قال "ابن خلدون": «فإنّ قبول العلم والاستعدادات لفهمه تنشأ تدريجيا، ويكون المتعلم عاجزا عن الفهم بالجملة، إلاّ في الأقل، وعلى سبيل التقريب والإجمال، وبالأمثال الحسية، ثمّ لا يزال الاستعداد فيه يتدرّج قليلا قليلا بمخالفة مسائل ذلك الفن وتكرارها عليه، والانتقال من التقريب إلى الاستيعاب

---

[1] ابن خلدون: مقدمة، ص 682.

[2] المصدر نفسه، ص 684.

الذي فوقه حتّى تتم الملكة في الاستعداد ثمّ في التحصيل»[1]؛ وعليه من واجب العالم الوصول إلى عقل المتعلّم ومعرفة تفكيره.

II- صفات المعلم وآدابه:

لم تخل الكتب التراثية في الحديث عن صفات العالم وآدابه اتجاه المتعلم، فقد ألحّ كل عالم من هؤلاء العلماء على ضرورة تقيد العالم بمجموعة من القيود، لعلها تكون السبيل الوحيد على تأدب المتعلم وتخلقه، لأنّ هذا الأخير يسير على دربه وسبيله.

1-عند ابن سحنون

إلى جانب ما ذكره "بن سحنون" من خلال مؤلفه "آداب المعلمين"، حول أهم الشروط التي من واجب المعلم الأخذ بها في مشواره التعليمي والتربوي، نجده أيضا قد خصص جزءا من هذا الكتاب تناول فيه جملة من الصفات أو الآداب التي يتصف بها هذا العالم ندكر منها:

أ-ما يكره محوه من ذكر الله تعالى:

من خلال الاطّلاع على كتاب "آداب المعلمين" نجد بأنّ "بن سحنون" قد رأى من آداب العالم هو إرشاد المتعلمين ونصحهم، بطريقة قراءة القرآن ومحوه، فكان محو القرآن المنزل على الألواح بغير الماء الطّاهر، لأنّ في ذلك تنزيل من قيمته وشأنه، وقد استشهد "ابن سحنون" في هذا الخصوص قائلا: «حدثني محمد بن عبد الرحمان، عن عبد الله ابن سعيد عن زيد بن ربيع، عن بشر بن حكيم، عن سعيد بن هارون، عن انس بن مالك قال: إذا محت صبية الكتّاب "تنزيل من رب العالمين" من ألواحهم بأرجلهم نبد المعلم إسلامه خلف ظهره، ثمّ لم يبال حين يلقى الله على ما يلقاه عليه»[2]؛ أي على المعلم تأديب المتعلم وتعليمه تقدير كلام الله، وبذلك ذكر جملة من الشروط التي يجب اتباعها عند محو كلام الله وهي:[3]

- يجوز للمتعلم احضار الماء الطاهر لمحو الألواح في الاجانة*التي تكون بحوزة العالم.
- يمكن للمتعلم باللّعط**، وألا يمسح بالرجل ويمسح بالمنديل أو ما شابهه.

---

[1] ابن خلدون: مقدمة، ص683.

[2] ابن سحنون: آداب المعلمين، ص86.

[3] ينظر: المصدر نفسه، ص86-88.

وكما جاء على لسان "أنس" حول تفسيره في الطريقة التي كانت تمحى بها الألواح قائلا: «كان للمؤدب إجانة، وكل صبي يأتي كل يوم بنوبته ماء طاهرا فيصبّونه فيها فيمحون به ألواحهم قال "أنس" ثمّ يحفرون حفرة في الأرض فيصبون ذلك الماء فيها فيشف»[1]؛ ومنه فإن من أهم آداب العالم هو تعظيمه وتقديره لكتاب الله عز وجل.

ب-ما يجوز في الآداب وما لا يجوز:

رأى "بن سحنون" أن من آداب العالم اتجاه المتعلم هو العطف عليهم وتقدير ظروفهم، فلا يضربهم أكثر من عشر وإذا ضربهم يكون في ذلك على منافعهم، كما فرض عليه أيضا تأديبهم على اللعب والبطالة ولا يجوز بالآداب عشرة إذ قال: « وإنما ذلك لأنّه يضربهم إذا غضب وليس على منافعهم ولا بأس أن يضربهم على منافعهم....ولا يجوز بالأدب عشرة، وقد روي على النبي-صلى الله عليه وسلم- أنّه قال: «لا يحلّ لرجل يؤمن بالله واليوم الآخر أن يضرب فوق عشرة أسواط إلاّ في حدّ»[2].

وهذا يعني أن ضرب المعلم الصبي يجوز بين ثلاث درر، ولا يزيد عن عشرة أثناء تأديبهم، ولا يزيد على ثلاث درر*** في تأديبهم على قراءة القرآن، وأن يكون التأديب على حسب الذنب، وعلى حسب "بن سحنون" فإن أهل العلم قالوا: "بأن الأدب على قدر الذنب" فحرص العالم على سلامة المتعلم من أهمّ ما يتخلق به.

ج-وما ينبغي أن يخلي الصبيان فيه:

مما ذكره "ابن سحنون" يتضّح أن من آداب العالم هو احترام عطلة المتعلم فهي من حقه، وقد حدد "ابن سحنون" أيّام عطلة عيدي الفطر والأضحى في قوله: «..قال الفطر يوما واحدا ولا بأس أن يأذن لهم ثلاثة أيّام والأضحى ثلاثة أيّام ويأذن لهم بخمسة أيّام»[3]؛ أي بهذا يشجّع الطالب على طلب العلم لأنّ العطلة تريح فكره وباله وتجعل نفسه مستقرة غير مضغوطة.

*قصعة مطهرة يتوضأ فيها.

**اللعب باللسان على سطح اللوحة.

[1] ابن سحنون: آداب المعلمين، ص87.

[2] المصدر نفسه ، ص89-90-92.

[3] المصدر نفسه، ص97.

كما لا يجوز للعالم إرسال المتعلم في طلب من تغيبهم، إلاّ بإذن آبائهم وإذا قام بذلك يجب أن يكون الموضع قريبا حتّى لا يشغل الصبي عن دراسته، وكما جاء في قول صاحب «آداب المعلمين»:«...لا أرى ذلك يجوز له، إلاّ أن يأذن له أباءهم أو أولياء الصبيان في ذلك، أو تكون المواضع قريبة لا يشتغل الصبي في ذلك».[1] فطلب الإذن من أوليائهم يعتبر أدبا وخلقا مهما يبادر به المعلم من أجل إعطاء مكانة وقيمة عالية له في وسط مجتمعه، وفي هذا الخصوص ذكر "ابن سحنون" قضايا اتجاه المعلم التي يجب الاتصاف بها فقال :« أحب للمعلم أن لا يولي أحدا من الصبيان الضرب، ولا يجعل لهم عريفا* منهم، إلاّ أن يكون الصبي الذي قد ختم وعرف القرآن....وليل هو ذلك بنفسه أو يستأجر من يعينه إذا كان في مثل كفايته»[2]؛أي على العالم الاعتماد على الصبي النجيب الذي يكون عارفا للقرآن حتى يفيد زملائه في تعلمه والتمكن من تطبيق الأحكام والقواعد القرآنية.

د- ما يجب على المعلم من لزوم الصبيان:

إنّ أهمّ ما ذكره "ابن سحنون" ضمن هذا الخلق هو أهمية التعليم عند العالم واحترام هذا الأخير للوقت والدقة في عمله، إذ كان دائم التنديد بالتخلي عن كل شيئ، وأن لا يشتغل بغير صناعته، ويملأ أوقات فراغه بالنظر فيما يعود على تلاميذه بالنفع والفائدة، وقد قال صاحب" آداب المعلمين": « ولا يحل للمعلم أن يشتغل عن الصبيان إلاّ أن يكون في وقت لا يعرضهم فيه فلا بأس أن يتحدث وهو في ذلك ينظر إليهم ويتفقدهم»[3]؛ أي لا يجوز للعالم التحدث مع أي كان داخل مجلس العلم وهو في وقت الدرس.

كما جاء "بن سحنون" بجملة من النصائح يرشد بها العالم وهي:

– مراقبة الصبيان ومعرفة مدى تقدمهم في التعلّم، وتخصيص أوقات لمراجعة القرآن وحفظه، وقد قال في هذا الخصوص: «وينبغي أن يجعل لهم وقتا يعلمهم فيه الكَتْب ويجعلهم يتحايزون لأن في ذلك مما يصلحهم...»[4] ويكون في مصلحتهم.

---

[1] ابن سحنون: آداب المعلمين، ص97.

* يقال عرف الرجل أي صار عريفا وعرف فلان على القوم أي صار عارفا به وعرافة بمعنى دبر أمرهم بسياستهم.

[2] المصدر نفسه، ص98.

[3] المصدر نفسه ، ص98.

[4] المصدر نفسه ، ص100.

– لا يجوز للعالم ضرب الصبي على رأسه أو وجهه، كما لا يجوز له أن يمنع من طعامه و شرابه، وقد قال في هذا الخصوص: « ولا يجوز له أن يضرب رأس الصبي ولا وجهه ولا يجوز له أن يمنعه من طعامه وشرابه إذا ارسل وراءه».[1]

وذلك حتّى لا يقع المتعلّم في قفص الأمراض النفسية، والتعقد من التعلّم وأخذ المعرفة من العالم.

– يجوز للعالم أن يعلمهم الحساب والإعراب والقراءة الحسنة وعلم الخطابة.

– ينبغي على العالم تعليم الصبي الصلاة إذا كان بني سبع سنين، ويضربه عليها إذا كان ابن عشر، كما فرض عليه أيضا تعليمه الوضوء فقال: «وينبغي للمعلم أن يأمرهم بالصلاة إذا كانوا بني سبع سنين...ويلزمه أن يعلمهم الوضوء والصلاة»[2]؛ أي من واجب المعلم الالتزام اتجاه عمله لأنّه أمر ضروري من أجل السير الحسن للعملية التعليمية.

ه- ما جاء في إجارة المصحف وكتب الفقه:

لقد اتضح جليا من خلال تعبير "بن سحنون" أن من أبرز المبادئ التي يتميز بها العالم هو إجازته المصحف للقراءة فيه، كما يجوز له في الآن نفسه بيعهم لأن ما يباع هو الحبر والورق فقال: «قلت لابن القاسم أرأيت المصحف، أيصح أن يستأجر ليقرأ فيه؟ فقال لا بأس به، لأنّ مالكا قال لا بأس ببيعه»[3]، وهذا يعني أنّه لا تهمه الوسيلة التي تحصّل عليها لقراءة القرآن وإنّما طريقة قراءته هي الأهم في ذلك.

كما ألحّ على إجارة كتب الفقه وبيعها إذا علم من استأجرها واشتراها وقد جاء عن "ابن سحنون" أنّه قال:« وقد أجزتم إجار الحر وهو لا يحلّ بيعه فكيف لا تجيزون إجارة كتب الفقه؟...لا أرى بأسا بإجارتها وبيعها إذا علم من استأجرها واشتراها»[4]. وإلى جانب هذا يجوز أن يستأجر الرجل المعلم على أن يعلم أولاده القرآن بأجرة سواء كان ذلك لأجل معلوم أو كل شهر.

2–عند الإمام الماوردي:

أكدّ "الماوردي" في كتابه «أدب الدّنيا والدّين» على مجموعة من الصّفات التي يجب أن يتحلّى بها المعلّم مع طلاّبه حتّى تتم العملية التّعليمية وهي:

---

[1] ابن سحنون: آداب المعلمين ، ص101.

[2] المصدر نفسه، ص109–110.

[3] المصدر نفسه ، ص126–127.

[4] المصدر نفسه ،ص129.

أ- الإخلاص وابتغاء وجه الله عزوجّل:

لقد نبّه "الماوردي" على هذه الآداب في كتابه قائلا: « أن يقصدوا وجه الله تعالى بتعليم من علّموا ويطلبوا ثوابه بإرشاد من أرشدوا من غير أن يعتاضوا عليه عوضا ولا يلتمسوا عليه رزقا»[1]، وعليه فإنّ الغرض من العلم والتعليم عند "الماوردي" هو الانطلاق من نيّة خالصة وإرادة صادقة قاصدا وجه الله تعالى، رغبة في نيل ثوابه وأجره دون الحصول على تعويض أو أجر. فوجب على المعلّم أن يوصي طلاّبه بأنّ العلم لا يطلب رغبته في حبّ النباهة وطلب الرّياسة وفي هذا يقول "الماوردي" ناقلا قول "سفيان الثّوري": «تعلمنا العلم لغير الله تعالى أبا أن يكون إلاّ الله»[2] وبالتالي لابدّ أن يطلب العلم ابتغاء لمرضاة الله ويؤكدّ "الماوردي" ذلك بقول "عبد الله بن مبارك": «طلبنا العلم للدّنيا فدلّنا على ترك الدّنيا»[3].

ب- بدل العلم لطلاّبه وعدم البخل به:

لقد حثّ "الماوردي" المعلمين والعلماء على التّفاني في بذل العلم وأن لا يبخل العالم بعلمه على طلاّبه لأنّ ذلك يعدّ ظلما في حقّهم وقد أشار إلى ذلك بقوله:« ومن أدب العلماء أن لا يبخلوا بتعليم ما يحسنون، ولا يمتنعوا من إفادة ما يعلمون، فإن البخل به لؤم وظلع والمنع منه حسد وإثم وكيف يسوغ لهم البخل بما منحوه جودا من غير بخل وأتوه عفوا من غير بذل»[4]، فلا بدّ للمعلّم أن يجتهد في نشر العلم والإكثار منه فكتم العلم يؤدّي إلى تناقصه وانقراضه فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنّه قال:« من كتم علما يحسنه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار»[5]ويعدّ المعلّم الباخل كالجاهل الذي لم ينل العلم ولا الأجر من عند الله تعالى.

ج- الرفق بالمتعلمين وتسهيل سبيل العلم لهم:

اشترط "الماوردي" على المعلّم أن يكون بطلاّبه رقيقا ودودا، ناصحا لهم في جميع شتّى الحياة من جه وبيّن لهم سبيل التعلّم والعلم من جهة أخرى قائلا: « ومن آدابهم نصح من علّموه والرّفق بهم وتسهيل السبيل

---

[1] أبو الحسن الماوردي: أدب الدّنيا والدّين، ص89.

[2] المصدر نفسه، ص92.

[3] المصدر نفسه، ص92.

[4] المصدر نفسه، ص90.

[5] المصدر نفسه ، ص97.

عليهم وبذل المجهود في رفقهم ومعونتهم فإنّ أعظم لأجرهم وأنسى لذكرهم وأنشر لعلومهم وأرسخ لمعلومهم»[1].

ومنه فإنّ الرّفق بالمتعلّم والتودّد له يؤدّي إلى كثرة العطاء من حيث نشر العلوم الموجودة عند المعلّم، والإفادة من جانب المتعلّم، ويكون ذلك من خلال ترسّخ المعلومات والأفكار في ذهنه، ويستشهد "الماوردي" في ذلك أنّه قد روي عن النبي –صلى الله عليه وسلم –أنّه قال "لـ علي" _كرّم الله وجهه_: « يا علي لأن يهدي الله بك رجلا خير ممّا طلعت عليه الشمس»[2].فالهداية تكون درجات بالرّفق.

د- إحباب طلاّبه في العلم ليرغبوه:

يرى "الماوردي" أنّ إحباب الطلاّب في العلم تعتبر من مهام المعلّم وآدابه، ولا يكون ذلك إلاّ عن طريق الترويج عن النّفس حال التعلّم، وتشجيع الطلاّب على كسب العلم وتحصيله لأنّ ذلك يؤدّي إلى استمراره وفي هذا يقول "الماوردي":« ومن آدابهم أن لا يمنعوا طالبا، ولا ينفروا راغبا، ولا يؤيسوا متعلّما، لما في ذلك من قطع الرّغبة فيهم، والزّهد فيها لديهم، واستمرار ذلك مفض إلى انقراض العلم بانقراضهم»[3]، فمنع الطلاّب يؤدّي إلى النّفور من طلب العلم وقطع الرّغبة عندهم، هذا ما يؤدّي إلى انقراض العلم بانقراضهم، فوجب أن يبثّ فيهم روح التعلّم من خلال ترغيبهم فيه بشتّى الوسائل مع الابتعاد عن الأخلاق الذّميمة لكونها تزرع فيهم الترهيب والنّفور.

ه- عدم استعمال العنف مع المتعلمين:

يعدّ استعمال العنف من أكثر الظواهر المنتشرة من طرف المعلّمين، لذلك فقد حثّ" الماوردي" العلماء على تجنبها لما لها من آثار سلبية تعود على المتعلّم قائلا: « أن لا يعنّفوا متعلّما ولا يحقروا ناشئا ولا يستصغروا مبتدئا فإنّ ذلك أدعى إليهم وأعطف عليهم وأحثّ على الرغبة فيما لديهم»[4]، فالأخذ بالشّدة يذّل نفسية المتعلم، ويذهب نشاطه وعقله المنتج، ويؤدّي به إلى الكذب لتجنّب العقاب ضف إلى ذلك فإنّه يضعف الرغبة في التعلّم ويحثّه على النّفور. ولابدّ للمعلم أيضا أن يوقّر طلاّبه ويعطف عليهم دون استعمال العنف و يدعّم "الماوردي" رأيه بقول الرسول –صلى الله عليه وسلم –:«علّموا ولا تعنّفوا فإنّ المعلّم خير من المعنّف »[5]،

---

[1] المصدر نفسه، ص97.

[2]أبو الحسن الماوردي: أدب الدّنيا والدّين ، ص97.

[3] المصدر نفسه ، ص97.

[4]المصدر نفسه، ص97.

[5] المصدر نفسه، ص97.

فالتعليم لا يبنى على العنف بل العكس من ذلك ،إنّ العنف خلق ذميم يؤدّي بالمتعلّم إلى الابتعاد عن اكتساب العلم على خلاف توقيره الذي يحبّبه فيه.

و- مراعاة الفروق الفرديّة:

إنّ "الماوردي" عميق الإدراك لاختلاف قدرات الطلبة وتفاوتهم في دوافعهم وطاقاتهم ويلقي بمسؤولية معرفة ذلك على المعلم العالم «...وينبغي أن يكون للعالم فراسة يتوسّم بها المتعلّم ليعرف مبلغ طاقاته وقدر استحقاقه، ليعطيه ما يتحمّله بذكائه أو يعف عنه ببلادته، فإنّه أروح للعالم وأنجح للمتعلّم»[1]،وبالتالي لابدّ للمعلّم أن يعرف قدرات الطلبة حتى يستطيع التمييز بين الذكي والضعيف، والمجدّ وغيره، ويعطي كلّ ما لديه للضعيف حتّى يكون في مستوى يرغبه في العلم.

فلابدّ للمعلّم حسب "الماوردي" أن يعرف قدرات الطّلاب والدوافع الكامنة عنهم، «فالفروق الفرديّة هي الصفات التي يتمايز بها كلّ إنسان عن غيره من الأفراد سواء كانت تلك الصّفات جسيمة أم عقلية أم مزاجية في سلوكه النّفسي أو الاجتماعي»[2]، فتؤثر بشكل كبير على المتعلّم، لذا وجب على المعلّمين أن يراعوها عند تلاميذهم وأشار إلى ذلك بقوله« واعلم أنّ المتعلمين ضربان: مستدع وطالب فأمّا المستدعي إلى العلم فهو من استدعاء العالم إلى التعليم لما ظهر له من جودة ذكائه وبان له من قوة خاطرة، فإذا وافق استدعاء العالم شهوة المتعلم كانت نتيجتها درك النّجباء وظفر السّعداء لأنّ العالم باستدعائه متوفر والمتعلّم بشهوته وذكائه مستكثر»[3] فلابدّ للمعلّم أن يراعي الحالة النفسية لهم، ويخاطبهم على قدر عقولهم ويعطيهم من العلم ما تستطيع عقولهم استيعابه ولا يحرم في ذلك من نيل العلم لأنّ بالصّبر يمكن اقتحام ما استصعب من العلم وفي هذا يقول "الماوردي": «إن كان المتعلّم فطنا ذكيا، وجب على العالم أن يكون عليه مقبلا وعلى تعليمه متوفّرا، لا يخفى عليه مكنونا، ولا يطوى عنه مخزونا، وإن كان بليدا بعيد الفطنة فينبغي أن لا يمنع من اليسير فيحرم ولا يحمل عليه بالكثير فيظلم ولا يجعل بلاذته ذريعة لحرمانه»[4] وعليه لابدّ أن يراعى المعلّم مستوى المتعلّمين واستعداداتهم وقدراتهم، وذلك للآثار السّلبية أو الإيجابية المترتبة على تطبيقها وأخذها بعين الاعتبار في حالة التّدريس هذا

[1] أبو الحسن الماوردي: أدب الدّنيا والدّين، ص93.

[2] عبد الرّؤوف أحمد بن عيسى: النّمو المعرفي عند الإمام الماوردي في كتابه أدب الدّنيا والدّين، دراسات علوم الشريعة والقانون، كلية التربية الإسلامية، جامعة العلوم الإسلامية، الأردن، 2014.

[3] أبو الحسن الماوردي: أدب الدّنيا والدّين، ص92.

[4] المصدر نفسه، ص92.

ويدعّم "الماوردي" رأيه بحديث روي للرّسول –صلى الله عليه وسلم–قال فيه:« لَا تمنعوا العلم أهله فتظلموا ولا تضعوه في غير أهله فتأثموا»[1]،ومنه يستلزم عدم حرمان العلم من أصحابه لأنّ ذلك يتسبّب في ظلمهم.

3–عند الزرنوجي:

لقد أكدّ "الزرنوجي" في كتابه "تعليم المتعلم طريق التعلّم" على مجموعة من الصّفات التي يجب أن يتحلّى بها المعلّم مع طالب العلم أهمّها:

أ- إرشاد المتعلّم وتوجيهه إلى العلوم المناسبة:

حثّ الإمام "الزرنوجي" المعلّم أن يرشد ويوجّه المتعلّم إلى العلوم المناسبة، والتي لا تخرج عن نطاق العلوم المحمودة وفي ذلك يقول: «كان الشيخ الإمام الأجّل الأستاذ شيخ الإسلام برهان الحق والدّين –رحمه الله– يقول: كان طلبة العلم في الزّمان الأوّل يفوّضون أمورهم في التعلّيم إلى أستاذهم فكانوا يصلون إلى مقاصدهم ومرادهم. والآن يختارون بأنفسهم فلا يحصل مقصودهم من العلم والفقه»[2]، فلابدّ على المعلّم أن يبّين للمتعلّم العلوم المحمودة التي أكدّ عليها الإسلام "كالفقه" مثلا لأنّ ذلك يؤدّي إلى بلوغ المقصد والهدف.

فالمعلم يجب أن يكون الموجّه الأوّل للطّلبة فمن واجبه التّوجيه والإرشاد والتقييم حتّى لا يخرج الطّلبة عن دائرة الخط العلمي، فلا وجود لطالب دون مرشد ولا معلّم دون متعلّم، يقول "الزرنوجي" في هذا الخصوص: «وكان يحكى أنّ محمد بن إسماعيل البخاري–رحمه الله– كان بدأ بكتاب الصّلاة على محمد بن الحسن المشتهر بالإمام الربّاني من الأئمة الحنفية فقال له محمد–رحمه الله–: اذهب وتعلّم الحديث لما رأى أنّ ذلك العلم أليق بطبعه فطلب علم الحديث فصار مقدّما على جميع أئمة الحديث»[3]،وبالتالي فإنّ مهمّة المعلّم الأساسية هي توجيه المتعلّم إلى العلوم المناسبة والنافعة خاصة علم الحديث لما له من فائدة.

ب- مراعاة التدرّج والفروق الفرديّة:

نادى "الزرنوجي" بضرورة التدرّج في التعلّيم حسب مراحل نمو وفهم المتعلّم، ومراعاة الفروق الفرديّة بين المتعلّمين، وقد أشار إلى هذين المبدأين التربويين الهامين وفيها يقول: «كان الإمام الأستاذ شرف الدّين–رحمه الله– يقول: الصّواب عندي في هذا ما فعله مشايخنا –رحمهم الله–، وكانوا يختارون للمبتدئ صغار المبسوطة، لأنّه أقرب

---

[1] برهان الإسلام الزرنوجي: تعليم المتعلم طريق التعلم ، ص92.

[2] برهان الإسلام الزرنوجي: تعليم المتعلم طريق التعلم ،ص31–32.

[3] المصدر نفسه ، ص32.

إلى الفهم والضبط، وأبعد الملالة، وأكثر وقوعا بين النّاس»[1]، "فالزرنوجي" يطلب من المعلّم أن يختار من العلم للمبتدئ ما يمكن ضبطه و فهمه بالإعادة مرتين بالرفق، ويختار الكتب الصغيرة الواضحة لأنّ القدرات العقلية والفكرية والاستعدادات تتفاوت بين الطّلاب، فسبحانه وتعالى أمر أن نخاطب الناس على قدر عقولهم ومراعاة طاقة الفرد وتحمله.

لابدّ على المعلّم إذا أن يراعي قدراتهم التي فطروا عليها، فكل طالب يختلف عن الآخر من حيث الرغبة وطاقة الاستعداد، هذه الأخيرة تؤثر بشكل كبير في نموه المعرفي وقدرته على الاكتساب أكثر، فلزم بذلك على المعلم أن يتدرّج في نشر المعرفة ويراعي ميولتهم التي جبّلوا عليها.

ج- الشفقة والنّصيحة:

يجب على المعلّم أن يكون رؤوفا على المتعلّمين، ناصحا لهم في شتّى مجالات الحياة وأن يجريهم مجرى بنيه، ولا يشعرهم بضيقة إذا ما أرادوا الاستفادة منه في أيّ وقت يقول "الزرنوجي": «ينبغي أن يكون صاحب العلم مشفقا ناصحا غير حاسد، فالحسد يضرّ ولا ينفع»[2]،وعليه لزم على المعلّم أن يشفق على طلاّبه وينصحهم بالابتعاد مثلا عن النّزاعات والحسد....إلخ لكونها تضرّبه، وتضيّع الوقت فقط، وقد قال «المحسن سيجزى بإحسانه والمسيء ستكفيه مساويه»[3]، فالشفقة والنّصائح التي يقدّمها المعلّم تساعد المتعلّم على اكتساب المزيد من العلم من جهة، وزيادة بركته خاصة في أولاده من جهة أخرى وفي هذا يقول "الزرنوجي": «كان أستاذنا شيخ الإسلام برهان الدّين-رحمه الله- يقول: قالوا ابن المعلّم يكون عالما لأنّ المعلّم يريد أن يكون تلميذه في القرآن عالما فببركة اعتقاده وشفقته يكون ابنه عالما»[4]،ومنه فالشفقة على المتعلّمين من الأسس التي تبنى عليها عملية التعلّيم بين المعلّم والمتعلّم، فبقدر نصائحه وتوجيهاته إلى طالب العلم بقدر ازدهار العلوم.

لابدّ على المتعلّم أيضا أن لا يشكّ لأنّ ذلك يدفع إلى العداوة والبغضاء وفي هذا يقول "الزرنوجي": «وإيّاك أن تظنّ بالمؤمن سوءا فإنّه منشأ العداوة ولا يحّل ذلك.... وإنّما ينشأ ذلك من خبث النيّة وسوء السّريرة»[5]، إنّ الشّك والظن يؤدّي إلى انتشار الأخلاق الذميمة والتي جاءت نتيجة سوء النيّة.

---

[1] المصدر نفسه، ص49.

[2] برهان الإسلام الزرنوجي: تعليم المتعلم طريق التعلم، ص68.

[3] المصدر نفسه ، ص69.

[4] المصدر نفسه ،ص68.

[5] المصدر نفسه، ص71.

4-عند ابن خلدون:

لقد أوصى "ابن خلدون" المعلم على مجموعة آداب وصفات للتحلّي بها، وتجعله منصفا في اتخاذ قراراته ومعاملاته اتجاه المتعلمين، وتتمثل هذه الآداب في:

أ- مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين:

نبه "ابن خلدون" من خلال أرائه التربوية إلى الالتزام بهذا المبدأ باعتباره من أهمّ الآداب التي تجعل منه معلما سويا اتجاه متعلمه؛ لأنّ العوامل النفسية والجسمية تؤدّي دورا أساسيا في عملية التحصيل العلمي التي تختلف من فرد إلى آخر فقال:«...وهو كما رأيت إنّما يحصل في ثلاث تكرارات وقد يحصل للبعض في أقل من ذلك بحسب ما يخلق له ويتيسر عليه»[1]فالفهم والاستيعاب يتفاوت من شخص إلى شخص.

فالاكتساب لدى الفرد يختلف من حيث الأسلوب وسرعة التحصيل العلمي والمعرفي، وعليه أكدّ "ابن خلدون" على معرفة نفسية المتعلّم وإدراك مدى قدرته على تلقي المعلومة ومعرفة نوعيتها؛ لأنّ الفكر الإنساني يتطور تدريجيا ويتأثر بما يكتسبه من معلومات ومهارات التي تدخله دفعة واحدة وعلى هذا الأساس طلب القائمون على عملية التعليم ابتداء من الأنبياء إلى الأساتذة والمربين بأنّ يخاطبوا النّاس على قدر عقولهم باعتباره ناصحا ورفيقا لهم.

ب- التحلّي بمبدأ التدرج والتكرار:

اعتبر "ابن خلدون" أنّ المنهج الناجع في تقين العلوم للمتعلم هو منهج التدرّج الذي يفرض الابتعاد عن التقيّد والالتباس ويلّح على التسلسل في عرض أية مسألة علمية فقال«....مفيدا إذا كان على التدرّج شيئا فشيئا وقليلا قليلا يلقى عليه أولا مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب ويقرب له في شرحها على سبيل الإجمال ويراعي في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يراد عليه حتّى ينتهي إلى آخر الفن وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم»[2]؛ أي يشترط على المعلم الابتداء من المسائل الواضحة ثمّ الغامضة منها، وبالبسيط قبل المعقد، وبالجزء قبل الكل، وبالعملي قبل النظري.

---

[1] ابن خلدون، مقدمة، ص683.

[2] المصدر نفسه ، ص683.

فالمعلم الذي يتحلّى بآداب وصفات خلقية يستطيع انتقاء المنهج الذي يناسب مستوى المتعلّم، فمثلا التّكرار يعدّ مبدأ ضروري في تكوين الملكة اللغوية، وذلك اعتبارا أن هذه الأخيرة لا تحصل إلاّ من خلال ممارسة كلام العرب وتكرره، وعليه قال صاحب «المقدمة» :«فتحصل له هذه الملكة بهذا الحفظ والاستعمال ويزداد بكثرتهما رسوخا وقوة»[1]،وعلى هذا الأساس يعتبر التّكرار عمدة عملية التعلّم، فهو يؤدّي إلى الحفظ الذي يزيد من ترسيخ الملكة وثباتها.

ونظرا مما سبق نجد أنّ "ابن خلدون" قد أصرّ بإلحاح على ضرورة التدرّج في عرض المادة العلمية والتمسك بهذا المنهج أمر لا مناص منه لإنجاح عملية التعلّيم والتعلّم، لكن نجده في مواقف أخرى يحذر من هذا التمسك والتقيّد بمنهج التدرّج والولوج* في المسائل الصعبة لأنّها من مقفلات العلم التّي تجعل ذهن المتعلّم مكلا وعلى إثر كل هذا قال: « وقد شاهدنا كثيرا من المعلمين لهذا الهد الذي أدركنا يجهلون طرق هذا التعلّيم وإفاداته ويحضرون للمتعلّم في أوّل تعليمه المسائل المقفلة من العلم..... وقبل أن يستعدّ لفهمها فإن قبول العلم والاستعدادات لفهمه تنشأ تدريجيا»[2]، هذا ما جعل العلاّمة يختلف فيه مع المعلمين حول تقديم المادة للسنة الأولى والسادسة كالرياضيات مثلا يتعلّم الصبي في الصف الأوّل طريقة كتابة الأعداد، ثمّ بعدها تأتي مرحلة القيام بالعمليات الحسابية كالجمع والطرح ...إلخ، فلا يلزم عليه إذا تقديمه مادة المرحلة السادسة في المرحلة الأولى لأنّ ذلك يتعبه ذهنيا.

ج- الالتزام بمجالس التعليم:

إن مبدأ الالتزام من أهمّ المبادئ التي تجعل الإنسان مخلصا في أعماله ومتمسكا بأخلاقه، وبما أنّ المعلم هو قدوة المتعلّم وسيله الوحيد للنجاح في هذه الحياة، إذا التظاهر بكل الخصال الحميدة وهو داخل مجلس العلم خاصة وقت الدرس، فحضوره الدائم يزيد من المتعلّم اعجابا به، لأن الانقطاع عن المجلس من فترة لأخرى بشكل عائقا كبيرا لدى نفسية المتعلّم، كما يؤدّي بالعالم إلى تأجيل تلك المسائل المبرمجة أثناء تلك الحصص، فالإطالة في الفن الواحد تجعل المتعلّم غير متمكن من التحصيل وفي هذا الخصوص قال "ابن خلدون":« وكذلك ينبغي لك

[1] ابن خلدون، مقدمة، ص716.

* التعمق أكثر في متن المسائل والعلوم الصعبة.

[2] المصدر نفسه ، ص683.

أن لا تطول على المتعلّم في الفن الواحد بتفريق في المجالس وتقطيع ما بينها لأنّه ذريعة إلى النسيان وانقطاع مسائل الفن بعضها عن بعض ....لأنّ الملكات إنّما تحصل بتتابع الفعل وتكراره عنه »[1].

على الرّغم من المكانة التي يحتلها العلامة "ابن خلدون" في التراث العربي القديم وأهمية هذا الشرط لديه يمكن أقول إن هذا الموقف يتعارض مع المواقف الحديثة التي تبحث عن راحة الطالب، فعدم التفريق في المجالس العلمية يؤدّي إلى ضرر واختلال في ذهن المتعلّم.

[1] المصدر نفسه، ص684.

***مقارنة صورة المعلم ضمن المدونات الأربع:**

لقد كان التعليم منذ القدم يبنى على أسس ومقوّمات، جعلته يسير على منهج ثابت تتمثل هذه الأسس في تلك الشروط والصّفات الواجب توفرّها عند المعلّم، والتي اتفق معظم العلماء عليها رغم اختلاف عصورهم في حين نجدهم قد اختلفوا في بعض منها.

1- الشروط والآداب المتفق عليها بين العلماء:

أ- الإحاطة بمبادئ التّعليم والورع بالعلم:

اتفق كلاّ من "الزرنوجي" و"ابن خلدون" على ضرورة اتسّام المعلّمين بمبادئ وقواعد التّعليم من جانب ومن جانب آخر يكون ملّما بها، وذا ثقافة ومستوى يمكنّه من متابعة التّكوين بنجاح والقيّام بالتوجيه والتبليغ على الوجه المطلوب. ويستطيع أيضا نقل المعلومات والأفكار، وإخراجها في شكل مبسّط حتّى يتمكن في الأخير ذهن المتعلّم من استيعابها.

ب- التواضع:

أكدّ "الماوردي"و "الزرنوجي" على وجوب تواضع المعلم ويكون في مستوى المتعلّم، مبتعدا عن الغرور والتكبّر وذلك باعتباره المصدر الذي يعتبره المتعلّم النموذج الذي تستمدّ منه النّواحي الفكرية والخلقية. ويكون بالتالي حافزا للمتعلّم على طلب العلم والتي تساعده أن يسلك سلوكا سويا.

إنّ المعلّم هو المثل الأعلى بالنسبة للمتعلّم حيث يؤثر فيه تأثيرا قويا بأخلاقه وشخصيته المتكاملة فلزم أن يتواضع لأنّ ذلك من قيمه.

ج- الشفقة والرفق بالمتعلّمين:

حثّ كلاّ من "الماوردي" و "الزرنوجي" و"ابن سحنون" على العطف بالمتعلّمين لأنّ ذلك يبعث في نفسيتهم حبّ العلم والرّغبة في نيله، فالمعلّم هو المربي الذي يحاول إكساب متعلّميه العادات والاتجاه والشكل العام للسّلوك المنشود، والأداة نحو نشأة جيل صاعد مليء بالأمل محبّ للتطوّر والازدهار.

د- العدل ومراعاة الفروق الفرديّة:

نبّه "الماوردي" و "الزرنوجي" و"ابن خلدون" على ضرورة مراعاة الفروق الفرديّة لدى المتعلّمين والعدل بينهم خلال عملية التعلّيم لكونهم يختلفون في الأمزجة والقدرات والنفسيّات؛ كالمثابرة والرّغبة في طلب العلم.

فالمساواة بين المتعلّمين مبدأ أساسي عظيم أوجبه الإسلام علينا في كل أمور الحياة، وأكدّ العلماء على توفّرها عند المتعلّم لما لها من آثار إيجابية، والمترتبة على تطبيقها وأخذها بعين الاعتبار في حالة التعليم. أمّا "ابن سحنون" فإنّ مراعاة الفروق الفردية اعتبرت من أهمّ الشروط الواجب توفّرها عند المعلّم فهي ضرورية ولا يمكن للمعلّم أن يستغني عنها رغم الظروف التي يتعرّض لها.

2- الشروط والآداب المتخف فيها:

ب- فضل تعليم القرآن ووجوب ختمه:

حثّ "ابن سحنون" المعلّم أن يعلّم متعلّميه القرآن الكريم ووجوب ختمه لأنّ تعلّمه فرض، أمّا "الماوردي" و"الزرنوجي" فقد اشترطا على المعلّم أن يكون الموجّه والمرشد الأوّل للمتعلّم في اختيار العلوم النافعة، وذلك لامتلاكه الخبرة الكافية التي تساعده على الاختيار خاصة ما ارتبط بتعلّم القرآن والفقه، فالمعلّم له دور الرئيسي في تعليم متعلّميه كل ما ارتبط بالقرآن الكريم، لكونه أساس الدّين الإسلامي.

ج- الاستمرار في طلب العلم والعمل به:

اشترط "الماوردي" على المعلّم أن يستمرّ في طلب العلم رغم الصعوبات والمشاكل التي يتعرّض لها،باعتبار أنّ عصره قد طغت عليه أسر غير عربية: تركية وفارسية، أدّت بالمعّلم إلى الانقطاع عن اكتسابه فالإسلام يعتبر العلم ركيزة أساسيّة تقوم عليها كلّ عناصر الحياة، وتتأسس عليه دعائم العقيدة الصحيحة لدى

لابدّ من تحصيله وعدم استغلاله كوسيلة للتسلّط، افتخارا وشهرة، فالعلم بلا عمل مذموم من الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

إنّ الحضارة العربية الإسلامية التي قدمت للعالم ما قدمت من تقدم علمي في مختلف مجالات البحث، كان الدّافع والحافز في تكوينها كتاب الله عزّ وجلّ، وحثّه على طلب العلم الدّنيوي مع الدّيني والعمل به.

د- الصّبر والحلم:

حثّ "الزرنوجي" المعلم على الصّبر، وذلك باعتباره خلق إنساني وإسلامي عظيم يحتاجه المعلّم في هذه الحياة المليئة بالمحن فهو نصف الإيمان فلابدّ للمعلّم أن يكون صبورا حليما على طلاّبه، لأنّ رسالة المعلّم الأساسية هي غرس الصّفات الإيجابية في المتعلّم، والتي تعدّ بدورها أهمّ مقوّمات الشخصية المتوازنة.

ه- الإيجاز المفيد في تقديم المسائل العلميّة وحسن الانتقاء:

أكدّ كلاّ من "الماوردي" و"الزرنوجي" و" ابن سحنون" أنّ المعلّم لابدّ له أن يختار وينتقي من العلوم ما يفيد المتعلّم في دينه ودنياه وذلك بسبب الظروف التي عانى منها المعلّم في تلك الفترة ولم تساعده على اختيار وتعلّم ما يناسبه من علوم.

أمّا "ابن خلدون" فقد امتازت العلوم في عصره بالازدهار والتطوّر، ومن ذلك نجده قد نصّ عبى ضرورة حسن الانتقاء من وسائل العلوم المختلفة المنتشرة آنذاك، ويواكب ذلك بالتّكرار والاطلاّع المستمرّ دون انقطاع من أجل تحصيل علوم وفنون جديدة تمكنّه من مواكبة العصر الذي يعيشه.

بالرغم من مرور الوقت إلاّ أنّ شروط المعلّم وآدابه مستمرة إلى يومنا هذا، حتىّ وإن كان هذا العصر هو أزهى العصور في جميع الميادين فالمعلّم يبقى أسيرا لهذه القيود، فهو يمتاز بدور مهم قديما وحديثا هذا الدور الذي جعل العملية التّعليمية تحافظ على مسارها التربوي.

المبحث الثاني: المتعلّم

لم تخل الكتب التراثية القديمة في الحديث عن أقطاب العملية التعليمية، بل ذهب كل عالم في الحديث عن هذه الأقطاب الثلاثة بأسلوب وطريقة تختلف عن أسلوب وطريقة عالم آخر، مبدئا في ذلك موقفه وأراءه الشخصية تجاه كل قطب فإذا كان المعلّم هو المحرّك والموجّه والمنشط والمرشد والمسهّل لهذه العملية فإنّ المتعلّم هو العنصر الفعّال فيها، وذلك لما يتميز به من موقف إيجابي ومشاركة فعّالة اتجاه الخبرات التعليمية التي تقدّم له من طرف المعلّم، إذ يقوم المتعلّم باستغلال هذه الخبرات بتوظيف طاقاته النفسية والجسمية وخاصة العقلية منها في تعلّمه حتّى يكون دوره نشط وفعّال وإيجابي في عملية تعلّمه.

1- تعريف المتعلّم:

إنّ الاختلافات المتعاقبة حول مفهوم المتعلّم فتحت مجالا واسعا للعلماء من أجل التوسّع والتعمق أكثر حول هذه القضية التي شغلت فكر كل عالم، سواء كان هذا الأخير صاحب مدونة أو معجم، ومن بين أبرز وأهمّ العلماء نجد" ابن منظور" بقاموسه" لسان العرب" حيث ورد في مادة علم، وقد روي عن "ابن مسعود" أنّه قال: «ليس العلم بكثرة الحديث ولكن العلم بالخشية»[1].

هذا من الناحية اللغوية، أمّا من جهة الاصطلاح: "هو الطالب وما يمتلكه من خصائص نفسية وعملية واجتماعية، وما لديه من رغبة ودافع للتعلّم ويعتبر التلميذ المحور الأساسي في العملية التعليمية، إذ يجب عليه أن

[1] ابن منظور: لسان العرب، ج10، ص263مادة (ع.ل.م).

يتضمن مجموعة من الاستعدادات النفسية التي تحمل خصوصيات فرديّة أو قدرات وتصوّرات ادراكية تفكيرية وذلك من أجل تحقيق أهدافه وغاياته المستقبلية والانتفاع بعلمه.[1]

إنّ المجهودات الكبيرة التي يدلها العلماء اتجاه العملية التعليمية ومظاهرها لم تختص بدراسة القطب البيداغوجي-المعلم-فقط وإنّما كان اهتمامهم أيضا منصبّا على القطب السيكولوجي-المتعلّم-باعتباره محور هذه العملية التي تتوجه إليه عملية التعلّيم، لهذا تبدي له هذه العملية عناية كبيرة له، فهي تنظر إليه من خلال الشروط والصفات التي أوردها العلماء في متن مصنفا تهم القيّمة.

2- صورة المتعلّم عند العرب القدامى:

إنّ الكتب التراثية دائمة الحضور في العصر الحديث، فمن خلالها استطاع الدارسون والباحثون الوصول إلى الدور والمكانة التي كان يحتلّها المتعلّم العربي قديما، فعند العودة إلى متن هذه المؤلفات نجد أنّ كل عالم من علماء العرب القدامى كان ينظر إلى المتعلّم نظرة خاصة به، فعن طريق هذه النظرات والآراء المختلفة سنرسم تلك الصورة التي شكلها هؤلاء العلماء، مبرزين وظائفه وخصائصه المختلفة، ومنه نحافظ على هوية وأصالة المتعلّم التي كانت سائدة ونؤسس لمستقبله اليافع.

وقد تداولت المؤلفات التي خصّت في الحديث عن آداب العالم والمتعلّم التسميات التي اطلقت على هذا الأخير فقد كان يدعى بالصبي والطفل ومع تطور الأحوال وتقدّم السنين أصبح يدعى بالمتعلّم ثمّ التلميذ والطالب وارتبط مفهوم هذا المصطلح باللقب والدرجة التي تحصّل عليها الطفل والفرد المسلم الذي أصبح طالبا للعلم والتلميذ على أيدي شيخوخة آخذا منه العلوم المختلفة: الدينية والفقهية والعلوم الألية أيضا[2]، فعلى حسب رأي القدامى فإنّ المتعلّم قادرا على اكتساب مهارات وخبرات علمية معرفية من معلمه وينتفع بتلك التجارب والعمليات التي يجسدها على أرض الواقع، فقال "الكندي" مبديا رأيه في ذلك: «أن المتعلّم يستطيع أن ينتفع بعلمه في حياته العلمية والعملية ويستفيد مما درس من العلوم والتجارب والنظريات والحقائق العلمية، الطبيعيات والرياضيات والطب والتاريخ الطبيعي والفراسة»[3] وبالإضافة إلى هذا فقد كانوا ينبهون المتعلّم على اكتساب

---

[1] ربيعة بابلحاج : ملامح تعليمية اللغة عند ابن خلدون من خلال مقدمته، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، قاصدي مرباح، الجزائر،2008-2009، ص 68.

[2] ينظر: فتيحة حداد: المفاهيم التعليمية في العصور الإسلامية الأولى –تنظير وتحليل-، ص14-15.

[3] محمود عبد اللطيف: الفكر التربوي عند الكندي، ج4، مطبعة اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، دط،2012 ، ص25.

النظريات والحقائق العلمية لا تكون إلاّ بالفهم الجيّد والواسع لقواعدها وأسسها، وفي خصوص هذا قال "الطوسي"(324هـ-403هـ):«لا يكتسب لمتعلّم شيئا لا يهمه، مطالعة ساعة خير من تكرار شهر»[1]،فالمطالعة الدقيقة تفيد المتعلّم وتنمي قدراته العقلية، فالتعليم في الصغر مهمّ بالنسبة له لأنّ هذه المرحلة تجعل المتعلّم يتمتّع بمبادئ تربوية خالدة وهذا أكدّ عليه "الغزالي" في كتابه «احياء علوم الدّين» أمّا" الأحنف بن قيس التميمي"(ت687هـ) بقوله :«الكبير أكبر النّاس عقلا ولكنّه أشغل قلبا»[2]؛ فصفاء ذهن الطفل وقلة انشغاله بأمور حياته وتعقيداتها يجعله أقدر على الحفظ، أمّا "الغزالي" فقد ذهب إلى نفس الفكرة محتفظا على المعنى قائلا: «وقلبه الطاهر جوهرة نفسية، ساذجة خالية من كل نقش وصورة، وهو قابض لكل ما نقش إليه»؛ فعلى حسب "الغزالي" يجب أن يتعلّم المتعلّم من العلم ما يحقق أغراض العلم والمعرفة، فيبدأ بتعلّم القرآن والأحاديث والسير والأشعار، ثمّ ينتقل إلى العلوم الأخرى[3]، ونفس الأمر ذهب إليه "بن سينا" إذ قال من خلال كتابه «السياسة»: «وإذا تفرغ الصبي من تعلم القرآن وحفظ أصول اللغة نظر عند ذلك إلى ما يراد أن تكون صناعته موجهة في طريقه وإن أراد به الكتابة أضاف إلى دراسة اللغة دراسة الرسائل والخطب ومناقلات الناس ومحاوراتهم»[4]،وألحّ "الغزالي" أيضا على المتعلّم بضرورة التفرغ للعلم والتعلّم، والابتعاد عن اغراءات الدنيا وملذاتها؛ لأنّ العلم لا يعطيك بعضه حتى يعطيك كله، ورأى أيضا أنّ المتعلّم مطالبا في بداية تعليمه بالإصغاء لمعلّمه واستيعاب العلوم المختلفة عنه، كما أن عليه احترام تسلسل العلوم وترابطها والوقوف على النافع منها والضار فمن أهمّ الشروط التي رآها الغزالي ضرورية في المتعلّم هي:[5]

- أن يحترم معلمه ظاهرا وباطنا.
- أن يحترز عن مجالسة أصحاب السوء.
- ألاّ يجادله ولا يشتغل بالاحتجاج معه في كل مسألة وإن علم خطأه.
- أن يعمل بما يأمره الشيخ من العمل بقدر وسعة وطاقة.

أمّا "ابن سينا" فيرى« أن تكون أخلاق المتعلّمين حسنة، حيث أقرّ باختلاف ميول الطلاّب ورغباتهم لذا يوجب على المعلم أن يختار لكل طالب الصناعة التي تلائمه مع إحاطته بأنّه ليس كل صناعة يرومها الصّبي ممكنة

---

(1) عماد الدّين زنكي: الفكر التربوي وتنشئة الأولاد عند المسلمين الأوائل، orongestudio.com :poweredBy 2017/01/21، pm19:15

(2) نايف محمود معروف: خصائص العربية وطرائق تدريسها، دار النفائس للنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، ط6 ،2008، ص101.

(3) ينظر: عمر فروج: عبقرية العرب في العلم والفلسفة، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، لبنان ط3،1980، ص 40.

(4) ابن سينا: السياسة، ص86.

(5) أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدّين، ص60-64.

أو مواتية له »[1]، إلى جانب هؤلاء نجد "الجاحظ" الذي كان رأيه في المتعلّم خاصا فقد تحدث عن نمو الأطفال بين السّابعة والتاسعة، جسديا وعقليا فقال« إنّ النمو الطبيعي يجعل هؤلاء الأطفال في مستوى عقلي واحد، إلاّ إذا كان الطفل ظاهرة خارقة في الذكاء والقدرة»[2]، وقال أيضا:« وقد قالوا الصّبي أفهم، وبه أشكل وكذلك الغافل والغافل، والأحمق والأحمق، والغبي والغبي، والمرأة والمرأة....فما أعان الله تعالى به الصّبيان أن قرب طبائعهم ومقادير عقولهم من مقادير عقول المعلمين»[3]؛ فالمعلّم إذا حسب قول الجاحظ هو المثل الأعلى والقدوة المثالية للمتعلّمين، فهو يأخذ من معارفه ويتعلّم من أخلاقه وطبائعه لهذا يجب أن تكون أخلاق المعلّم عالية حتى يفيد المتعلّم فقال: «متى ثقل المدرس تنافت النفس وتقاعست الطبيعة ومتى دام الاستثقال أحدث اللهجات وإذا تطاول الكد رسخ الزهد وفي ترك النظر عمى البصر»[4]؛ أي على المتعلّم أن يطهّر قلبه من كل الخبائث والدنائس التي تقحمه في الزهد فتسيئ عقيدته وأخلاقه. فقد قال "ابن جماعة الكناني" مبرزا كل هذا: «أن يطهّر قلبه من كل غش ودنس وغل وحسد وسوء عقيدة وخلق، ليصلح بذلك لقبول العلم وحفظه والاطلاع على دقائق معانيه وحقائق غوامضه، فإن العلم كما قال بعضهم: صلاة السر وعبادة القلب وقربة البطن وكما لا تصح الصّلاة»[5] وقال أيضا:« أنّه ينبغي للطالب أن يقدم النظر ويستخير الله فيمن يأخذ العلم عن ويكتسب حسن الأخلاق والآداب منه، وليكن إن أمكن، ممّن عملت أهليته وتحققت شفقته، وظهرت مرؤته وعرفت عفته واشتهرت صيانته....»[6]،فالمتعلّم ينظر للمعلّم نظرة خالق آداب وصانع معارف ومكوّن أجيال فينمّي بذلك قدراته الجسمية ويصبح حينئذ قادرا عل تحمل المسؤولية، في هذا الخصوص ذكر "محسن علي عطية" في كتابه« الكافي في أساليب تدريس اللغة العربية» إلى أن "الفارابي" يشدّد على التربية الجسمية والعقلية والأخلاقية والتدريب على تحميل المسؤولية.[7]

من خلال ما سبق يمكن القول أنّ للمتعلّم مكانة مهمة في العملية الديداكتيكية، فهو المسؤول عن تلقي تلك المادة التي يلقيها المعلّم فيستوعبها في ظروف حسنة، ويساهم بذلك في نجاح واستمرار هذه العملية.

---

[1] ليلى سهل: واقع العملية التعليمية بين مطرقة القديم وسندان المعاصرة، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري ، ع10، جامعة بسكرة، الجزائر،2014، ص70.

[2] مثنى علوان الجشعمي: التربية والتعلّيم عند الجاحظ وابن رشد، ص10.

[3] المرجع نفسه، ص 11.

[4] مثنى علوان الجشعمي: التربية والتعلّيم عند الجاحظ وابن رشد، ص10.

[5] ابن جماعة الكناني: تذكرة السّامع والمتكلّم في آداب العالم والمتعلّم، ص167.

[6] المرجع نفسه، ص186.

[7] محسن علي عطية: الكافي في أساليب تدريس اللغة العربية، ص65.

I- شروط المتعلّم:

1-عند الماوردي:

تناول "الماوردي" في كتابه «أدب الدّنيا والدّين» تسعة شروط تتصّل بالمتعلّم، وأكدّ على ضرورة توفّرها لكونها تحقق سعادته ونجاحه قائلا:« وما الشروط التي يتوفر بها علم الطّالب وينتهي معها كمال الراغب مع ما يلاحظ به من التّوقف ويمدّ به من المعونة فتسعة شروط»[1]:

أ- العقل الذي يدرك به حقائق الأمور:

وهذا يعني أنّ العقل هو أساس التعلّم، حيث يعتبر أهمّ ما ميّز الله به الإنسان عن سائر المخلوقات ولا غرابة أن يكون العقل في هذه المرتبة فهو مناط التّكليف الذي بمقتضاه تدرك الأحكام وتطبّق على أرض الواقع. وقد عرّف الإمام" الماوردي" العقل بقوله: «واعلم أنّ بالعقل تعرف حقائق الأمور ويفصل بين الحسنات والسّيئات»[2] فبالعقل تدرك الأمور بحيث جعل موضع التّفكير والإدراك والتّدبير لأمور الحياة وفق مجموعة من القوانين، فبواسطته يصل الإنسان إلى حدّ الكمال من خلال تفريقه بين الحق والباطل هذا وقد روي عن النبي- صلى الله عليه وسلم – أنّه قال: «ما اكتسب المرء مثل عقل يهدي صاحبه إلى هدى ويردّه عن ردى»[3]،وعليه بالعقل يمكن للمتعلّم أن يبدع ويجدّد في أمور الحياة كلّها بما يحقق له الراحة والرفاهية في هذا الوجود.

ب- الفطنة التي يتصوّر بها الطّالب غوامض العلوم:

فلا يكفي أن يكون المتعلّم ذا عقل، بل لابدّ أن يكون فطنا حتّى يصل إلى حقائق العلوم وأسرارها، فوظيفتها الأساسية تصوّر مشكلات وغوامض العلوم المختلفة ومن تتوفّر له هذه الفطنة يستطيع أن يحلّ مشكلات الأمور الغامضة في العلوم.[4]

ج- الذكاء الذي يستقرّ به حفظ ما تصوّره:

---

[1] أبو الحسن الماوردي: أدب الدّنيا والدّين، ص76.

[2] أبو الحسن الماوردي: أدب الدّنيا والدّين، ص08.

[3] المصدر نفسه، ص07.

[4] أسنوي بن عمر: التعلّيم عند الماوردي 2016-12/20, 00: pm14 osnavion.blogspot.com/2014/hello-8.html

يعرّف الذكاء في اللّغة «"حدة القلب"، ووظيفته أن يستقرّ به حفظ ما استطاع الطّالب أن يتصوّره، وبه يستطيع أن يستوعب ما تعلّمه»[1]. وقد جعل الإمام "الماوردي" الذّكاء أداة من أدوات التعلّم، فالتعلّم عنده عملية تتمّ بفرط الذكاء وحسن الفطنة وأن يكون من ذكاء الفرد(المتعلّم) ما يجعل المعلّم يستدعيه ليعلّمه فيقول "الماوردي": «فأمّا المستدعي إلى المعلّم فهو من استدعاء العالم إلى التّعليم لما ظهر له من جودة ذكائه وبان له من قوّة خاطره»[2] والملاحظ أنّ" الماوردي" جمع بين الحفظ والفهم، وجعل الذّكاء وسيلة لتحقيق هاتين المهارتين[3]؛أي أنّ الذّكاء هو الذي ينمّي مهارات الحفظ والفهم.

د- الشّهوة التي يدوم بها الطّلب ولا يسرع إليها الملل:

تعتبر الشهوة أو الرّغبة أساس التعلّم عند الماوردي" حيث تعدّ دافع من دوافع الذّاتية إذ تنبع من ذات المتعلّم فتمكنّه من الاستمرار في طلب العلم، والتشوّق إلى المزيد منه دون ملل ،وتختلف الرّغبة من طالب لآخر فإذا قويّت رغبته فلا شيئ يمنعه من الوصول إلى درجة العالمية، وتكون حصنا منيعا له من التردّي والتراجع «واعلم أنّ لكلّ مطلوب باعثا، والباعث على المطلوب شيئان: رغبة ورهبة، فليكن طالب العلم راغبا راهبا أمّا الرغبة ففي ثواب الله تعالى لطالبي مرضاته، وحافظي مقترضاته، وأمّا الرّهبة فمن عقاب الله تعالى لتاركي أوامره ومهملي زواجره فإذا اجتمعت الرّغبة والرّهبة أدّتا إلى كنّة* العلم وحقيقة الزّهد لأنّ الرّغبة أقوى الباعثين على العلم والرّهبة أقوى السّببين في الزهد»[4] ،وعليه فالرغبة والرّهبة تعدّان عاملان مهمّان في معرفة العلم والزّهد فيه.

إذا توفرت الرّغبة لدى المتعلّم، وانتهت العوارض لابدّ له طلب العلم، فالمنفعة التي يتلّقاها بالمحصّلة هي أساس هذا التّحفيز والسّعي لتحقيق هذه الرّغبة.

ه- الاكتفاء بمادّة تغنيه عن كلف الطّلب(الاكتفاء المادّي للطّالب):

إنّ الجانب المادّي تأثير كبير في إقبال الطّالب على التعلّم أو عدمه، غير أنّه لا يعتبر عائقا أمام المتعلّم «فقد وجدا العديد من أبناء الفقراء ممّن لا درهم لهم، ولا متاع وصلوا إلى المراتب العليا في العلم، وقد يكون العكس فالعبرة في الحقيقة ترجع إلى الرّغبة أساسا، ولا يخفى على كلّ عاقل ما لهذا الدّور من الأهمية وخاصة في

---

(1) عبد الرّؤوف أحمد بن عيسى: النمّو المعرفي عند الإمام الماوردي في كتابه" أدب الدّنيا والدّين، ص394.

(2) أبو الحسن الماوردي: أدب الدّنيا والدّين، ص92.

(3) رشيد بن صديق: التعلّيم والتعلّم عند الماوردي: مبادئ تربوية سامية طواها النّسيان والإهمال، جريدة المحجّبة، ع449،2016.

*كنة العلم: حقيقته وذاته، ومراد أن يعرّفه دون تخليط ووهم.

(4) أبو الحسن الماوردي، أدب الدّنيا والدّين، ص52.

الوقت الحاضر، إذ تشعّبت مسائل العلم وكثرت المؤلفات، والمعلّم يحتاج إلى ما يجعله يتكيّف مع الواقع ويتوافق مع متطلّباته ويستمرّ في طلب العلم»[1]، فالسّعادة ليست في كثرة المال حسب"الماوردي": «فكم من مكثر شقيّ ومقّل سعيد وكيف يكون الجاهل الغنيّ سعيدا والجهل يضعه»[2]فبالعلم ارتفع من ارتفع، وبالجهل دكّت معالم أمم.

و- الفراغ:

الذي يكون معه توفّر الوقت ويحصل به الاستكثار في العلم، فالمتعلّم إذا رغب في الوصول إلى أعلى الدّرجات فعليه أن يتفرّغ لطلب العلم؛ بالابتعاد عن إغراءات الدّنيا وشهواتها، إذ الفراغ شرط أساسي لمن استزاد منه واستثمره ولذلك قال الرّسول-صلى الله عليه وسلم-: « نعمتان معنون فيهما كثير من النّاس؛ الصّحة والفراغ»[3] فلزم على المتعلّم أن يقسّم وقته، ويتفرّغ لاكتساب العلم والتعلّم، والابتعاد قدر الإمكان عن العلائق الدّنيوية، إذا توفّر الاكتفاء أدّى إلى تفرغ الطّالب ليحصل العلم وبلوغ مراتب الكمال فيه.

ز- عدم القواطع المنهلة من هموم وأشغال وأمراض:

تؤثر صحة الفرد في مستوى تعلّمه، إذ تعدّ الأمراض عائقا في كثير من الحالات، وأكدّ "الماوردي" أنّ بعض العوامل قد تؤدّي إلى انقطاع طالب العلم عن مواصلة التّحصيل لأنّ اضطراب إشباع هذه الحاجات تصرّف المتعلّم عن التعلّم، لانشغاله في توفيرها "الاكتفاء بمادّة تغنيه عن كلف الطّلب" وكذلك اشترط "الماوردي" توفّر الصّحة النفسية والذهنية وتوفرّ الرغبة، لذلك اعتبر من شروط العلم غياب «الطّوارق المزعجة والهموم المذهلة»[4] لذلك فإنّ قدرة الانسان على التعلّم تنخفض إذا كان في حالة انفعالية غير سويّة كوجود حالة الغضب أو القلق فكم رأينا من الطلبة ذوي العقول النّيرة، والفطنة الحادّة، والذّكاء الخارق لكن صرفتهم عن التعلّم شواغل الدّنيا بمختلف أنواعها.

ح- طول العمر واتّساع المدة:

إنّ طلب العلم يحتاج إلى نفس طويل وصبر ومثابرة حتّى يصل المتعلّم إلى غاياته وينتهي إلى قصده، وقد أفصح الإمام "الماوردي" عن أهمية الوقت إذ أشار إلى أنّ الوقت يجب أن يستغلّ لأشياء كثيرة وعلى رأسها

---

[1] رشيد بن صدّيق: التعلّيم والتعلّم عند الإمام الماوردي: مبادئ تربوية سامية طواها النّسيان.

[2] أبو الحسن الماوردي: أدب الدّنيا والدّين، ص49.

[3] رشيد بن صدّيق: التعلّيم والتعلّم عند الإمام الماوردي: مبادئ تربوية سامية طواها النّسيان.

[4] ينظر: أبي الحسن الماوردي: أدب الدّنيا والدّين، ص93-94.

اكتساب المعرفة والعلم، وإلاّ اعتبر الفرد مقصّرا، ظالما لنفسه[1] فقال:« من أمضى يومه في غير حق قضاه أو فرض أداة أو مجد أثله أو حمد حصله أو خير أسسه أو علم اقتبسه فقد عقى يومه وظلم نفسه»[2]، وفي هذا الشرّط إشارة إلى زمن التّعليم والتعلّم، فمن رزق عمرا مديدا، وحرصا شديدا على التعلّم استكثر منه حتّى يصل إلى درجة الكمال، وبالتّالي فالطّالب يلزمه أن يستغلّ عمره ويملأه بما ينفعه، حتّى يكون حيّا بعد موته، وقد ذكر في الحديث أنّ الانسان إذا مات انقطع عمله إلاّ من ثلاث منها: «إلاّ من صدقة جارية أو علم ينتفع به»[3] والمتعلّم إذا لم تتوفّر فيه هذه النيّة فإنّه لن يستمرّ في الطّلب، ولن يصل إلى الهدف المنشود الذي هو طلب العلم.

ط- الظفر بعالم سمح بعلمه متأنّ في تعلّمه:

يشير فيه "الماوردي" إلى عنصر من عناصر المناهج الذي يتمثّل في المدرس ذي الخلق الحسن والطّبع اللّين فإذا حصل الطّالب على مثل هذا الأستاذ وكان ممّن توفرّت فيه الشروط السّابقة[4] فإنّه لا شك سيبلغ مقصده في طلب العلم. ويؤكد الإمام "الماوردي" أنّ طالب العلم «إذا استكمل هذه الشروط التّسعة فهو أسعد طالب وأنجح متعلّم»[5] فوجب على طالب العلم أن يكون متصّفا بهذه الشروط التي أكدّ عليها" الماوردي" في كتابه وفي الجانب نفسه قال "الاسكندر" «يحتاج طالب العلم إلى أربع: مدّة وجدّة وقريحة وشهوّة وتمامها في الخامس معلّم ناصح»[6].

لابدّ على المتعلّم أن يكون مجدّا ذا رغبة قوّية في طلب العلم لأنّ ذلك يؤدّي به إلى بلوغ مراتب عليا والوصول إلى الهدف المنشود، مبتعدا من جانب آخر قدر الإمكان عن اغراءات الدّنيا التي تجعله ينفرّ من العلم.

2 –عند الزرنوجي:

من أهمّ الشروط الواجب توفّرها عند المتعلّم حسب الزرنوجي تتمثل في:

أ- النيّة:

---

[1] رشيد بن صدّيق: التعلّيم والتعلّم عند الإمام الماوردي مبادئ تربوية سامية طواها النسيان.

[2] أبو الحسن الماوردي: أدب الدّنيا والدّين، ص50.

[3] رشيد بن صدّيق: التعلّيم والتعلّم عند الإمام الماوردي مبادئ تربوية سامية طواها النسيان.

[4] رشيد بن صدّيق: التعلّيم والتعلّم عند الإمام الماوردي مبادئ تربوية سامية طواها النسيان.

[5] أبو الحسن الماوردي: أدب الدّنيا والدّين، ص77.

[6] محمّد ابراهيمي: الزرنوجي رائد التربية النشيطة: حرية المبادرة والاختبار في رسالة تعليم المتعلّم طريق التعلّم.

المقصود بها العزم، الإرادة، والهمّة والرّغبة في الاكتساب والإفادة فلابدّ أن تتوفر الرّغبة في المتعلّم حتّى يبلغ مراده من التعلّم. وتعتبر النيّة الأصل في جميع الأفعال يقول الرّسول صلى الله عليه وسلم «إنّما الأعمال النّيات»[1] ويرى "الزرنوجي" أنّ طالب العلم لابدّ له أن ينوي في طلب العلم رغبة في إزالة الجهل، والذي يؤدّي بدوره إلى إحياء الدّين ونشره بين النّاس وفي هذا يقول: « وينبغي أن ينوي المتعلّم بطلب العلم رضاء الله تعالى والدّار الآخرة، وإزالة الجهل عن نفسه، وعن سائر الجهّال، وإحياء الدّين وإبقاء الإسلام، فإنّ بقاء الإسلام بالعلم ولا يصحّ الزهد والتقوى مع الجهل»[2] فالانشغال بالعلائق الدّنيوية لا تؤدّي بالمتعلّم إلى طلب العلم مرضاة الله وإخلاص النيّة له، والوصول إليه لا يتمّ والمتعلّم منشغل الفكر.

فلن يستطيع أن يعطي حقّه أو أن يقوم به خير مقام من تفقه وحفظ لأنّ التعليم يحتاج إلى صفاء الذهن وتكريس الوقت والجهد وعلى المتعلّم أن يسعى لطلب الرّزق بما يكفيه ومن يعول، ولا يجعل المناصب وكثرة المال همّه، وفي هذا يقول "الزرنوجي":« وينبغي لطالب العلم: أن يتفكر في ذلك، فإنّه يتعلّم العلم بجهد كثير، فلا يصرفه إلى الدّنيا الحقيرة القليلة الفانية»[3]، إنّ الرغبة والنيّة في طلب العلم لا تأتي لتحقيق أغراض دنيوية كالسّعي مثلا إلى احتلال مكانة راقية عند السّلطان، وإنّما شكرا لله على نعمه؛ من عقل يميّز بين الخطأ والصواب، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، وكذا صحّة البدن.

إنّ شغل النّفس لا بأعمال الخير لا تتم عند المتعلّم إلاّ إذا اتّصف بمجموعة من الصّفات، وتحلّى القيّم وإخلاص النيّة لله، والتي تكفل الفوز في الدّنيا والآخرة مبتعدا ع ملذّات الدنيا ويدعّم "الزرنوجي" رأيه بقوله – صلى الله عليه وسلم –: «اتقوا الدّنيا، فو الذي نفس محمد بيده إنّها لأسحر من هاروت وماروت»[4]، فهموم الإنسان لا تنتهي لذلك حثّ على تنحّيتها حتّى يعطي العلم حقّه.

ب- اختيار العلم والأستاذ والشريك والثبات:

إنّ مبدأ حريّة الاختيار يتيح للمتعلّم أن يكتسب الثّقة بالنّفس، فالمتعلّم النّافع والذي لا يخرج عن نطاق العلم الذي حدثنا عليه الدّين الحنيف، وينبغي لطالب العلم وفق "الزرنوجي" «أن يختار من كلّ علم أحسنه وما

[1] برهان الإسلام الزرنوجي: تعليم المتعلّم طريق التعلّم، ص14.
[2] المصدر نفسه ،ص14.
[3] برهان الإسلام الزرنوجي: تعليم المتعلّم طريق التعلّم ، ص16.
[4] المصدر نفسه، ص 17.

يحتاج إليه في أمر دينه في الحال، ثمّ ما يحتاج إليه في المال»[1] فلا بدّ للمتعلّم أن يطلب العلوم المحمودة كعلم التوحيد ومعرفة الله بالدّليل قدر الإمكان عن المحدثات لأنّها تبعد عن الفقه وتؤدّي إلى العداوة والبغضاء وفي هذا يقول"الزرنوجي":«ويقدّم علم التوحيد والمعرفة ويعرف الله تعالى بالدّليل .....عليكم بالعتيق وإيّاكم والمحدثات وإيّاك أن تشتغل بهذا الجدال الذي ظهر بعد انقراض الأكابر من العلماء، فإنّه يبعد عن الفقه ويضيّع العمر ويورث الوحشة والعداوة»[2] فعلى طالب العلم أن يشاور من سبقوه في طلب العلم؛ أيّ في العلوم يختارها لنفسه ولا مانع أن يمكث الطلب لعدّة شهور يبحث ويطلع حتّى يستقرّ في النهاية على طلب العلم الذي يميل إليه ويوافق قدراته، فالدّراسة ليست مفروضة ويورد "الزرنوجي" في هذا قول "لأبي حنيفة"-رحمة الله عليه- يقول فيه:« سمعت حكيما من جكماء سمرقند قال: إنّ واحد من طلبة العلم شاورني في العلم، وكان قد عزم على الذهاب إلى بخارى لطلب العلم» فالمشاورة تعدّ أمرا ضروريا في نيل العلم فالله تعالى أمر عباده بالمشاورة في شتّى ميادين الحياة لكونه ليس أحد أفطن من غيره، أمّا اختيار الأستاذ فله تأثير وانعكاس على شخصية المتعلّم حسب "الزرنوجي" «فلابدّ أن يختار الأعلم و الأورع والأسنّ، كما اختار "أبو حنيفة"-رحمة لله عليه- حمّاد بن أبي سليمان، بعد التأمل والتفكّر" وقال: وجدته شيخا وقورا حليما صبورا في الأمور»[3]،هذا ولا مانع أن يمكث الطّالب عدّة شهور ينتقل بين حلقات العلم حتى يستقرّ على العالم الذي يرغب في نيل العلم منه دون عجلة وفي هذا يقول "الزرنوجي"ناقلا قول الحكيم-رحمة الله عليه-:«إذا ذهبت إلى بخارى فلا تعجل في الاختلاف إلى الأئمة وامكث شهرين حتّى تتأمل وتختار أستاذا، فإنّك إن ذهبت إلى عالم وبدأت بالسبق عنده فرّبما لا يعجبك درسه فتتركه فتذهب إلى آخر، فلا يبارك لك في التعلّم»[4] ويحدّد "الزرنوجي" مدّة شهرين كفترة مثالية تمكّن الطّالب من الاختيار الصّائب حتّى يكون التعلّم مباركا من جهة، وينتفع من جهة أخرى بهذا العلم.

على طالب العلم أيضا أن يثبت على دراسة أحد العلوم حتّى يحصل مبادئه الأساسية قبل أن ينتقل إلى علم آخر، ولا أن يكون دائم التّرحال بين البلدان وراء المعلّم « فإنّ ذلك كلّه يفرّق الأمور ويشغل القلب ويضيّع الأوقات ويؤذي المعلم»[5]، ولا ينسى"الزرنوجي" توجيه نصائحه إلى المتعلّم فيما يتعلّق بالصّحبة والزمالة والرّفيق فعليه أن يجالس الصلحاء ويتقرّب منهم، لأنّ المجاورة مؤثّرة لا محالة، وأن يتقدّم بدعوة أهل الخير فعلى المتعلّم في

---

[1] المصدر نفسه، ص19.

[2] المصدر نفسه، ص19.

[3] ينظر: برهان الإسلام الزرنوجي: تعليم المتعلّم طريق التعلّم، ،ص19-20.

[4] المصدر نفسه ،ص21.

[5] المصدر نفسه ، ص22.

هذا المقام أن يلزم الرّفيق الصّالح الذي يتواصى وإيّاه بالحق، ويبتعد عن الفاسد لأنّ صحبته تؤدّي على فساده أيضان وفي هذا الصدد يقول"الزرنوجي":«وأمّا اختيار الشريك، فينبغي أن يختار المجدّ والورع وصاحبه الطّبع المستقيم المتفهّم، ويفرّ من الكسلان والمعطّل والمكث والمفسد والفتّان»[1]، فإذا كان ذا خير فلابدّ عليه أن يقتدي به، أمّ إذا كان غير ذلك فوجب أن يجانبه ويبتعد عنه وفي هذا قال الشاعر:[2]

عَنِ المرْءِ لاَ تَسَلْ وَأَبْصِرْ قَرِينَهُ فَإِنَّ القَرِينَ بِالمقَارِنِ يَقْتَدِي

فَإِنْ كَانَ ذَا شَرٍّ فَجَانِبْهُ سُرْعَةً وَإِنْ كَانَ ذَا خَيْرٍ فَقَارِنْهُ تَهْتَدِي

وعليه فإنّ اختيار العلم والأستاذ والشريك له تأثير كبير في شخصية المتعلّم فهي تدفعه إلى نيل العلم سواء عبر الرّحلات لطلب العلم، أو البحث عن الأستاذ أو من خلال الابتعاد عن مجالسة الكسالى؛ فكم من صالح في ملازمته لفاسد فسد هو كذلك.

ج- الصّبر:

من أبرز حركات الشأو في العلم وشرط أساسي لتغلّب النّفس والحسد على الهوى والخمول والرّضى بالجاهز ومن تمظهراته تحمّل قسوة الأستاذ وطلباته، والصبر على الكتاب حتّى تفرغ منه، وعلى العلم لغاية التّحكم فيه[3] فالصّبر والثبات أصل جميع الأمور سواء: الصبر على العلم أو الأستاذ، الصّبر على النّفس وهواها. وعليه يقول "الزرنوجي": «فينبغي أن يثبت ويصبر على أستاذ وعلى كتّاب حتّى لا يتركه أبتر وعلى فنّ حتّى لا يشتغل بفنّ آخر قبل أن يتقن الأوّل وعلى بلد حتّى لا ينتقل إلى بلد آخر من غير ضرورة»[4]، فوجب على المتعلّم أن لا يشتغل بمادة معرفية أخرى حتّى ينتهي من المادة المعرفية الأولى، ولا ينتقل من مكان إلى آخر حتّى تتحقق بغيته من العلم.

ويختصر الإمام "علي"-كرّمه الله وجهه-شروط نيل العلم: « الذكاء والحرص والبلغة(ما يكفي للعيش) وإرشاد أستاذ وطول زمان»[5]، ومن جانب آخر لابدّ لطالب العلم حسب"الزرنوجي"أن يصبر على المحن

[1] المصدر نفسه، ص23.

[2] المصدر نفسه، ص23.

[3] ينظر: محمد ابراهيمي: الزرنوجي رائد التربية النشيطة.

[4] برهان الإسلام الزرنوجي: تعليم المتعلّم طريق التعلّم ، ص23.

[5] المصدر نفسه ،ص23.

والبليات التي يتعرض لها خلال نبله للعلم وقد قيل: «خزائن المتن، على قناطير المحن»[1]، ومنه كان لابدّ على المتعلّم خلال طلبه للعلم أن يصبر على ما تريده نفسه وهواه، وعلى المحن لأنّ يصير أساس تحمّل المصائب والدّافع الذي يرغبه في العلم.

د- التوكل:

لابدّ للمتعلّم حسب "الزرنوجي" أن لا يهتم لأمر الرّزق ويتوّكل في ذلك على الله: «ثمّ لابدّ لطالب العلم من التوكّل في طلب العلم ولا يهتم لأمر الرّزق ولا يشغل قلبه بذلك »[2]،فالانشغال بأمر الرّزق يلهيه عن كسب العلم وتحصيله، فالرازق هو الله تعالى أمّا الهمّ والحزن فإنّه لا يردّ المصيبة وفي هذا يقول الرّسول –صلى الله عليه وسلم –:«من تفقه في دين الله كفى همّه الله تعالى ورزقه من حيث لا يحتسب»[3]، وعليه ينبغي للمتعلّم من تقليل العلائق الدّنيوية لأنّ ذلك يشغل القلب، ويخلّ بأعمال الخير، ويكثر الذنوب. فتحصيل العلم ينفي ويزيل الهمّ والحزن، أمّا غير ذلك فإنّه باطل.

ه- الورع:

أكدّ "الزرنوجي" أنّ طالب العلم كلّما كان أورع، كان علمه أنفع فقال في هذا الخصوص: روي بعضهم حديثا في هذا الباب عن الرّسول –صلى الله عليه وسلم–أنّه قال: «من لم يتورّع في تعلّمه ابتلاه الله تعالى بأحد ثلاثة أشياء إمّا أن يميته في شبابه، أو يوقعه في الرّساتيق*، أو يبتليه بخدمة السّلطان»[4] فمن لم يتورّع خلال طلب العلم فإنّه سيقع لا محالة في السّواد أو يبتلى في حياته.

ولابدّ لطالب العلم أيضا أن يجتنب الكلام الكثير، النوم، ويبتعد عن أكل السّوق لأنّه أقرب إلى الخباثة أو أبعد عن ذكر الله تعالى خاصة عدم قدرة الفقراء على شراءه هذا ا يؤدّي زوال بركته، وقد استند لتعليل وجهة نظره هذه إلى أنّه «حكي أنّ الإمام الشيخ الجليل بن محمد بن الجليل كان في حال تعلّمه لا يأكل من طعام السّوق، وكان أبوه يسكن في الرساتيق ويهيئ طعامه ويدخل إليه يوم الجمعة، فرأى في بيت ابنه خبز السوق يوما فلم يكلّمه ساخطا على ابنه فاعتذر ابنه، فقال...ما اشتريته أنا ولم أرض به ولكن أحضره شريكي، فقال أبوه:

---

[1] المصدر نفسه، ص22.

[2] المصدر نفسه، ص62.

[3] برهان الإسلام الزرنوجي: تعليم المتعلّم طريق التعلّم، ص62.

*كلمة معرّبة والجمع الرساتيق: وهي السّواد.

[4] المصدر نفسه، ص76.

لوكنت تحتاط وتتورّع عن مثله لم يجرؤ شريكك على ذلك»[1]، ضف إلى ذلك لابدّ للمتعلّم أن يجتنب كثرة الكلام أو مجالسة المكثار لأنّه يؤدّي إلى انتشار الغيبة وفي هذا قال فقيه موصيا طلاّب العلم أن يحترزوا عن مجالسة المكثار لأنّ ذلك يضيع الوقت: «من يكثر الكلام يسرق عمرك ويضيع أوقاتك»[2]، فمن الورع اجتناب أهل المعاصي، ومجاورة الصّلحاء و الجلوس مستقبل القبلة، ويغتنم دعوة أهل الخير ويحترز عن دعوة المظلومين.

ويوصي "الزرنوجي" المتعلّم أن يكثر من الصّلاة والسّنن ولا يتهاون فيها، ويصلّي صلاة الخاشعين لأنّ ذلك يعينه على التعلّم والتحصيل: «فينبغي لطالب العلم أن لا يتهاون بالآداب والسّنن ومن تهاون بالأدب حرم السّنن، ومن تهاون بالسّنن حرم الفرائض، ومن تهاون بالفرائض حرم الآخرة »[3]، استنادا إلى هذا لابدّ للمتعلّم أن ينكبّ في طلب العلم ولا يكون ذلك إلاّ بتقسيم الوقت وعدم التّهاون في أي من العلوم بل يكون ملّما بها.

و- الشكر والذكر:

إنّ سبب زيادة نبل العلم وتحصيله حسب "الزرنوجي" هو ذكر الله تعالى، وشكره على نعمه؛ خاصة نعمة العقل والعلم. وقد قال أبو حنيفة –رحمه الله تعالى–: «إنّما أدركت العلم وبالحمد والشكر»[4]، فذكر الله وشكره من الأخلاق الحميدة التي أكدّ الإسلام عليها وحثّ طالب العلم على تبنّيها لما لها من آثار إيجابية تعود

عليه وقال "الزرنوجي" في هذا الخصوص: «وهكذا ينبغي لطالب العلم أن يشتغل بالشكر باللّسان والجنان...ويطلب الهداية من الله تعالى بالدّعاء له والتضرّع إليه، فإنّ الله هاد من استهداه»[5] فلابدّ للمتعلّم أن يشكر ويدعو الله بالجوارح وذلك بأن يهدي قلبه ويتضرّع إليه فإنّه هو الهادي.

3–ابن خلدون:

لقد تناول "ابن خلدون" في كتاب « العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السّلطان الأكبر» المعروف بـ"مقدمة ابن خلدون" مسائل تربوية وذلك ضمن المنهج التربوي الذي عدد فيه شروطا وصفات دينية خاصة بالمعلّم والمتعلّم والذي رأى من خلالها وجوب كل واحد منهما

---

[1] المصدر نفسه ، ص77.

[2] المصدر نفسه، ص77.

[3] برهان الإسلام الزرنوجي: تعليم المتعلّم طريق التعلّم، ص78.

[4] المصدر نفسه، ص56.

[5] المصدر نفسه ، ص56.

التحلّي بها حتّى تكون العملية التعليمية ناجحة وصالحة في جميع المجالات، ومن بين الشروط التي عدها في المعلّم نذكر منها:

أ- الإصغاء(السمع):

من الطبيعي أن يكون المتعلّم مقيّدا بمجموعة من الشروط، لأن الإنسان بطبعه لا يكتسب أية خبرة فكرية إذا لم يكن حاملا لهذه الشروط ولهذا يرى "ابن خلدون" ان كل متعلّم مطالب بالاستماع إلى معلّمه في بداية تعلّمه، حتّى يتمكن من استيعاب العلوم والمذاهب قبل أن يتطرّق العالم في بداية تقديم مذهب آخر، ومن هذا فهو يرى أن الاصغاء هو أبو الملكات اللسانية لأنّ الشيء الذي يساعد المتعلّم على فكّ حجة لسانه هي المحاورة والكلام والمناظرة ولكن لا يحدث ذلك إلا من خلال انغماسه في وسط لغوي فيصبح بذلك مقلدا ومرددا أو سامعا إذ قال "ابن خلدون" في معرض تفسيره لقول العامة على أنّ اللغة العربية للعرب[1]:«فالمتكلّم من العرب حيث كانت ملكته اللغة العربية موجودة فيهم يسمع كلام أهل جيله وأساليبهم في مخاطباتهم وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها...ثمّ لا يزال سماعهم لذلك يتجدد في كل لحظة ومن كل متكلّم، واستعماله يتكرر إلى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة ويكون كأحدهم»[2].

وبالتالي فإن الإصغاء للعالم أو إلى عالم آخر يكسب المتعلّم ملكات مختلفة تظل راسخة في ذهنه وقد يصبح بها عالم هو أيضا، فعلى حسب "ابن خلدون" فإنّ التعليم منذ الصغر يظل راسخا لأنّه يصبح الأساس لما بعده فقال: «لأنّ السابق الأوّل للقلوب كالأساس للملكات وعلى حسب أساس وأساليبه يكون حال من يبني عليه»[3]؛أي الأصل فيا لملكات هو من تحصل عليها أوّلا وعلى هذا الأساس يكون حال الجيل الذي يتعلّم عليه فهذه الملكات تحصل في رأي "ابن خلدون":« بممارسة كلام العرب وتركه على السمع والتفطن لخزاص تراكيبه وليست تحصل بمعرفة القوانين العلمية في ذلك...»[4]، وقد أعطى "ابن خلدون" السّمع مكانة عالية في شروط المتعلّم باعتباره الأولى والأنسب في امتلاك ناصية العلم حتّى أطلق عليه أبو الملكات وقد قال في هذا الموقف: «إن الطبيعة وهبت الإنسان لسانا واحدان ولكنّها وهبته أذنين...والحكمة في ذلك هي أن يسمع ضعف ما يتكلّم» وبالتالي فالسّمع أهميته بالغة في حياة أي شخص مهما كانت صفته، خاصة المتعلّم الذي من خلاله

---

[1] ينظر: فاتح زيوان: المنهج التربوي عند ابن خلدون في ضوء علم اللّسان التربوي-الحديث-المقدمة أنموذجا.
www.diwanalarab.com/spipiphp ?pag :article cid-article :436 ,2016/12/28,16 :40.

[2] ابن خلدون: مقدمة، ص 710-711.

[3] المصدر نفسه ، ص688.

[4] المصدر نفسه ، ص719.

يتمكّن من الوصول إلى المعارف والمعلومات التي تدعى لدى "ابن خلدون" بالملكات التي بواسطتها ينمو فكر هذا المتعلّم ويتطوّر أكثر فيصبح بدوره عالم لجيل آخر غير جيله.

ب- الاستعداد:

قبل دخول أي طالب أو متعلّم إلى المدارس التعليمية يجب أن يكون مستعدّا فكريا وعقليا وحتّى جسديا أيضا، فإن استعداده يجعله متفرغا للعلم غير منشغل بشهوات الدّنيا وإغراءاتها فقد قال كتاب مقدمة في هذا الخصوص: «لأنّ المتعلّم إذا حصل ملكة ما في علم من العلوم استعدّ بها لقبول ما بقي وحصل له نشاط في طلب المزيد والنّهوض إلى ما فوق حتّى يستولي على غايات العلم...وهجر العلم والتعلّيم والله يهدي ما شاء»[1]،وهذا يعني أن الحصول على العلم وتقبله لا يحصل إلاّ بالتدرّج والفهم خطوة تلوى الأخرى ولهذا يلّح"ابن خلدون" على ضرورة اتبّاع منهج التدرّج في التعلّيم لأنّ المتعلّم في بداية تعلّمه يكون عاجزا عن الفهم وفي بعض الأحيان لا يتقبّل فكرة ما خاصة إذا كانت هذه الفكرة غامضة ومبهمة تحتاج إلى تحليل وتفسير بإعطائه أمثال حسيّة.

وحتّى يتقبّل المتعلّم للمادة التي يقدمها العالم يجب أن يكون بينهما علاقة وطيدة تجعل المتعلّم بتشوّق لحضور هذه المادة وذلك بعد القيام بدراسة معمقة حول نفسيته واستعداداته[2]«واعلم أيّها المتعلّم أنّي أتحفك بفائدة في تعلّمك فإن تلقيتها بالقبول وأمسكتها بيد الصناعة ظفرت بكنز عظيم وذخيرة شريفة وأقدم لك مقدمة تعينك في فهمها وذلك أن الفكر الإنساني طبيعة مخصوصة فطرها الله كما فطر سائر مبتدعاته وهو وجدان حركة النّفس في البطن الأوسط من الدماغ...ثمّ الصناعة المنطقية هي كيفية فعل هذه الطّبيعة الفكرية النظرية تصفه لتعلّم سداد مخطئ »[3]وإلى جانب هذا فقد دعا "ابن خلدون" المتعلّم إلى ضرورة التقيّد بالمنطق والاستمطار برحمة الله متى أقفلت وأعوز عليه فهم المسائل، وذلك لأن العلم هبة من عند الله سبحانه وتعالى.

ج- مرافقة وملازمة شيوخ العلم والرحلة في طلب العلم:

تعتبر الرحلة في طلب العلم وملازمة المشيخة من أهمّ الركائز التي تقوم عليها العملية التعليمية لدى المتعلّم وذلك لأنّ الرحلة في طلب العلم تمكنّه من لقاء شيوخ كبار ومختلين من حيث الاصطلاحات العلمية والمناهج والطرائق أيضا، فإذا خالطهم الطّالب وامتزج بينهم وأخذ عن كل واحد منهم مادة ومنهج وطريقة حصل على

---

[1] المصدر نفسه، ص684.

[2] ينظر: فاتح زيوان: المنهج التربوي عند ابن خلدون.

[3] ابن خلدون: مقدمة، ص684-685

ملكة قويّة تترسّخ في ذهنه أفضل من التعلّيم على يد شيخ واحد وقد قال "ابن خلدون" في هذا الخصوص ميرزا أهمية الرحلة وملاقاة المشيخة:« فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها والاصطلاحات أيضا في تعليم العلوم...فلقاء أهل العلوم وتعدّد المشايخ يفيده تمييز الاصطلاحات بما يراه من اختلاف طرقهم فيها فيجرد العلم عنها ويعلم أنّها أنحاء تعليم وطرق توصيل وتنهض قواه إلى الرسوخ والاستحكام في المكان ويصحّح معارفه وتميزها عن سواها مع تقوية ملكته...»[1]، فالإنسان إذا بطبعه يأخذ معارفه وأخلاقه باتباع مذاهب وطرق عديدة فأحيانا علما وتعليما والقاء، وأحيانا أخرى محاكاة وتلقينا مباشرة، إلاّ أن هذه الأخيرة تعدّ أشد استحكاما وأقوى رسوخا وهذا ما قاله "عبد الأمير شمس الدّين" من خلال كتاب " الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الأزرق": «والسّبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلون به من المذاهب والفضائل؛ تارة علما وتعليما والقاء، وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة إلاّ أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشدّ استحكاما وأقوى رسوخا»[2]، بالإضافة إلى هذا فقد أكدّ "ابن خلدون" على الرحلة في طلب العلم وذلك لما لها من منفعة في اكتساب للفوائد وكمال للمعارف ورسوخا فقال: «إنّ الرحلة لابدّ منه في طلب العلم واكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشيخة ومباشرة الرجال»[3]، وقد أشار "ابن خلدون" في كتابه " مقدمة " إلى قوله –صلى الله عليه وسلم– : «أنّه من سلك طريقا يطلب فيه علما سهّل الله له طريقا إلى الجنّة وإن الملائكة لتضع اجنحتها رهنا لطالب العلم»؛ أي أن طريق العلم هو الطريق المؤدّي إلى الجنة كما يكسب بها المتعلّم رضوان الله ورسوله وملائكته.

وقد لخّص"ابن خلدون" جل هذه الشروط في قوله: « ذلك أن الحذق في العلم والتفنن فيه والاستيلاء عليه إنّما هو بحصول ملكة في الإحاطة بمبادئه وقواعده والوقوف على مسائله واستنباط فروعه من أصوله، وما لم تحصل هذه الملكة لم يكن لحذق في ذلك المتناول حاصلا».[4]

II –صفات المتعلّم وآدابه:

1–عند"الماوردي":

[1] المصدر نفسه، ص684-685.

[2] ابن خلدون: مقدمة ،ص692.

[3] المصدر نفسه، ص692.

[4] المصدر نفسه ، ص517.

إنّ صلة المتعلّم بالمعلّم أساسيّة وضرورية في إحداث عملية تعلّم سليمة، لأنّ المعلّم هو حجر الزاوية في عملية التعليم وهو التولّي للقيادة التّعليمية والتربوية، وصلة المتعلّم بالمعلّم تبنى على مجموعة من الأمور التالية حسب "الماوردي":

أ- الصّبر على المعلم وإكرامه:

يؤكّد "الماوردي" على المتعلّم أن يصبر على المعلّم وذلك بتدليل النّفس للمعلّم سبب في إدامة صبره عليه وإعطائه مكنون علمه ممّا يظهر الفائدة ويكون الاستكثار من العلم وبلوغ المراد من العلم. فعلى المتعلّم أن يتودّد ويتلطّف بالمعلم حتّى لا يندم وفي هذا يقول "الماوردي": « لأنّ التملّق للعالم يظهر مكنون علمه، والتّذلل له سبب لإذامة صبره، وبإظهار مكنونه تكون الفائدة وباستدامة صبره يكون الاكثار»[1]. فبقدر التملّق للعالم بقدر ما يظهر من علوم وتحصيل مجموعة من الفوائد التي يحتاجها ،ومن جانب آخر لابدّ أن يعرف طالب العلم فضل معلّمه وذلك بإكرامه وتوقيره، ويشكر له جميل فعله فقد أكدّ «الماوردي" ذلك بقول"علي بن أبي طالب–رضي الله عنه–«لايعرف فضل اهل الفضل إلاّ أهل الفضل»[2]، فضلا عن ذلكفإنّ التودّد والتملّق للمعلّم وإكرامه يؤدّي إلى توقير الله عزّوجلّ فقد قال الرّسول صلى الله عليه وسلم:«من ووقرّ عالما فقد وقرّ ربّه»[3] فإكرام المعلّم وشكره لا يتعلّق فقط بالمعلّم ذا المنزلة والذي يحتل شهرة بين النّاس لأنّ قيمة المعلّم فيما يقدّمه من العلم وفي هذا يقول "الماوردي" :«ولا يمنعه من ذلك علوّ منزلته إن كانت له، وإن كان العالم خاملا* فإنّ العلماء بعلمهم قد استحقوا التّعظيم وبالقدرة والمال»[4]، ففضل المعلّم كبير لدى لابدّ من تعظيمه وإكرامه واحترامه.

ب- الاقتداء بالمعلّمين:

يجب على المتعلّم أن يقتدي بالمعلّم والاقتداء هنا ليس مطلقا، بل يجب أن يكون في رضى أخلاقهم والأفعال الطّيبة، لأنّ ذلك ممّا يزيد من الألفة بالمعلم، ويساعد على اكتساب الأخلاق الحميدة ومجانبة ما خلفها يقول "الماوردي":« وليكن مقتديا بهم في رضى أخلاقهم، متشابها بهم في جميع أفعالهم ليصير لها ألفا وعليها ناشئا ولما خالفها مجانيا»[5]، وفي هذا يقول النبي –صلى الله عليه وسلم –:«خيار شبابكم المتشبهون بشيوخكم وشرار

---

[1] أبو الحسن الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص77.

[2] أبو الحسن الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص77.

[3] المصدر نفسه، ص 77.

* خاملا : لا منزلة له ولا شهرة له بين النّاس.

[4] المصدر نفسه ، ص78.

[5] المصدر نفسه، ص78.

شيوخكم المتشبهون بشبابكم»[1] ،وعليه فالمتعلّم لابدّ أن يقتدي ويتشبّه بمعلّمه لكونه يمثّل المثل الأعلى له في جميع جوانب الحياة.

ج- الأدب مع المعلّم:

يوصي "الماوردي" طالب العلم أن يحذر من التبسيط والتسلّط، والاستيلاء مع المعلّم طريق الإدلال«...وليحذر المتعلّم التبسيط على من يعلّمه وإن لآنسه، والادلال عليه وإن تقدّمت صحبته»[2]وفي الوقت نفسه ينصحه بأن يوازن ويتّزن، فلا يظهر للمعلّم انّه قد استكفى من علمه واستغنى عنه، لأنّ في ذلك كفر بنعمته واستخفاف بعلمه، حتّى ولو كان المعلّم فطنا ذكيّا ويؤكّد "الماوردي" هذا بقوله« ولا يظهر له الاستكفاء منه والاستغناء عنه فإنّ في ذلك كفرا لنعمته واستخفافا بحقّه، وربّما وجد بعض المتعلّين قوة في نفسه لجودة ذكائه وحدّة خاطره، فقد من يعلّمه بالإعنات له، والاعتراض عليه إزراء به ..»[3]،فوجب على المتعلّم أن يتأدّب مع المعلّم دون إيقاعه في المشقة، ولا يسكته بالحجج لأنّ ذلك يعتبر من مصائب العلماء وفي هذا يؤكدّ" الماوردي" أنّه قيل« لبعض العلماء من أذلّ النّاس فقال: عالم يجري عليه حكم جاهل»[4]،فعلى الطّالب أن يعتبر حق المعلّم كحق الوالد لأنّ بالعلم الذي يقدمه له ينال الشرف والاحترام.

د- الاختيار:

وللماوردي رأيه في اختيار من يتتلمذ عليه الطّالب، منبثقا من قاعدة أساسية وهي أنّه ليس لطالب العلم أن يأخذ العلم لحسن الذّكر وذيوع الصيت، بل لوجه الحقيقة والوصول إليها. وما دامت وجهة طالب العلم الحق والحقيقة يقول" الماوردي": « ولا يطلب الصيّت وحسن الذّكر، باتباع أهل المنازل من العلماء إذا كان النّفع بغيرهم أعمّ إلا أن يستوي النفعان فيكون الأخذ عمّن اشتهر ذكر، وارتفع قدره أولى، لأنّ الانتساب إليه أجمل والأخذ عنه أشهر»[5] فلابدّ إذا على طالب العلم حسب "الماوردي" أن يختار العلم بنفسه، ويكون على دراية به وفي هذا يقول:« وإذا قرب منك العلم فلا تطلب ما بعد، وإذا سهل من وجه فلا تطلب ما صعب وإذا حمدت من خبرته فلا تطلب من لم تختبره فإنّ العدول عن القريب إلى البعيد عناء وترك الأسهل بالأصعب بلاء والانتفال

---

[1] المصدر نفسه، ص 78.

[2] المصدر نفسه، ص78.

[3]أبو الحسن الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص78.

[4]المصدر نفسه ، ص79.

[5] المصدر نفسه، ص81.

من المخبور إلى غيره خطر»[1]، لزم للمتعلّم أن يتدرّج في طلب العلم، بحيث لا يطلب الآخر قبل الأوّل ولا الصّعب قبل السّهل، فلا يدرك أيّا منهما.

هذا وقد قال بعض الحكماء: «القصد أسهل من التعسّف، والكفّ أودع من التكلّف وربما يتّبع الانسان من بعد عنه استعانة بمن قرب منه، وطلب ما صعب احتقارا لما سهل عليه، وانتقل إلى من لم يخبره مللا لمن خبره فلا يدرك محبوبا ولا يظفر بطائل»[2].

ه- الإيجابية:

ويقصد بها إيجابية المتعلّم وفعاليته، وتعدّ هذه نقطة في غاية الأهميّة في فكر "الماوردي"، حيث يؤكّد على ضرورة تجنّب الخجل خلال طلب العلم وذلك بكثرة سؤال أهل العلم، فقد روي عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أنّه قال: «العلم خزائن ومفتاحه السؤال فاسألوا رحمكم الله فالها يؤجر في العلم ثلاثة القائل والمستمع والآخذ»[3]، فقد أكدّ "الماوردي" على ضرورة السؤال لأنّ الغرض منه هو إزالة الشكوك ونفى الشبهة فحق عليه في قوله: «وليس كثرة السؤال فيما التبس إعناتا ولا قبول ما صحّ في النّفس تقليدا»[4] ، فعلى المتعلّم أن يجدّ ويجتهد وذلك بكثرة السّؤال لأنّ ذلك يزيل الإبهام والغموض ويشجّع على اكتساب وتحصيل العلم.

2–عند الزرنوجي:

أ- تعظيم الأستاذ:

يرى "الزرنوجي" أن تقدير جهود الأستاذ، واحترام أسرته شرط لتأمين التّفاعلية الاجتماعية، وهي مرتكز أساسي في تدبير الوسط المدرسي، وتسيير الفصل وإنضاج شخصية المتعلّم في جوانبها العقليّة والنّفسية والاجتماعية، يقول في هذا الشأن: «اعلم أنّ طالب العلم لا ينال العلم ولا ينتفع به إلاّ بتعظيم العلم وأهله وتعظيم الأستاذ»[5] ففضل المعلّم لا تحصى خاصة في إرشاده وتوجيهه لطالب العلم، فلزم عليه أنّ يعظّمه ويكرمه. أمّا إن اعترض عن هذا فإنّه يحرم من بركة العلم، ولا ينتفع به فمن تعظيم العلم تعظيم الأستاذ ويورد

[1] المصدر نفسه، ص82.
[2] المصدر نفسه، ص82.
[3] أبو الحسن الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص81.
[4] المصدر نفسه ،ص80.
[5] برهان الإسلام الزرنوجي: تعليم المتعلّم طريق التعلّم، ص25.

"الزرنوجي" مقولة للإمام علي-كرّم الله وجهه-يقول فيها: «أنا عبد من علّمني حرفا واحدا، إن شاء باع، وإن شاء استرق»[1] وعليه لابدّ للمتعلّم أن يقابل معروف وفضل معلّمه بالجميل؛ أي احترامه وتعظيمه واكرامه.

ب- توقير الأستاذ:

يعدّ احترام الأستاذ وتوقيره من أهمّ الآداب التي أكدّ عليها "الزرنوجي" في كتابه، حيث حثّ طالب العلم أن لا يمشي أمامه ويحترمه؛ ابتداء الكلام بإذنه (طلب الإذن في الكلام) مع عدم الاكثار منه، ولا يدق الباب حتى يخرج الأستاذ فيقول: «ومن توقير المعلّم أن لا يمشي أمامه، ولا يجلس مكانه، ولا يبتدأ بالكلام عنده إلاّ بإذنه، ولا يكثر الكلام عنده، ولا يسأل شيئا عند ملازمته ويراعي الوقت، ولا يدقّ الباب بل يصبر حتّى يخرج الأستاذ»[2].

لزم على المتعلّم أن يوقّر أستاذه ويطيعه فيما يأمر، ويجتنب عمّا نهاه:« فالحاصل أن يطلب رضاه ويجتنب سخطه، ويمتثل أمره في غير معصيته، فإن لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»[3] فربدّ للمتعلّم أن يطلب رضا معلّمه، ويمتثل لأوامره غير معصية الله، فإنّها تعدّ من الكبائر التي نهى عنها الله عزّ وجلّ، ومن جانب آخر ينبغي للمتعلّم أيضا حسب" الزرنوجي":«أن لا يجلس قريبا من الأستاذ عند السّبق بغير ضرورة بل ينبغي أن يكون بينه وبين الأستاذ قدر القوس فإنّه أقرب إلى التّعظيم»[4]، فمن واجب المتعلّم أن لا يجلس قريبا من الأستاذ بل يترك بينه وبين المعلّم حدّ لأنّ بذلك يعبّر عن تعظيمه.

إنّ توقير الأستاذ يستلزم توقير حرمه وأولاده وكلّ مالديه صلة أو قرابة بهم، يدعّم "الزرنوجي" رأيه بقوله: «أنّ واحدا من أكبر أئمة بخارى كان يجلس مجلس الدّرس، وكان يقوم خلال الدرّس أحيانا فسألوه عنه؟ فقال: إنّ ابن أستاذي يلعب مع الصّبيان في السّكة، ويجيئ أحيانا إلى باب المسجد، فإذا رأيته أقوم له تعظيما لأستاذي»[5] لأستاذي»[5] فاحترام أولاد المعلّمين وتوقيرهم إنّما جاء من ردّ الفضل له فيما قدّم من علوم وأخلاق وفي توقير الأستاذ يستند "الزرنوجي" إلى حكايات عديدة حول توقير العلماء والخلفاء وأولادهم لأساتذة العلم ومنها قصّة الخليفة "هارون الرّشيد" الذي بعث ابنه إلى "الأصمعي" ليعلّمه العلم والأدب فرآه يوما يتوضأ ويغسل جلله وابن

---

[1] المصدر نفسه، ص 25.

[2] المصدر نفسه، ص26.

[3] برهان الإسلام الزرنوجي: تعليم المتعلّم طريق التعلّم ، ص26.

[4] المصدر نفسه ،ص32.

[5] المصدر نفسه، ص 27.

الخليفة يصبّ عليه الماء، فعاتب "الأصمعي" في ذلك بقوله: «إنّما بعثته إليك لتعلّمه وتؤدبه، فلماذا لم تأمره بأن يصبّ الماء بإحدى يديه، ويغسل بالأخرى رجلك»[1] وبالتالي كانت من أهمّ مهام المعلّم هو تعليمهم الأخلاق وتأديبهم ووجب على المتعلّم أيضا أن يحترز عن السّلوكات الذميمة التي نهى عنها الإسلام من نميمة، وحسد، وغدر، وتكبّر فقال"الزرنوجي":«ونبغي لطالب العلم أن يحترز عن الأخلاق الذميمة... خصوصا عن التكبّر لا يحصل»[2]،فوجب على المعلّم إذا أن يحترم ويوقّر أستاذه مبتعدا في ذلك عن السّلوكات السيئة التي تضرّه.

ج- التحلّي الجد والمواظبة والهمّة:

يتطرّق "الزرنوجي" بعد ذلك إلى ضرورة اتّسام المتعلّم بالجدّ والهمّة والمواظبة، ويقدّم نصائحه قائلا: «من أسهر نفسه باللّيل فقد أفرح قلبه بالنّهار، ولابدّ لطالب العلم من المواظبة على الدرّس والتكرار في أوّل اللّيل وآخره، فإنّ ما بين العشاءين ووقت السّحر وقت مبارك»[3] فعلى المتعلّم أن يجتهد ويواظب بسهر اللّيالي والتّكرار على الدرّس حتّى ينجح ويفرح قلبه في النّهار، فمن أراد أن يصل إلى مراتب عليا أن يكدّ في طلب العلم عن الأستاذ، ولا يكون ذلك إلاّ بحسن الاستماع والسؤال يقول"الزرنوجي": «قيل لابن عبّاس-رضي الله عنهما-بم أدركت العلم قال: "بلسان سؤول وقلب عقول»[4] فبقدر التّكرار على الدرّس وسؤال أهل العلم بقدر نبل العلم النافع.

يعدّ التأمل والتفكر أيضا جانبان من جوانب عمليّة التعلّم عند "الزرنوجي" وذلك بقوله: «ينبغي لطالب العلم أن يكون متأمّلا في جميع الأوقات وفي دقائق العلوم وذلك فإنّما يدرك الدقائق بالتأمّل»[5] فالتأمل يلعب دورا دورا هامّا في الفهم الجيّد، وقد اشترط صاحب "تعلّيم المتعلّم طريق التعلّم" أن يكون التّكرار على فترات متقاربة بدلا من التّكرار المتصّل، وإنّ تكرار مادّة الحفظ والمراجعة في فترات متفاوتة يساعد على تثبيت المعلومات، ويكون ذلك ما بين العشائين ووقت السّحر.

فضلا عن ذلك لابدّ للمتعلّم أن لا يجهد نفسه حتّى لا ينقطع عن العمل، بل يرفق بها ويجد الحلّ الملائم للحفظ وللعلم، ويؤكد "الزرنوجي" ذلك بقوله: «ولا يجهد نفسه جهد يضعف النّفس حتّى ينقطع عن

---

[1] المصدر نفسه، ص28.

[2] المصدر نفسه، ص32-33.

[3] برهان الإسلام الزرنوجي: تعليم المتعلّم طريق التعلّم، ص36.

[4] المصدر نفسه، ص81.

[5] المصدر نفسه، ص53.

العمل، بل يستعمل الرّفق في ذلك، الرّفق أصل عظيم في جميع الأشياء»[1]،فعلى كلّ شخص أن يكون رفيقا على نفسه مبتعدا قدر المستطاع عن الإجهاد الذي يظرّ بها، ويستشهد "الزرنوجي" في هذا بقوله صلى الله عليه وسلم: «نفسك مطيّتك فارفق بها»[2]فبهذا يوصي عليه الصّلاة والسّلام بالنفس لأنّها أغلى شيئ يمتلكه الإنسان.

***مقارنة صورة المتعلّم ضمن المدونات الأربع:**

إنّ التّعليم عملية مقصودة تتطلّب نشاطا تبادليا يتفاعل فيها المعلّم مع المتعلّم، هذا الأخير باعتباره أساس ومرتكز عمليّة التعلّيم، فقد حثّ العلماء على مجموعة من الشروط والآداب الواجب توفرّها عنده، وذلك اتفاقا واختلافا فيما بينهم.

1- الشروط والصّفات المتفق عليها بين العلماء:

من بين الشروط المتفق عليها بين العلماء شرطين وحيدين ويعتبران أساسيّين آنذاك وهما:

أ- الصّبر: أكدّ "الزرنوجي" على ضرورة اتّصاف المتعلّم بالصّبر، فبه يستطيع أن يتحمّل جميع المكارم أمّا"الماوردي" فإنّه اعتبر الصّبر عبارة عن سلوك يقوم به المتعلّم اتجاه المعلّم، وذلك يتحمّل مشقّة العلم وما يقدمه له من معارف، فلا علاقة بين المعلّم والمتعلّم دون صبر وتحمّل المشقة والتّعب.

ب- اختيار العلم: اعتبر "الزرنوجي" أن المتعلّم له الحرية في اختيار العلم النافع الذي يحتاجه خاصة ما ارتبط بالعلوم الدّينية كالفقه وعلم الحديث. أمّا "الماوردي" اعتبر أنّ عملية اختيار العلم تعدّ من أهمّ صفات المتعلّم والتي يجب أن يتحلّى بها داخل مجال التّعليم لاعتباره نابع من صميمه ورغبته فيه، وخدمته للدّين الإسلامي من جانب آخر.

2- الشروط والصّفات المختلف فيها:

أ- النيّة: يرى "الزرنوجي" أنّ العلم لا يطلب لأغراض دنيويّة، لأنّ ذلك يشغل النّفس ويبعدها عن جهة الصّواب. فالمتعلّم لا يستطيع أن يعطي العلم حقّه، بل وجب عليه أن يتحلّى بإخلاص النيّة لله ولا يجعل المناصب همّه والتي

[1] المصدر نفسه، ص38.

[2] المصدر نفسه، ص38.

لا تكفل النّجاح في الدّنيا والآخرة. أمّا "الماوردي" فقد اشترط على المتعلّم توفره على جملة من الشروط السيكولوجيّة والبيولوجيّة التي تساعده في اكتساب العلم.

ب- الاستعداد: حثّ "ابن خلدون" المتعلّم على الاستعداد قبل التوجّه لطلب العلم من كل الجوانب الفكرية والعقلية، والنفسية وحتّى الجسمية مها، فهو يرى من الاستعداد شرط واجب على المتعلّم من أجل القدرة على تحصيل علمي أكثر ويكون إنجازه في المؤسسات التعليمية مقدرا من كل الأطراف المساهمة في التعلّيم، على عكس"الزرنوجي" الذي فرض على المتعلّم أن يكون ذا همّة عالية مواظبا ومجدا أثناء تواجده في مجلس التعلّيم لأنّ ذلك على حسب رأي "الزرنوجي" يكون ذا فائدة كبيرة على شخصية المتعلّم واندماجه مع المعلّم إذ يؤدّي هذا الاندماج إلى تفاعل وتواصل وتوطيد لعلاقة تعليمية وتربوية بينهما.

ج- التوكّل: يعدّ التوكّل على حسب رأى"الزرنوجي" شرطا من أهمّ الشروط التي تبرز شخصية المتعلّم وتكسبه ثقة وعزيمة بنفسه واحتراما من قبل معلمه وأفراد مجتمعه، لأنّ التوكّل على الله دائما يزيد من تحصيل العلم والمعرفة فسبحانه وتعالى يرزق النّاس من حيث لا يعلمون، وقد وظف"الزرنوجي" هذا الشرط حتّى ينبّه المتعلّم بالابتعاد عن التكبّر والافتخار بنفسه، وترك ملذا الدنيا وشهواتها لأنّ في التوكّل تواضع. ومن جهة أخرى نجد أنّ "الماوردي" قد أكدّ على الاقتداء بالمعلّم باعتباره هذا الأخير المثالي والقدوة الأعلى له، فالتوكّل على الله والاقتداء بالمعلّم من أهمّ سبل النّجاح في عمليّة التحصيل العلمي خاصة والتحصيل الأدبي والأخلاقي عامة فتطرّق "الماوردي" إلى مثل هذا النوّع من الصّفات لم يكن عبثا وإنّما جاء به من ظروف عصره الذي عاش فيه والذي ساد فيه نوعا من الحروب والصّراعات، وحتّى لا يكون لديك تأثيرا على المتعلّم ألحّ على التمسّك بكل ما يجعله منضبطا غير متمردا على معلمه أو أفراد مجتمه.

د- الرحلة في طلب العلم: وجد "ابن خلدون" في الرّحلة أهمية كبيرة تعود بالنّفع على المتعلّم خاصة في العصر الذي عاش فيه وذلك للتطورات العلمية التي حدثت آنذاك فقد ظهرت علوم آلية جديدة أكثر تطورا على العلوم التي ظهرت قبل عصره، فالرحلة على حسب رأيه يعني الأخذ بالعلوم من كل جهة في بقاع المعمورة وأخذ الخبرة واكتساب للمعارف من علماء آخرين مختصين في شتى العلوم ، وبهذا انفرد "ابن خلدون" في شروط المتعلّم خاصة في الرحلة لأنّ العصور التي عايشها كل من"الماوردي" و"الزرنوجي" كانت منحصرة في علوم دقيقة ومعدودة لهذا اكتفوا بأخذها من علماء بيئتهم.

أمّا "ابن سحنون" فقد اكتفى في الحديث عن المعلم من خلال مؤلفه " أداب المعلمين" ولم يتطرّق للمتعلّم لأنّ عصره كان يعطي الأولوية للمعلّم على حسب المتعلّم.

المبحث الثالث: المادة المعرفية.

تعتبر اللّغة العربيّة أشهر لغات العالم وأكثرها انتشارها، وذلك نظرا للمكانة التي تحتلّها في العالم العربي الإسلامي خاصة والعالمي عامّة لأنّها لغة نزول القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، فهي تمثّل أحد أهمّ ركائز المجتمع للدّور الكبير الذي تلعبه في حياة الفرد والمجتمع وعلى الرّغم من اختلاف المؤرخين حول أصلها، إلاّ أنّها ظلّت اللّغة ذات الأهميّة البالغة عند جموع المسلمين حول العالم من خلال تأثيرها في العديد من اللّغات الأخرى مدى العصور.

1- تعريف المادة المعرفية.

لم تبق اللّغة العربية مجرّد لغة بسيطة وضعيفة بل وصلت إلى أوّج تطوّرها وذلك للعناية البالغة التي خصّها بها العلماء العرب القدامى من خلال جمعها وتدوينها رغبة في الحفاظ على سلامة استعمالها من اللّحن، كما سعى كلّ واحد منهم للنّهوض بها، فتداولوها في كتبهم ومؤلفاتهم ودواوينهم، فأصبحت لغة الكتابة والقراءة تستعمل في العبادة فلا تتمّ الصلاة إلاّ بها، كما تستخدم في التّدريس لأنّ معظم العلوم تقوم عليها لذلك صنّفها العلماء من أهمّ أركان العمليّة التعليميّة إلى جانب العالم والمتعلّم.

***تعريف اللغة:**

1/ **لغة:** «لغا يلغو: إذا تكلّم، أو لغي يلغي: إذ ألهج».[1]

يقول "ابن جني": «أمّا تصريفها ومعرفة حروفها فإنّها فعلَة من لغوت أي تكلّمت وأصلها لغوة ككرة وقلّة وثبة كلها لاماتها واوات، لقولهم كروة بالكرة وقلوت بالقلّة، وقيل منها لغي يلغي إذا هدى ومصدره اللّغا قال:

وربّ أسراب حجيج كظم عن اللغاور وزقت التكلّم

وكذلك اللغو، قال سبحانه وتعالى:﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً ﴾. أي بالباطل»[2]

2/ **اصطلاحا:** فقد تعاقب عليها العلماء بتعاريف عامّة وخاصة عند بعضهم، وأدرجوها في قولهم: «هي ظاهرة اجتماعية مرتبطة بالجماعة لا بالفرد، حيث لا يتصرّف الفرد إلاّ ضمن الحدود المرسومة له من قبل الجماعة النّاطقة وهي في الوقت نفسه ظاهرة لسانية بحتة خاضعة لقوانين نظامها بكلّ مستوياته: الصوتي، الصرفي، التركيبي والدّلالي»[3]،كما عرّفها "ابن جني"(391هـ) بقوله: «حدّ اللّغة أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم»[4]، فاللغة هي الوسيلة التي يعبر بها الإنسان عما بداخله وعن أغراضه المختلفة.

2- صورة المادة المعرفية عند العرب القدامى.

تعدّ المادة المعرفية من أهم المواضيع التي اهتم بها العلماء القدامى، لأنها تمثل القطب الثالث من العملية التعليمية التي خصوا بها عناية كبيرة وذلك نظرا للدور الذي قدمته من أجل نشر القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وبما أنها اللغة التي نزل بها القرآن الذي أدى إلى حفظها وحمايتها من الاندثار عمل كل اللغويون والنحات من اللحن.

لقد تعاقب اللغويون في تعريفها وإبراز مكانتها وقد عرّفها "ابن سنان الخفاجي" بقوله « اللغة هي ما يتواضع القوم عليه من الكلام»[5]، أمّا "الكندي" فهو يرى «بأنّها الوسيلة التي يتخذها المجتمع لنشر الثقافة من الماضي إلى الحاضر، ومن السّلف إلى الخلف، وهي مستودع التراث الثقافي والحضاري، إذ تستطيع من خلال

---

[1] سليمة برطولي: جهود علماء العربية في الحفاظ على السلامة اللغوية، مذكرة مكملة لنيل شهادة الدكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر،2009/2008، ص189.

[2] ابن جني (أبو الفتح): الخصائص، ج1، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط2، 2003، ص87.

[3] ينظر: فتيحة حدّاد: ابن خلدون وآراؤه اللّغوية والتعليمية (دراسة تطبيقية نقدية)، مخبر الممارسات اللّغوية في الجزائر، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر،2011،ص23.

[4] ابن جنّي: الخصائص، ج1، ص87.

[5] ابن سنان الخفاجي (أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد) سر الفصاحة، دار الكتب العلمية للنشر، (دب)، ط1، 1982، ص48.

كلمات اللّغة وألفاظها معرفة الخبرات البشرية ولولا الكتابات والرسوم التي بقيت من مخلفات الماضي لما عرفنا شيئا عن خبراتها»[1]،إذا فاللّغة هي أصوات يعبّر كل قوم بها عن أغراضهم، وتعريفها هذا بوظيفتها يختلف عن تعريفها بحقيقتها وعلاقتها بالإنسان لأنّها الأداة التي يتميز بها الإنسان عن الحيوان؛ فوظيفتها الأساسيّة التبليغ والتّواصل تساعد أي جنس بشري مهما كان انتماؤه التّواصل مع أفراد هذا المجتمع، وقد ذكر"سبويه" في كتابه "الكتاب" مصطلح "اللغة" وقال بأنّها« شكل من أشكال إنجاز جماعة بشريّة، أي الإمكانات التّعبيرية التي تستعملها العرب في التّواصل»[2].

وعند العودة إلى الكتب التراثية نجد بأنّ معظم العلماء والنّحاة يرون أنّ اللّغة هي تلك المادّة المعرفية التي تستخدم في العمليّة التّعليمية هذا من جهة، ومن جهة أخرى نجد بأنّ البعض منهم قد أطلق عليها اسم "الملكة" أو "اللّسان" وهذا الأخير الذي اعتبره "الزمخشري" هو اللّغة ذاتها فقال: «اللّسان هو اللّغة»[3]، وقال أيضا «ومعناه بلسان قومه بلغة قومه، و قرئ بلسن قومه، واللّسن واللّسان كالريش والرّياش بمعنى اللّغة»[4]أمّا "الملكة" فقد عرّفها "ابن منظور" في معجمه لسان العرب:« طال ملْكه ومُلْكُه ومَلْكَه ومَلَكَتَه(عن اللّحياني) أي: رقّه. ويقال: إنّه حسن الملكة والملك(عنده أيضا) وأقرّ بالملكة والملوكة. أي: الملك وفي الحديث...لا يدخل الجنّة سيئ الملكة متحرك: أي الذي يسيء صحبة المماليك ويقال: فلان حسن الملكة إذا كان حسن الصّنع إلى مماليكه. وفي الحديث حسن الملكة نماء، هو من ذلك»[5] فتعريف "الملكة" هنا قد أعطى لها بعدا أخلاقيا.

أمّا من الناحية "الاصطلاحيّة": فهي التي نحصل عليها بالمران والدّربة والتعلّم والصّقل والمعاناة والتّكرار حتى تصبح صفة راسخة في نفس المتكلّم[6]. فالملكة إذن هي القدرة التي يكتسبها الإنسان بالفطرة والتجربة، ممّا يؤدّي إلى اكتساب وتحصيل مجموعة من المعارف والمواقف التي تدلّ على جودة المهارة وكفاءة الصّناعة.

بما أنّ اللّغة العربيّة أهمّ عناصر العمليّة التّعليمية، فقد حثّ العلماء بذلك على ضرورة تعليمها وتعلّمها لأنّ عملية التعليم وطرق نقل اللّغة قد شغف به الإنسان منذ أقدم العصور وذلك بشتّى الطّرق والوسائل في جميع المؤسسات والأماكن التّعليمية، لكونها لغة القرآن بالدّرجة الأولى، وأمّ العلوم بالدّرجة الثانية. فانتشرت في معظم

---

[1] محمود عبد اللّطيف: الفكر التربوي عند الكندي، ص189-190.

[2] سبويه (أبي بشر عمر بن عثمان): الكتاب، ج1، تح: عبد السّلام هارون، مكتب الخانجي، القاهرة، ط3، 1988،ص50.

[3] الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي): الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار عالم المعرفة، (دب)، (دط)، (دت)،ص344.

[4] الزمخشري : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ،ص 293.

[5] ابن منظور: لسان العرب، ج14، ص126.

[6] نادية رمضان النجار: اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، مصر، (دط)، (دت)، ص20.

أرجاء المعمور وبلغت بذلك ما بلغه الإسلام فكان بذلك سندا هاما لها حيث أبقى على روعتها وخلودها، هذا ما زاد على الصّلة التي تربط بين العربيّة والإسلام، وقد أكدّ ذلك ما جاء على لسان العديد من علماء العرب منهم "ابن تيمية" الذي قال:« إنّ نفس اللّغة العربيّة من الدّين ومعرفتها فرض واجب، فإنّ فهم الكتاب والسنّة فرض ولا يُفهم إلاّ بفهم اللّغة العربيّة وما لا يتمّ الواجب إلاّ به فهو واجب»[1]؛ أي أنّ تعليم اللغة العربية كان دائما مرتبطا بتعاليم الدّين والسنّة، ولا يفهم هذين الأخيرين إلاّ بفهمها، وبما أنّ القيام بالأمور الدّينية واجب فإنّ تعلّمها واجب.

إلى جانب "ابن تيمية" نجد أيضا "ابن فارس"(ت 395هـ) الذي يحثّ على تعلّم العربيّة لارتباطها بالدّين الإسلامي بقوله:« وإذا كان كذلك فلا وجه لقول من يجيز قراءة القرآن في صلاته بالفارسية ترجمة غير معجزة. وإنّما أمر الله جلّ ثناؤه بقراءة القرآن المعجز. ولو جازت القراءة بالترجمة الفارسيّة لكانت كتب التفسير والمصنّفات في معاني القرآن باللّفظ العربي أو لا يجوز الصّلاة بها. وهذا لا يقوله أحد»[2]، وعليه فاللّغة العربيّة تخدم الدّين الإسلامي أوّلا إذ لا يجوز الصّلاة وقراءة القرآن إلاّ بها.

3- صورة المادة المعرفية في المدونات الأربع:

تطرّق بعض اللّغويين إلى مسألة تعلّم واكتساب اللّغة وسنحاول أن يبرز بعض الآراء المتفرقة لكثير من علماء العرب القدامى الذين اهتموا بقضية تحصيل اللّغة وإبراز أهمّ البرامج والمناهج التي تقوم عليها:

1- عند ابن سحنون:

أكدّ "ابن سحنون" على أهمية تعليم تعاليم القرآن وإتقان اللّغة العربيّة، إذ كانوا يتسارعون للدّخول في الإسلام وتعلّمه، وتعلّم لغتهم وآدابهم وأخلاقهم كبارا وصغارا، غنيّا وفقيرا وكما جاء في قوله في كتاب "آداب المعلّمين":« كانوا يتزاحمون أفواجا على الدّخول في الإسلام، وبذلك ينضمون إلى صفوف الفاتحين....ويتعلمون دينهم ولغتهم وآدابهم وأخلاقهم كبارا وصغارا سواسية في ذلك...»[3] وقد استشهد "ابن سحنون" على قول"أبي الدّرداء" الذي قال أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من أخذ على تعليم القرآن قوسا قلّده الله قوسا من

---

[1] يحي علاّق : أهمية السّماع في اكتساب اللّغة وفي تعلّمها قبل التمدرس، قسم اللغة والآداب العربي، كلية الآداب واللّغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر،1011/2010، ص71.

[2] ابن فارس (أبي الحسين أحمد بن زكريا): الصاحبي في فقه اللّغة العربيّة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تح: أحمد حسن بسبج دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1997،1، ص33.

[3] ابن سحنون: آداب المعلّمين، ص34.

نار يوم القيامة»[1]؛ أي أنّ تعليم اللّغة العربيّة كان قائما أساسا على مادة معرفية خاصة بتعليم معاني القرآن وأساليبه من إعراب ورسم بالشّكل وإتقان للهجاء، وقراءة حسنة متّبعة في ذلك قراءة "نافع" لجودتها وسلامتها إذ قال في ذلك:« أمّا ما فرض تعليمه وجوبا فالقرآن الكريم مع إعرابه ورسمه بالشّكل وإتقان الهجاء والقراءة الحسنة من توقيف وترتيل والأنسب أن تكون بقراءة نافع لحسن طريقتها»[2] ، كما اشترط"ابن سحنون" الابتعاد عن التلحين والتّغني عند قراءة القرآن مستندا في ذلك لقول الرّسول صلى الله عليه وسلم: «إنّ الله تعالى يحبّ أن يقرأ القرآن كما أنزل»[3]؛ أي بدون تحريف وتصحيف أو زيادة أو نقصان هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد استحسن "ابن سحنون" تعلّم علوم أخرى كالحساب والشعر وأخبار العرب وأنسابهم والنّحو والغريب والخط الحسن والخطابة»[4].

ومنه فإنّ المواد التي تنص على تعليمها للمبتدئين هي الغاية المطلوبة في تثقيف أذهان المسلمين في ذلك العصر وتأهيلهم إلى التدرّج باعتبار هذا الأخير من أهمّ المناهج التي حثّ عليها القدامى في دراسة العلوم الرّاقية رغبة في الوصول إلى درجة الكمال. وقد استدلّ صاحب كتاب "آداب المعلّمين " إلى قول الصّحابي" عتبة بن أبي سفيان–رضي الله عنه– موصيا معلّم أولاده بقوله:«...علّمهم كتاب الله ولا تُمَلهم فيه فيتركوه، ولا تتركهم فيه فيهجروه وروّهم من الحديث اشرفه، ومن الشّعر أعفّه، ولا تنقلهم من علم إلى آخر حتّى يحكموه...وعلّمهم سير الحكماء وأخلاق الأدباء»[5].

ومنه فإنّ"ابن سحنون" كان دائما يحثّ على ضرورة تعليم اللّغة العربية من خلال مناداته بأهمية وجوب تعلّم القرآن الكريم ولا سيما في الصّغر واعتباره المنهج الأساسي في التربية الإسلاميّة.

2- الماوردي:

يوضح "الماوردي" في كتابه " أدب الدّنيا والدّين " على ضرورة تعلّم اللّغة العربية واعتبارها مرتكز في عملية التعليم، لارتباطها بعلم اللّغة، هذه الأخيرة يأتي في الأهمية بعد القرآن الكريم والفقه والحديث، فحسبه أنّ اكتساب العربيّة هي بداية الطّريق في التّعليم والتّرتيب في العلم؛ أي بداية تعليم اللّغة وتحفيظها في فترة الشباب

[1] المصدر نفسه، ص35.
[2] المصدر نفسه، ص42.
[3] المصدر نفسه ، ص43.
[4] ينظر: المصدر نفسه، ص48.
[5] ابن سحنون: آداب المعلّمين ،ص48.

فالعربية شديدة القرب من قلوب أبنائها من العرب لارتباطها الوثيق بالقرآن الكريم لذلك حثّ على تعلّمها خاصة أن علم العربية يعتبر من فروع العلوم الدّينية بجانب تعلّم القرآن الكريم والفقه الحديث لذلك تعدّ الطّفولة المبكرّة هي المرحلة الأولى لتعلّم اللّغة، ثمّ تأتي مرحلة القدرة على التعلّم من القرآن الكريم والأدب[1]، ضف إلى ذلك فإنّه يحثّ على تعلّم جميع العلوم لما لها من الفوائد الكثيرة وذلك بقوله: «واعلم أنّ كلّ العلوم شريفة، ولكلّ علم منها فضيلة والإطاحة بجميعها محال»[2] وعليه فإنّ عقل الإنسان محدودا ولا يستطيع إدراك جميع العلوم.

لذلك حثّ "الماوردي" على ضرورة الاختيار إن لم يكن له قدرات بشرط اختيار أهمّ العلوم خاصة العلوم الدّينية لما لها من فائدة وفي هذا يقول: «وإذا لم يكن إلى معرفة جميع العلوم سبيل وجب صرف الاهتمام إلى معرفة أهمّها والعناية بأولادها وأفضلها وأولى العلوم وأفضلها علم الدّين، لأنّ النّاس بمعرفته يرشدون وبجهله يُضلّون»[3]وبذلك نجد أنّ علم الدّين يأتي على قمّة جميع العلوم بكلّ فروعها من حيث الأهميّة لخدمته للدّين بالدرجة الأولى، إذ لا تصحّ العبادة والقيام بالشعائر الإسلامية إلاّ بمعرفة هذا العلم، وتعلّمه يعدّ فرض كفاية وفي هذا يستند لإبراز رأيه بقول الرّسول صلى الله عليه وسلم :« فضل العلم خير من فضل العبادة وإنّما كان كذلك لأنّ العلم يبعث على فعل العبادة والعبادة مع خلوّ فاعلها من العلم بها قد لا تكون عبادة فلزم علم الدّين كلّ مكلّف»[4]وعليه وجب طلب العلم خاصة ما ارتبط بالعلوم الدّينية، وبذلك نجد أنّ القرآن الكريم يأتي على قمّة منهج تعليمي لغوي يقترحه "الماوردي" ويلي القرآن الكريم تعلّم الفقه والعلوم العقليّة لأنّ بها يمكن إدراك ومعرفة الأحكام الشرعيّة التي ندبّ بها الله عزّ وجلّ في القرآن الكريم، وفي هذا يقول:«...إلى العلوم العقليّة ورأى أنّها أحقّ بالفضيلة وأولى بالتّقدمة استقالا لما تضمّنه الدّين من التكليف واستزادا لما جاء به الشرّع من التعبّد والتوقيف والكلام»[5] فالعلوم العقليّة إذا لها أهميّة كبيرة في حياة الفرد والمجتمع، فهي تعودّه على الإيمان بالله والتعبّد لنيل رضاه، إلى جانب ذلك نجد "الماوردي" يشير في كتابه "أدب الدّنيا والدّين"إلى عدّة علوم تخدم الدّين بالدّرجة الأولى وقد بيّن الشافعي–رحمه الله– فضيلة كلّ واحد منها فقال: «من تعلّم القرآن عظمت قيمته ومن تعلّم الفقه نيل مقداره ومن كتب الحديث قويت حجته ومن تعلّم الحساب جزل رأيه ومن تعلّم اللغة رقّ طبعه ومن لم يصن

---

[1] محمد أحمد العمايرة: بحوث في اللّغة والتربية، وائل للنّشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط1، 2002، ص409-410.

[2] أبو الحسن الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص37.

[3] المصدر نفسه، ص38.

[4]أبو الحسن الماوردي: أدب الدنيا والدين ،ص38.

[5] المصدر نفسه، ص40.

نفسه لم ينفعه علمه»[1] ومنه لُزم على طالب العلم أن يتعلّم القرآن والفقه والحديث والحساب ومعرفة اللّغة وقواعدها لأنّ هذه العلوم ترفع من منزلة المتعلّم ويعلو مقداره ويقوي رأيه.

ندّد "الماوردي" بتعليم الشعر وحفظه بحيث يكون عفيفا ويحرص من جانب آخر على تكوين وجدان إسلامي نقيّ من جميع الصّفات الذميمة التي نهى عنها الإسلام ويكون موّجها نحو النصوص التي ضمّنت الحكمة والتوحيد والدّين والبعث على العلم والشجاعة ومكارم الأخلاق. أمّا الجانب التّاريخي فإنّ له موقعا في المنهاج التّعليمي الذي يقترحه "الماوردي" في مؤلفه، بحيث يحتاج المتعلّم إلى أخبار العرب ومغازيهم وآثار الخلفاء ويحذّر من جانب آخر من كتب الأساطير والخرافات والانحرافات خاصّة القصص التي تضيّع الوقت، والواضح أنّ هذه الكتب قد شاعت بين النّاس في عصر "الماوردي" ممّا ترجم عن الكتب الفارسيّة ذات المضامين الأسطوريّة والتي لا تبني كفاءة في العلم، ومن تلك الكتب "كتب السّندباد" و"هزار أفسان"(ألف خرافة)[2]، وعليه فإنّ الفترة التي عاش فيها "الماوردي" تميّزت بتنوع التأليف والتّرجمة خاصة من اليونانية والفارسيّة، لذلك حثّ المتعلم على تجنّب مثل هذه المؤلفات.

نستنتج ممّا سبق أنّ "الماوردي" يدرك أنّ اللغة لم تقتصر على العلوم الدّينية فقط لارتباطها بالقرآن الكريم فهي من أهمّ مكوّنات الفكر الإنساني في مختلف الميادين، ولكنّه عندما أراد أن يشير إلى أهمّ أركان الفكر الدّيني كانت العربيّة منها لذلك أكدّ على تعلّمها وتعليمها وجعلها من أهمّ مقوّمات العمليّة التعليميّة.

3- الزرنوجي:

توسّع العلماء والفقهاء على إلزامية التعلّم واكتساب العلم حيث جعلوا تعلّم بعض العلوم فرض عيّن على كلّ مكلّف، وبعضها فرض كفاية والبعض الآخر محرّما، وقد تطرّق" الزرنوجي" في الفصل الأوّل « في ماهية العلم والفقه وفضله» من كتابه "تعليم المتعلّم وطريق التعلّم" إلى إبراز العلوم الواجب تعلّمها، وذلك لما تحتويه من فوائد وقد قسّم العلوم إلى قسمين منطلقا من قول الشافعي- رحمه الله-: « العلم علمان: علم فقه الأديان، وعلم الطّب للأبدان، وما وراء ذلك بلغة مجلس»[3] وبالتالي فـ"الزرنوجي" قسّم العلوم حسب الاحتياج إليها والغاية منها إلى ثلاثة أقسام هي:

---

[1] المصدر نفسه، ص40.

[2] ينظر: محمد أحمد العمايرة: بحوث في اللغة والتربية، ص412.

[3] برهان الاسلام الزرنوجي: تعليم المتعلّم طريق التعلّم، ص12.

أ- العلم الضروري: وهو العلم الذي يقع ي جميع الأحوال، حيث يتشكّل من جميع صنوف المعرفة، ولا تستقيم حياة الفرد الدّينية والدّنيوية إلاّ به، والتي يجمعها مصطلح "الفقه" وهو «معرفة دقائق العلوم مع نوع العلاج»[1] حيث جعل طلب العلم عيّن على المتعلّم إذ كان العلم متعلّقا بما لابدّ منه للمتعلّم لإقامة دينه وإخلاص عمله لله تعالى، فقد فرض على كلّ مكلف تعلّم ما تصحّ به عقيدته، وعبادته؛ من صلاة وحجّ...إلخ وما يتحرّز به عن الحرام؛ من معاملات وسائر الحرف وسمّي الفرض العيني بعلم الحال، لأنّه لا يصلح حال المتعلّم من عقيدته وعبادته وتربيته إلاّ بتعلّمه. قال:"الزرنوجي":«اعلم أنّه لا يفترض على كلّ مسلم طلب كلّ علم، وإنّما يفترض عليه طلب علم الحال....ويفترض على المسلم طلب علم ما يقع له في حاله في أيّ حال كان، فإنّهلابدّ له من الصّلاة؛ فيفترض عليه علم ما يقع له في صلاته، بقدر ما يؤدي به فرض الصلاة...والزّاهد هو من يتحرّز عن الشّبهات والمكروهات في التّجارات، وكذلك في سائر المعاملات والحرف، وكلّ من اشغل بشيء منها يفترض عليه علم التحرّز عن الحرام فيه»[2] وعليه وجب على المتعلّم أن يتعلّم هذه العلوم لارتباطها الوثيق بالدّين فهي واجبة شرعا وعلى كلّ فرد تعلّمه، فهي بمنزلة الطّعام بحيث لا يمكن الاستغناء عنه، وقيل في هذا الخصوص: «إنّ علم ما يقع على نفسه في جميع الأحوال بمنزلة الطّعام لابدّ لكلّ واحد من ذلك»[3]،ضف إلى ذلك فقد فرض"الزرنوجي" أيضا على المتعلّم تعلّم علم أحوال القلب من التوكّل على الله والخشية منه، والتّوبة إليه، والرّضا بقضائه وقدره...إلخ فقال «وكذلك يفترض عليه-المتعلّم- علم أحوال القلب؛ من التوكّل، والإنابة، والخشية والرّضا، فإنّه واقع في جميع الأحوال»[4] ،فلابدّ إذا على طالب العلم أن يتعلّم هذه العلوم لأنّه يحتاجها في إقامة دينه؛ كحفظ القرآن والحديث والفقه وأصوله، ولا يكون ذلك إلاّ بالتفكّر والبحث في مدلولاته.

ب- العلوم التي يحتاجها الفرد أحيانا: ويشمل كلّ العلوم الدّنيوية كعلم الطّب، **و**"سائر الصّنائع" من فروض الكفاية، فتعلّمها جائز بحسب القدرات، وإن قام بها بعض الناس حتّى يسّد حاجاتهم في مجتم ما فإنّه يسقط الإثم عن الباقين، فإن لم يكن في المجتمع من يقوم بهذه الفروض، فإنّهم يشتركون في الإثم[5] وفي ذلك يقول"الزرنوجي":«وأمّا حفظ ما يقع في الأحايين ففرض على سبيل الكفاية»[6] فهذه العلوم يحتاجها المتعلّم لقوام دنياهم وصلاحها خاصّة أن العلوم تتطوّر بتطوّر وازدهار الأمم في شتّى المجالات، وأبرز هذه العلوم حسب

---

[1] المصدر نفسه، ص12.

[2] المصدر نفسه ، ص8-9.

[3] برهان الاسلام الزرنوجي: تعليم المتعلّم طريق التعلّم ،ص11.

[4] المصدر نفسه، ص9.

[5] صالح لعلي: التعلّم الإلزامي في القرآن والسّنّة وفقه الأئمة، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية و القانونية،ع2،سوريا ،ص10.

[6] برهان الاسلام الزرنوجي: تعليم المتعلّم طريق التعلّم، ص11.

"الزرنوجي" علم الطّب حيث أكدّ على تعلمّه وذلك بقوله: «وأمّا تعلّم علم الطّب فيجوز؛ لأنّه سبب من الأسباب فيجوز تعلّمه كسائر الأسباب وقد تداوى النبي عليه السّلام»[1] فالرّسول صلى الله عليه وسلم قد تداوى وذلك لأنّ علم الطّب يؤمن سلامة العقل والنّفس.

ج- العلم المرض: ذكر"الزرنوجي" حرمة تعلّم بعض العلوم، ولاسيما الجانب الضارّ منها خاصة أنّه يضرّ أكثر ممّا ينفع "كعلم السّحر" وعلم النّجوم هذا الأخير الذي يضرّ كثيرا ومتحّقق وجوده، وتأثيره ثابت بالكتاب والسّنة النبوية وهو حرام، والدّليل قوله –صلى الله عليه وسلم–«اجتنبوا السّبع الموبقات قالوا: يا رسول الله وما هنّا؟ قال: الشّرك بالله، والسّحر، وقتل النّفس التي حرّم الله إلاّ بالحق...»[2]"فعلم السّحر" يشتمل على عادات وتقاليد سلبيّة لا تندمج مع عقائد الدّين الإسلامي لذلك فإنّ تعلّمه مضرّ، وفي هذا يقول"الزرنوجي" :«وعلم النّجوم بمنزلة المرض، قد تعلّمه حرام؛ لأنّه يضرّ ولا ينفع، والهرب عن قضاء الله تعالى وقدره غير ممكن»[3] فتعلّم علم النّجوم حرام لأنّ ذلك هروب من قضاء الله وقدره خاصة أنّ أهلها يدّعون معرفة الحوادث الآتية في مستقبل الزّمان كمجيئ المطر ووقوع الثّلج، ونحو ذلك فإنّهم يزعمون أنّهم يدركون ذلك بسير الكواكب، وهذا علم استأثر الله به، ولا يعلمه أحد غيره، فمن اعتقد أنّ للنّجوم تأثيرا بدون مشيئة الله فهذا شرك أكبر.

إنّ تعلّم مثل هذه العلوم وجعلها ضمن مناهج التعليم مضرّة، أمّا ما يستفاد من "علم التّنجيم" فيجوز تعلّمه وقد يكون واجبا في بعض الأحوال كتعلّم جهة القبلة، إذ أنّ معرفة جهة القبلة واستقبالها شرط لصّحة الصّلاة، لذلك يجب تعلّم ما تصحّ به الصّلاةقال"الزرنوجي":«اللهم إذا تعلّم من النّجوم قدر ما يعرف به القبلة، وأوقات الصّلاة فيجوز ذلك»[4]،وعليه يجوز تعلّم هذه العلوم إذا كانت تخدم بعض الأمور الدّينية.

ومنه فـ"الزرنوجي" قد ركّز على ضرورة اختيار العلوم الدّينية كالفقه وجعلها من أهمّ عناصر العمليّة التعليميّة لخدمتها الدّين الإسلامي بالدّرجة الأولى، وحاجة المتعلّمين إليه والابتعاد في مقابل ذلك عن العلوم المضرّة به "كالسحر والتنجيم" وما شابههما.

4– ابن خلدون:

---

[1] المصدر نفسه، ص12.

[2] الحافظ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: الكبائر، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط3،2001.

[3] برهان الاسلام الزرنوجي: تعليم المتعلّم طريق التعلّم، ص12.

[4] برهان الاسلام الزرنوجي: تعليم المتعلّم طريق التعلّم، ص12.

لم ينفرد "ابن خلدون" في حديثه عن أقطاب العملية التعليمية عن المعلّم والمتعلّم فقط، بل تضمن حديثه أيضا من خلال كتابه المعروق ب "المقدمة" عن المادة المعرفية والتي أطلق عليها هم باسم "الملكة اللغوية" هذه الأخيرة التي اختلف هو في حدّ ذاته في طريقة وكيفية اكتسابها إن صحّ التعبير، وقد قام "ابن خلدون" بتعريفها مبرزا أهميتها في تحصيل اللغة وقواعدها، كما وضّح أيضا وظيفتها وأقسامها فقال: «اللغة في المتعارف هي عبارة المتعلّم عن مقصودة، وتلك العبارة فعل لساني، فلابدّ أن تصير ملكة متقرّرة في العضو الفاعل لها وهو اللسان وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم»[1]؛ أي أنّ اللغة هي الوسيلة الوحيدة التي يعبّر بها كل انسان لما بداخله وذلك بواسطة اللسان حيث تصبح فيه الملكة مستقرّة ومستعدّة للتفاعل في أي وقت أمّا عن وظيفتها فقد قال: «وإذا كانت ملكته في تلك الدّلالات راسخة، بحيث يتبادر لمعاني إلى ذهنه من تلك الألفاظ عند استعمالها، بشأن البديهي والجبلي، زاد ذلك الحجاب بالجملة بين المعاني والفهم»[2] ويعدّ العلم والتعليم من أهمّ المسائل التي أشار إليها "ابن خلدون" بادلا في ذلك جهدا كبيرا، حتّى أعطى في الأخير نظريات للتعليم كادت أن تكون مسلمات.

كما نجده أيضا قد وقف في مؤلفه هذا على طرق تعليم القرآن هذا الأخير الذي يعدّ أصل اللغة خاصة والعلوم عامة، محاولا بذلك توضيح أثره في ثياب الملكة اللغوية ورسوخها قائلا: «صار القرآن أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعده من الملكات وسبب ذلك أنّ تعليم الصغر أشدّ رسوخا وهو أصل لما بعده...»[3] ولهذا دعا "ابن خلدون" إلى تعليم الصغار أصول الحساب ومسائله لما فيه من الفضائل التي يحملها في طياته، كما اختلف العلامة على غيره من العلماء حول صفة الملكة وأهميتها في الحياة البشرية، فهو يرى بأنّ هذه الملكة أساس الصّناعات الأخرى وسبب التطوّر الحضاري الثقافي والعمراني، فتعليم العلم أو اللغة هي صناعة قائمة بذاتها مثلها مثل باقي الصناعات الأخرى لها غرض اقتصادي وغرض فكري انساني، قال العلامة في هذا الصّدد مبرزا أهمية ذلك «وتنقسم الصّنائع أيضا إلى ما يختص بأمل المعاش ضروريا كان أو غير ضروري وإلى ما يختص بالأفكار التي هي خاصية الانسان من العلوم والصنائع والسياسة»[4]؛ فالملكة إذا لها خاصية مادية كما لها خاصية معنوية.

---

[1] ابن خلدون: مقدمة، ص700.

[2] المصدر نفسه ، ص697.

[3] ابن خلدون، مقدمة ،ص688.

[4] المصدر نفسه، ص 480.

كما ربط"ابن خلدون"[1]:بين فلسفته وباقي العلوم والصّنائع الأخرى، لأنّ العلوم ليست كلها قابلة لأن تكسب صاحبها "العقل الفريد" كما قال، بل هي آلات لغيرها كالعربية والحساب بعدهما علوما شرعية أمّا المنطلق فحسبه علوما من علوم الفلسفة، والتي يعدها علوما حكيمة يمكن للإنسان أن يستعمل عقله وفكره فيها، كما تدله هذه العلوم على موضوعات الحياة ومسائلها ويقف نظره على بحثه بقدر من الصواب باعتباره إنسانا ذو فكر، أمّا النوع الأوّل من العلوم يعدها علوما نقلية شرعية أصلها الكتاب والسنة، وهي مشروعة لنا على تعلمها لأنّها وافدة من الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ثم تأتي بعد هذه العلوم علوم اللسان العربي باعتباره لسان الملة وبه نزل القرآن، ومن أهمّ أنواع العلوم الأخرى نذكر[2]:علم علوم الحديث، أصول التفسير ، علم القراءات، الفقه والفقه...إلخ.

لا تدرس هذه العلوم إلاّ بعد التمكّن من فهم كتاب الله، والعلم بأحكام الله المفروضة عليه وعلى أبناء جنسه واستدلّ "ابن خلدون" على هذا بقوله: «وأصل هذه العلوم النقلية كلها هي الشرعيات من الكتاب والسنة التي هي مشروعة لنا من الله ورسوله، وما يتعلق بذلك من العلوم التي تهيؤها للإفادة، ثم يستتبع ذلك علوم اللسان العربي الذي هو لسان الملّة وبه نزل القرآن»[3] وقال أيضا في أنواع العلوم مبرزا طبيعة نقل العلم وبيانه قائلا: «فلابدّ من النظر في الكتاب ببيان ألفاظه أولا، وهذا هو علم التفسير، ثمّ بإسناد نقله وروايته إلى النبي –صلى الله عليه وسلم –الذي جاء به من عند الله، واختلاف روايات القراء في قراءاته ، وهذا هو علم القراءات...فمنها علم اللغة وعلم النحو وعلم الأدب حسبهما تتكلّم عليها كلها»[4]ومنه يعتبر "ابن خلدون" الملكة من الناحية اللغوية فقط بل هي ملكة لأي صناعة من باقي الصناعات فالمرء حسبه لا يحصل على ملكة ما إلاّ عن طريق "الخبر أو العلم" فقط، دون الممارسة المباشرة لهذا النوع من الصناعات خاصة البسيطة أو النّاقصة منها، ولهذا ربطها العلامة–الملكة اللغوية– بالعمران الحضاري فقال: «اكتمال الصنائع بكمال العمران الحضري وكثرته وسوخ الصنائع برسوخ الحضارة....فالعلوم والصنائع لا تكثر إلاّ بتكاثر العمران وتعاظم الحضارة»[5]وقال أيضا: «اعلم أن اللغات ملكة شبيهة بالصّناعة إذ هي ملكات في اللّسان للعبارة عن المعاني...»[6] ،فعند الإطاحة بالعلم يعني

---

[1] ينظر: عبد الأمير شمس الدين: الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الأزرق، دار اقرأ للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1984، ص67.

[2] ينظر: ابن خلدون، مقدمة، ص523.

[3] المصدر نفسه، ص523.

[4]ابن خلدون: مقدمة، ص523.

[5] ينظر: المصدر نفسه، ص484.

[6] المصدر نفسه، ص710.

يعني الإطاحة باللغة العربية التي تكوّنه وتكوّن أسسه وقواعده ومبادئه « وذلك أنّ الحق في العلم والتفنن...، إنّما هو بحصول ملكة في الإطاحة بمبادئه وقواعده والوقوف على مسائله واستنباط فروعه من أصوله»[1].

وعليه فإنّ "ابن خلدون" يؤكّدّ بهذا على أهمية العلم باعتباره قاعدة أساسية في أي فلاع من فروع المعرفة والبحث العلمي، فالباحث في رأيه مهما كان نوع بحثه هو بحاجة ماسة إلى تلك المادة الخام والمتمثلة في الملكة اللغوية؛ هذه الأخيرة التي تعدّ صفة راسخة في نفس صاحبها لأنّها منبع مختلف العلوم الدّينية منها والعقلية وقد استشهد "ابن خلدون" على هذا بقوله: «اعلم أنّ الصناعة هي ملكة في أمر عملي فكري، وبكونه عمليا هو جسماني محسوس، والأحوال الجسمانية...والملكة صفة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفعل وتكرّره مرّة بعد أخرى حتّى ترسّخ صورته»[2]وقال في موضع آخر عن مقدمته: «ومن حصل منهم على ملكة علم من العلوم وأجادها في الغاية فقل أن يجيد ملكة علم آخر على نسبته؛ بل يكون مقصّرا فيه إن طلبه، إلاّ في الأقل النادر من الأحوال»[3]؛ أي "ابن خلدون" قد ركّز هنا على قاعدة مفادها أنّ ملكة علم من العلوم تكون خاصة به ولا تكون مفيدة في علم آخر وعند التمكّن منها في هذا العلم تكون صعبة الحصول عليها في علم ثان.

وعلى إثر ما تقدّم نجد أنّ "ابن خلدون" قد قسّم الملكة اللغوية إلى صنفين وكل صنف يمتدّ على مرحلة زمنية معيّنة، وهما:[4]

1) أطلق على الصّنف الأوّل مصطلح الفطرة أي ملكة فطرية والتي تعني عنده بمصطلح الجبلَّة.

2) أمّ الثاني فقد أطلق عليه مصطلح الصّناعة أي ملكة صناعة.

فالملكة الفطرية حسبه مولودة في نفس الإنسان منذ ولادته أي غريزية وموروثة، كما أكدّ صاحب "المقدمة" على أنّ هذه الملكة الفطرية تساعد على تقبّل جميع الملكات الأخرى بشرط أن يكون هذا المتلقي مستعدا لذلك فقال: «أن الملكات صفة للنّفس وألوان فلا تزدحم دفعة، ومن كان على الفطرة كان أسهل لقبول الملكات وأحسن استعدادا لحصولها»[5].

---

[1] المصدر نفسه، ص517.

[2]المصدر نفسه ، ص480.

[3] المصدر نفسه، ص486.

[4]ينظّر: فتيحة حدّاد: ابن خلدون وآراؤه اللغوية والتعليمية (دراسة تحليلية نقدية)، مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، جامعة مولود معمري، تيزي وزو ،الجزائر،2011، ص17.

[5] ابن خلدون: مقدمة، ص486.

وبعد التمرّن والتدرّب والتكرار يتعوّد الإنسان أو المتعلّم على هذه الملكة فتصبح ملكة صناعية مكتسبة وبالتالي فإنّ التكرار يتحوّل إلى حال هذا الأخير الذي يعدّ حالا من أحوال الحصول على الملكة اللغوية، وعلى حد تعبير "ابن خلدون" فإنّ التكرار هو طريقة من أهمّ طرق التدرّج الذي يؤدّي بالملكة إلى الرسوخ والثبات فقال في ذلك :«والملكات لا تحصل إلاّ بتكرار الأفعال، لأنّ الفعل يقع أوّلا وتعود منه للذات صفة، ثمّ تتكررّ فتكون حالا، ومعنى الحال أنّها صفة غير راسخة، ثمّ يزيد التكرار فتكون ملكة أي: صفة راسخة»[1]، وقد أورد "عبد الأمير شمس الدّين" في كتابه"الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الأرزق" مراحل التعليم واكتساب اللغة عند ابن خلدون والتي قسّمها إلى مرحلتين هما:[2]

المرحلة الأولى: قبل سن الرّشد: تقتصر هذه المرحلة على تعلّم القرآن باعتباره مصدر التشريع ومحور العلوم ويشير صاحب الكتاب إلى أنّ جميع الأمصار جعلت من تعليم القرآن الرّكيزة الأساسية التي ينشأ عليها الأولاد على حسب تعبير "ابن خلدون"، وذلك على الرّغم من اختلاف المذاهب في عملية التعلّيم، مع عدم إدخال فن أو علم آخر من العلوم ويشمل هذا المنهج الكبار والصّغار منهم على حد السواء، وقد استشهد على ذلك من خلال قوله:« أنّ تعليم الولدان للقرآن الكريم شعار من شعائر الدّين، أخذ به أهل الملّة، ودرجوا عليها في جميع أمصارهم لما يسبق به إلى القلوب من رسوخ الإيمان»[3] وهذا ما يثبت على ما ذكر سابقا أنّ الملكة تكتسب منذ الصغر حتّى تظل راسخة محفوظة في ذهن المتعلّم.

المرحلة الثانية: بعد سن الرشد: وهي مرحلة التعليم الثانوي، وقد تحدث: "ابن خلدون" مختصرا في هذه المرحلة على الطريقة والمنهج المتّبع فيها، قائلا: «..هذه المرحلة لا تهمنّا هنا لأنّها متعلقة بالعلوم الفقهية وبالحديث وما إلى ذلك من العلوم الشرعية والدّينية التي اهتمّ بها بصورة خاصة الفقهاء المربّون»[4]،كما أشار "ابن خلدون" في هذه المرحلة إلى عدم الإطالة في العلم الواحد فذلك يرهق كاهل المتعلّم إذ قال: «لا يطول على المتعلّم في الفن الواحد وبتفريق المجالس وتقطيع ما بينها»[5]؛ أي أنّ تفريق مجالس التعليم يؤدّي إلى صعوبة الحصول على الملكة ونسيانها أحيانا، وهذا ما يوحي إلى أنّ الملكة لا تحصل إلاّ بعد التتابع والتكرار.

---

[1] المصدر نفسه، ص710.

[2] ينظر: عبد الأمير شمس الدّين: الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الأزرق، ص86-87.

[3] ابن خلدون: مقدمة، ص688.

[4] عبد الامير شمس الدين: الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الأزرق ،ص88.

[5] المرجع نفسه، ص684.

وبالتالي نجد أنّ "ابن خلدون" قد ربط بين اللغة وطريقة اكتساب الملكة بالمجتمع والتطوّر الحضاري والثقافي والعمراني، الذي يؤدّي إلى تطوّر العلم والتعليم والذي لم يفرق بينهما "ابن خلدون" إلى يومنا هذا.

إضافة قام "ابن خلدون" من جهة أخرى بالتمييز بين لغة أهل المشرق وأهل المغرب، وذلك من حيث إحالة مقاصد هذه اللغة التي يتداولها أفراد كل بيئة من بيئتي أهل المشرق والمغرب، وهذا الاختلاف سببه الاختلاط والاحتكاك بالعجم، فالمخالطة تؤدّي إلى الابتعاد عن اللغة الأم الأصلية فقال بأنّها: «لغة قائمة بنفسها فهو ظاهر يشهد له ما فيها من التغاير الذي يعدّ عند صناعة أهل النحو لحنا، وهي مع ذلك تختلف باختلاف الأمصار في اصطلاحاتهم، فلغة أهل المشرق مباينة بعض الشيء للغة المغرب، وكذا أهل الأندلس معهما، وكل منهما متوصّل بلغته إلى تأدية مقصودة والإبانة عما في نفسه، وهذا معنى اللسان واللغة، وفقدان الإعراب ليس بضائر لهم كما قلناه في لغة العرب لهذا العهد »[1] وقال في موضع آخر: «فمن خالط العجم أكثر كانت لغته عن ذلك اللسان الأصلي أبعد، لأنّ الملكة إنّما تحصل بالتعليم كما قلناه »[2]. وهذا إن دلّ على شيئ إنّما يدلّ على مخالطة العجم تؤدّي إلى عجمة اللسان.

وبما أنّ الملكة تحصل بالتعليم فقد كان ذلك سهلا تعلمها وتعليمها، وهذا ما لم يكن علماء العرب راضين عنه، فذهب كثيرا من النحاة واللغويين إلى حفظ اللغة العربية باستنباط قوانينها وأحكام قواعدها وفي هذا الخصوص قال:« والسبب في ذلك أن صناعة العربية إنّما هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها خاصة، فهو علم بكيفية لا نفس الكيفية، فليست نفس الملكة وإنّما هي بمثابة من يعرف صناعة من الصنائع علما ولا يحكمها كملا»[3]، وإلى جانب هذا القول نجده أيضا قد أشار إلى أهم نقطة في عملية تعلّم الملكة وتعليمها، وهي أنّ العجمة تكون عائقا في عملية تحصيل الملكة ويحدث بذلك قصورا على مستوى اللسان الذي يكون الناطق الرسمي بهذه الملكة فقال: «نعم صناعة النحو أقرب إلى مخالطة ذلك وما كان من لغات أهل الأمصار أعرق في العجمة وأبعد عن لسان مضر قصر بصاحبه عن تعلم اللغة المضرية وحصول ملكتها لتمكن المنافاة حينئذ واعتبر ذلك في أهل الأمصار، فأهل إفريقيا والمغرب ما كانوا أعرق في العجمة وأبعد عن اللسان الأوّل كان لهم قصور تام فتحصل ملكته بالتعليم»[4]وكلما كان اللسان أبعد عن اللسان العربي كان ذلك أصعب وأعسر لتحصيل الملكة اللغوية.

---

[1] ابن خلدون: مقدمة، ص715.

[2] المصدر نفسه، ص715.

[3] ابن خلدون: مقدمة، ص717.

[4] المصدر نفسه، ص722.

بالإضافة إلى هذا نجده قد ميّز بين التعليم في المشرق والمغرب وبين الحضر والبادية قال:«...وأن نفوس أهل البدو قاصرة بفطرتها وجبلتها عن فطرته، وليس كذلك؛ فإنّ نجد من أهل البدو من هو في أعلى رتبة من الفهم والكمال في عقله وفطرته، إنّما الذي ظهر على الحضر من ذلك هو رونق الصّنائع والتعليم، فإنّ لها أثر ترجع إلى النّفس كما قدمناه، وكذا أهل المشرق كما كانوا في التعليم والصّنائع أرسخ رتبة وأعلى قدما وكان أهل المغرب أقرب إلى البداوة»[1] ، وهذا يعني أنّ أهل البداوة يتميّزون بالجبلة والفطرة على عكس أهل الحضر الذين غلب عليهم رونق الصّنائع وآثار العمران والحضارة، فالتعليم عندهم يعود إلى نفسية كل متعلّم ونفس الأمر مع أهل المشرق الذين كانوا أرسخ رتبة وأعلى قدما من حيث غلبة النّفس وما يحصل من آثار الحضارة من العقل المزيد- كما سبق وأنّ ذكرنا في مجال الصّنائع- على أهل المغرب الذين عجزوا عن فهمها، لأنّهم كانوا أقرب إلى البداوة من الحضر، وذلك أنّ العلوم والصّنائع إنّما تكثر حيث العمران وتعظم الحضارة وهذا ما أكدّ عليه "ابن خلدون" في الفصل الثالث من هذا الكتاب الذي عنونه بـ «في أنّ العلوم إنّما تكثر حيث يكثر العمران وتعظم الحضارة» فقال:« والسبب في ذلك أنّ تعليم العلم كما قدمناه من جملة الصّنائع، وقد كنّا قدمنا أنّ الصّنائع إنّما تكثر في الأمصار وعلى نسبة عمرانها في الكثرة والقلّة والحضارة والترف تكون نسبة الصّنائع في الجودة والكثرة، لأنّه أمر زائد على المعاش، فمتى فضلّت أعمال أهل العمران على معاشهم انصرفت إلى ما وراء المعاش من التصرّف في خاصية الإنسان، وهي العلوم والصّنائع»[2]، وهذا القول يؤكد أنّ التطورات العمرانية والحضارية تساعد على نشر العلم والمعرفة، وكثرة العلوم والصّنائع تساهم بشكل مباشر في تحصيل الملكة اللغوية وفهمها واستيعابها بأحكامها وقواعدها.

وبالتالي يمكن القول أنّ "ابن خلدون" قد انفرد:

- يذكر أصناف العلوم، واكتساب الملكة اللغوية كصناعة خاصة وباقي الصّنائع عامة.
- كما ميّز أيضا بين التعليم داخل البداوة والحضر عند أهل المشرق والمغرب، فالمشارقة حسبه كانوا الأكثر علما ومعرفة بالعلوم ومعارفها سواء العقلية أو النقلية منها، على عكس المغاربة الذين غلبت عليهم العجمة اللغوية واللسانية لأنّهم كانوا أعاجم قبل أن يدخلوا الإسلام.

[1] المصدر نفسه، ص521.

[2] ابن خلدون: المقدمة، ص521.

●إضافة إلى أنّه قد ربط بين عملية اكتساب الملكة اللغوية بباقي الصّنائع الأخرى، والتي أصبح تطوّرها وانتشارها مقترنا بتطوّر العمران الحضارة.

*** مقارنة المادة المعرفية ضمن المدوّنات الأربع:**

لقد كان لطول الفترة الزمنية بين هؤلاء العلماء، قدرا كافيا حول إظهار كل واحد منهم المزايا والخصائص والصفات التي تقوم عليها هذه اللغة، مبرزين أهم القواعد والأسس والمرتكزات التي تبنى عليها، بالإضافة إلى توضيح أهمّ العلوم التي يجب أن تدرس وتكون خادمة لهم في أي جانب من جوانب الحياة. ونظرا لتباين العلوم وكيفية اكتساب اللغة جعل العلماء يتفقون في جانب ويختلفون في جانب آخر.

جوانب الاتفاق والاختلاف:

●اتفق كل من "ابن سحنون"، "الماوردي"، "ابن خلدون" على ضرورة تعلّم اللغة العربية وإتقانها، لأنّها أصل تعلّم الدين الإسلامي الذي يبني على مادة معرفية أساسها إدراك المعنى ومعرفة الأحكام وإتقان التلاوة كما تساعد أيضا على تحصيل الآداب والأخلاق.

● واتفق أيضا كل من "الماوردي" و"ابن خلدون" حول عملية اكتساب اللغة، وكان لكل واحد منهما نظرته الخاصة بها؛ "فالماوردي" رأى أنّها-اكتساب اللغة-بداية لطريق العلم والتعليم، أمّا "ابن خلدون" فيرى أنّها تندرج ضمن مرحلة الشباب وقد جعلها في صنفين: ملكة فطرية وملكة صناعية.

● أمّا "الزرنوجي" فلم يتطرّق إلى كيفية اكتساب اللغة العربية واكتفى بالإشارة إلى اهم العلوم التي ينبغي تعلّمها وآخرى الابتعاد عنها.

● اجتمع هؤلاء على رأي واحد هو أنّه توجد علوم ينبغي تعلّمها لأنّها تلبي حاجة الإنسان-المتعلّم- في حياته اليومية، وهذه المسألة أشار إليها "الزرنوجي" ،"الماوردي" و"ابن خلدون" الذين رءوا أنّ كلاّ من(علم الدّين والشريعة وأصول الفقه) هي أولى العلوم عناية بالتعليم فهي علوم دينية نقلية تعتمد على قوة التركيز والفهم أمّا"ابن سحنون" فقد اتفق مع"ابن خلدون"على تعليم علم النحو والحساب، وعلى الرغم من طول الحقبة الزمنية التي تفصل بينهما إلاّ أنّها اجتمعا على رأي واحد، كما نجد"الماوردي" و"ابن خلدون" قد اتفقا أيضا علم تعليم علم اللغة باعتبارها أصل العلوم.

وعلى الرغم من هذا الاتفاق الطفيف الذي جمع بينهم، إلاّ أنّه توجد علوم أخرى خاصة بكل عالم كعلم الطب والصناعة وعلم السحر، وعلم النجوم عند "برهان الدّين الزرنوجي"، أمّا "الماوردي" فقد اعتمد على علم الكلام كعلم ديني يهتم بالاختلافات الواقعة بين مختلف الطوائف الدينية، أمّا "ابن سحنون" فكان يوصي بالشعر والخطابة والغريب وأخبار العرب وأنسابهم، والخط الحسن لأنّ هذه العلوم تنمّي قدرات المتعلّم العقلية والفكرية فيصبح المتعلّم محاطا بعلوم بيئية وأخبارها من كل الجوانب.

أمّا "ابن خلدون" ونظرا لظروف عصره المتطورة برزت فيه علوم غير العلوم المذكورة آنفا: كعلم البلاغة والأدب وعلم التفسير وعلم القراءات والفلسفة والمنطق وكل هذه العلوم لها دلالة على الإمكانيات والقدرات التي كان يتمتع بها عصره، وهذا ما جعله أكثر تميّزا عن بقية العلماء ؛لأنّه استطاع أن يكون أوّل من فرق التعليم في البادية والحضر، وملكة أهل المشرق والمغرب، إلى جانب أنّه تمكن من إثبات أنّ العلوم لا تتكاثر إلاّ بارتقاء الحضارة وعمرانها، أمّا الآخرون فلم يتمكّنوا من الحديث عن الملكة اللغوية باعتبارها خاصية إنسانية ملكها الإنسان وعبر بها عن طريق لسانه على عكس "ابن خلدون" الذي أصرّ أنّ الملكة صناعة مكتسبة كباقي الصنائع الأخرى.

وخلاصة القول هي أنّ كل مظهر من مظاهر تعليم اللغة العربية عند العرب القدامى مكملا للآخر، إذ كانت هذه المظاهر تمثل حلقة حلزونية شملت عناصر أساسيّة من العملية التعليمية؛ وهي المعلم الذي يمثّل البعد التربوي البيداغوجي، والمتعلّم ويمثّل البعد النفسي السيكولوجي، أمّا المادة المعرفية فهي بمثابة البعد المعرفي الابستمولوجي وكل عنصر من هذه العناصر الثلاث له علاقة مع الطرف الثاني وتتمثل هذه العلاقات في علاقة تربوية تربط المعلّم بالمتعلّم، في حين نجد علاقة ابستيمولوجية تربط المعلم بالمادة المعرفية، وعلاقة معرفية تجمه المتعلم بالمعرفة، وهذه العلاقات استطاعت أن تجعل كل مظهر من هذه الظاهر ركيزة العملية التعلمية، فإذا غاب أي واحد منها يتوقف عمل هذه العملية، ولهذا تجسد بداخلها دور ومهام ووظيفة كل من المعلم والمتعلّم والمادة المعرفية التي خص كل العلماء بإبراز شروط وصفات المعلّم والمتعلّم حتّى تكون مهامها اتجاه بعضهما البعض قانونية ومدروسة من كل الجوانب، ويمارس المعلّم وظيفته بكل جدّ دون تقصير، أمّا المادة المعرفية فقد خصّت دراستها بكيفية اكتسابها وتعلّمها مع إبراز أهمّ العلوم التي تدرس إلى جانب القرآن والحديث واللغة باعتبارهم أصل العلوم ولهذا كان العالم يعرض علوما محدودة للمتعلّم حتّى يعود ذلك بالنّفع عليه وعلى المتعلّم والعملية التعليمية ككل

ويفسّر ذلك بأنّ هذه العناصر تنشط داخل وعاء متكامل تعمل على نشر العلم والتعليم في أرجاء الحضارة العربية الإسلامية وتطويرها في كل الجوانب.

الفصل الثاني

الفصل الثاني: المؤسسات التعليمية والطرق والأساليب المعتمدة في العملية التعليمية.

تمهيد:

امتازت الحضارة العربية الإسلامية منذ القدم بانفتاحها على كل الحضارات والثقافات وأخذت كل صالح منها، وقد كان التعليم واحد من أبرز الحركات التي أدت إلى النهوض بهذه الحضارة، هذه الحركة لا تنشأ ولا تتطور إلا عن طريق المؤسسات التعليمية، ومنذ ذلك الحين عمل القدامى على نشرها وتمويلها بشتى الطرق عبر مختلف العصور.

لعبت المؤسسات التعليمية دورا هاما في الحركة العلمية منذ بداية ظهور الإسلام، فقد كانت منبع تعليم الكتابة والقراءة، ودراسة القرآن والحديث والفقه، وغيرها من العلوم التي انتشرت في تلك الفترة. ولم تكن هذه المؤسسات للتعليم فقط بل كانت مركزا للتعليم والتأديب الذي كان خاصا بأبناء الخلفاء.

وقد كان نقل المعرفة والأفكار داخل مجلس التدريس بين العالم والمتعلم لا تبنى إلا من خلال طرق يستخدمها المعلم لإيصال المعلومات لمتعلميه من أجل ترسيخها وتثبيتها في ذهنه، فتعددت هذه الطرق وتنوعت وكان المعلم بذلك ينتقل من طريقة إلى أخرى على حسب ما تلوح إليه المادة المعرفية وما يناسب مستوى المتعلم.

وحتى لا يحدث نفور بين المتعلم والمعلم يلجأ هذا الأخير إلى استخدام واستعمال أساليب من أجل تشجيعهم وتحبيبهم في العلم والسعي لإثارة انتباههم فكانت القصة وضرب الأمثال والتصوير.... الخ من أهم النماذج التي أكدت على ذلك، لأن الأسلوب هو أهم ما يلجأ إليه المعلم لتوكيد العلاقة بينه وبين المتعلم لذلك عليه أن يحسن اختياره.

وانطلاقا من هنا يمكن اعتبار المؤسسات والطرق والأساليب أهم مكونات العملية التعليمية، فهي جزء لا يتجزأ من هذه العملية وهذا ما سنحاول إثباته في متن هذا الفصل.

المبحث الأول: المؤسسات التعليمية.

تنوعت مؤسسات التعليم في التاريخ الإسلامي وشملت صيغا متنوعة وأشكالا مختلفة، وتعد المساجد والكتاتيب وبلاطات الخلفاء وحوانيت الوراقين، من أهم المؤسسات التربوية التي عرفتها الحضارة العربية الإسلامية على مدى القرون السابقة، وقد اختلفت الأهمية التي لعبها كل نوع من هذه الأنواع باختلاف الزمان والمكان وكانت هذه المؤسسات قائمة على نظام التعليم الإسلامي الذي كان في شأنه نظاما شعبيا تلقائيا، وكان الغرض من هذه المؤسسات هو تحفيظ القرآن ومعرفة أساسيات الدين الإسلامي.

1- تعريف المؤسسات التعليمية:

لقد أعطى العلماء لهذه المؤسسات مكانة خاصة في المجال العلمي فتداولوها في مؤلفاتهم مبرزين تعاريفها المتعددة والمختلفة من عالم إلى آخر، بالإضافة إلى تعديدهم لخصائصها وأهميتها، «وقد أطلق عليها مصطلح الدور التعليمية، ثم تطورت بعدها وأصبحت تسمى ببيوت العلم وهذه المفاهيم أو المصطلحات هي التي ارتبطت بالأماكن التي كان يقام بها التعليم »[1]، وقد عرف العرب منذ القدم – العصر الجاهلي – بعض المؤسسات التعليمية «وفي وسعنا أن نقول إنها كانت تنقسم إلى قسمين: ابتدائية وعالية، وهناك ما يدل على أنه كان لكل من القسمين مدارس ومفاهيم خاصة به، وكان الأطفال في القسم الابتدائي يدرسون الهجاء والمطالعة والحساب وقواعد اللغة كما كان الطلاب في القسم العالي يدرسون الهندسة العملية وعلم الفلك والطب وفن العمارة والنقش والأدب والتاريخ »[2]، وعليه فالعرب قد عرفت العديد من المؤسسات التعليمية منذ القدم، وتتمثل هذه المؤسسات في:

أ- الكتاتيب: تعد الكتاتيب أسبق أنواع المعاهد التعليمية في العام الإسلامي ومع مرور الوقت تطور هذا المفهوم ليطلق عليه مصطلح الكُتّاب أو الزوايا، والكُتاب كما ورد في "لسان العرب " " لابن منظور": «موضع الكُتّاب والمكتبُ، والكُتّابُ: موضع تعليم الكُتّاب، والجمع الكتاتيب والمكاتب »[3] أي أن الكُتّاب هو موضع تعليم الكتب.

---

[1] فتيحة حداد: المفاهيم التعليمية في العصور الإسلامية الأولى – تنظير وتحليل –،ص 16.

[2] مفتاح يونس الرباصى: المؤسسات التعليمية في العصر العباسي الأول، الإدارة العامة للمكتبات والمطبوعات للنشر والتوزيع، بنغازي، ليبيا، ط1، 2010، ص 33.

[3] ابن منظور: لسان العرب، ج13، ص 18.

أما اصطلاحا: فقد عُرّف على أنه «مكان مستقل أو غرفة في منزل أو حجرة مجاورة للمسجد أو ملحقة به أو خيمة المؤدب، في البداية يتم فيها تعليم الأطفال القراءة والكتابة، والكتّاب قد يكون مكانا واسعا يتسع لمئات التلاميذ كما وقد يتسع لثلة منهم»[1].

فالكتاتيب والكتاب والزوايا هي عبارة عن مفاهيم ارتبط وجودها بظهور الإسلام، فهي أماكن خصصت لتعليم اللغة العربية والقرآن الكريم في البدايات الأولى للحركة التعليمية في العصور الأولى للإسلام، هذا دون أن ننسى بأنها كانت موجودة في الجاهلية، لكنها وصلت إلى أوج تطورها في عصر الإسلام التي أصبحت مكانا رئيسيا للتعليم فقد «أنشأت هذه الكتاتيب في الشام وشبه الجزيرة العربية، لكنها انتشرت أكثر بعدها لتلبي حاجات المسلمين في تعليم أبنائهم تعليما إسلاميا احتل فيه القرآن مركز الصدارة»[2]هذا من جهة، أما من جهة سن التعلّم في الكتاتيب فقد« ترك الآباء أحرارا فلم يتقيدوا بسن معينة لإرسال أطفالهم إلى الكتاب...واكتفوا بأن اعتبروا التعليم في ضمن الفروض الدينية»[3]، فالتعلم إجباري في الكتاتيب باعتبار أن العلم يطلب من المهد إلى اللحد، وقد ذكر المؤرخون ثلاثة أنواع للكتاتيب وهي :

1) كتاتيب لتعليم القراءة والكتابة: ولم يكن هناك إقبال كبير على هذا النوع من الكتاتيب خصوصا أن المسلمين في تلك الحقبة لم يكونوا مهتمين بالقراءة والكتابة على خلاف أصحاب الديانات الأخرى الذين كانوا أعلم من المسلمين في هذا الأمر وكما جاء في كتاب" تطور الفكر التربوي" " لأحمد سعد مري" أن المسلمين لم يكونوا يعلمون بل كان بعض الذميين وهذا ما جاء في قوله: « وكان يقوم بالتعليم بعض الذميين أحيانا كثيرة، فلم يجلس لتعليم القراءة والكتابة من المسلمين في صدر الإسلام إلا عدد قليل، فالمسلمون في صدر الإسلام خاصة كانوا لا يفقهون القراءة والكتابة لذلك عرض الرسول –صلى الله عليه وسلم– على أسرى بدر إطلاق سراحهم مقابل تعليم أبناء المسلمين القراء والكتابة، ولم يقابل المسلمون هذه الثقافات بالإعراض عنها بل أبقوا عليها »[4]. وحتى ينتشر العلم أكثر قام " معاوية بن أبي سفيان" بتدعيم هذه الكتاتيب أكثر في الشام ومنذ ذلك جاء

---

[1] ينظر: علي أسعد وطفة: التراث التربوي للحضارة العربية الإسلامية في العصر الوسيط التربية الإسلامية مند عصر النبوة حتى نهاية العصر العباسي، ص 24.

[2] ينظر: عبد الرحمن النقيب: مؤسسات التعليم في عصور الازدهار الإسلامي، أفريل 2008، ص05.

[3] عبد الله عبد الدايم: التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين ، دار العلم للملايين للنشر والتوزيع، بيروت ، لبنان، ط5 ،1984،ص183.

[4] ينظر: علي أسعد وطفة: التراث التربوي للحضارة العربية الإسلامية في العصر الوسيط التربية الإسلامية مند عصر النبوة حتى نهاية العصر العباسي ، ص 1516.

«الاعتماد على الكتاتيب العربية المحلية لتعليم الكتابة لأبناء المسلمين إلى جانب أقرانهم من أبناء الديانات الأخرى ولا سيما النصرانية»، ومنذ تلك الفترة أصبحت للحضارة العربية الإسلامية كتاتيب محلية بتعليم أبنائها وأبناء الديانات الأخرى، فكان يسمى معلم هذا النوع بالمكُتّب.

2- كتاتيب لتعليم القرآن الكريم والحديث النبوي: كان لهذا النوع من التعليم أهمية كبيرة في الحياة الإسلامية لأن الكتاب كان المركز الرئيسي لتعليم الأطفال القرآن الكريم والحديث النبوي، وذلك لما يتمتع به هذا التعليم من أهمية وخطورة في حياة المسلمين، وكان المنهج المتبع في ذلك تعليم القرآن والحديث والقراءة والفقه، وهذا النوع من التعليم كان سائدا منذ زمن طويل، فقد اعتمد تعليم المطوع على حفظ القرآن والحديث، والإلمام بأركان الإسلام إلى جانب اللغة والنحو: « وكان يعلم اللغة والنحو إلى جانب القرآن كمواد مساعدة على حفظ القرآن »[1] فاللغة إذا كانت عبارة عن تمهيد لمعرفة معاني القرآن وتفسيره، كما كانت تساعد المتعلمين على حفظ كتاب الله «وكان المعلمون مقابل التعليم يتقاضون أجورهم عينيا من الطلاب ويذكر أن " الحجاج بن يوسف الثقفي " كان أحد معلمي الكتاتيب . أما أهم الشروط المطلوبة للمعلم، أن يكون حافظا للقرآن الكريم قادرا على تجويده ملما بأحكام الدين ونواهيه عارفا بالقراءة و الكتابة »[2]،ومن أهم الكتاتيب التي كانت سائدة أنذاك «كتاب عطاف[*]»[3] ،وقد ظهر في هذه الكتاتيب بعض المعلمين من أشهرهم : «" الضحاك بن مزاحم " (105 هـ) و"الكمين بن زيد " (126 هـ)، "وعبد الحميد الكاتب " (132 هـ »[4].

3-الكُتّاب القصوري أو المكتبة الخاصة: ارتبط مفهوم هذا المصطلح «بتعليم اللغة العربية والقرآن الكريم والعلوم الآلية الأخرى، وقد خصص هذا النوع من الكتاتيب لتعليم أبناء الخلفاء وأعيان القوم في قصورهم ومنه اشتقت تسمية الكتاب القصور» [5]،فهو إذا مقصور على فئة معينة من الصبيان ونظرا لخوف الأمراء والخلفاء على تعليم أبنائهم وتأديبهم ،اتخذوا هذا النوع من الكتاب حتى لا يفوتون عليهم هذه المرحلة المهمة من التعليم

---

[1] ملكة أبيض، التربية والثقافة العربية، الإسلامية في الشام والجزيرة خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة، دار العلم للملايين للنشر والتوزيع، بيروت ،لبنان ،ط1، 1980، ص 262.

[2] ينظر: علي أسعد وطفة: التراث التربوي للحضارة العربية الإسلامية في العصر الوسيط التربية الإسلامية منذ عصر النبوة حتى نهاية العصر العباسي، ص 25.

[*] المعلم الذي ينسب إليه الزقاق والمعروف بزقاق عطاف.

[3] ينظر سمية بنت محمد فرج الوافي: التعليم في الشام في العصر الأموي، ص 60.

[4] عبد الله عبد الدايم التربية: التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين،ص146.

والمشرف على مهمة التعليم غالبا ما يكون مقيما في القصر حتى يصرف عنايته كلها لتعليمهم وتأديبهم. وقد كانت المواد التي تعلم فيه القراءة، الكتابة ،القرآن الكريم ،النحو والشعر وغيرها مما يفصح اللسان ويصلح اللحن وقد أطلق على المعلم الذي يعلم الصبيان داخل القصر بالمؤدب ، وقد كان هذا الأخير يتبع منهجا يختلف من حيث الأسس والنظام التي اعتمدتها الكتاب الآخرين فقد كان يقضي سنين أطول مع أبناء الملوك على خلاف أبناء العامة، كما أنها لم تكن موضعا لتعليم الصبيان فقط، وإنما موضعا لتعليم الكبار، حيث كانت المجالس العلمية المختلفة تقام وتعقد في بلاطات القصور فكانت مكانا لتعليم الأدب والشعر والتاريخ غالبا[1].

وعلى الرغم من امتداد العصور واختلافها بين تطور وانحطاط، ظلت هذه الكتاتيب مطرحا لتعليم عامة أبناء المسلمين، وحافظت على مكانتها ودورها عند القدامى في تحفيظ القرآن وثقافة الإسلام وثقافة الإسلام حتى يومنا هذا.

ولم يكن هذا النوع من دور التعليم فقط، بل كانت هناك أنواع أخرى منها:

ب- المساجد: لقد كان المسجد أول تسمية تطلق على مكان أداء العبادات والواجبات الدينية فقط، وبعد مجيء الإسلام اصبحت له مكانة عالية في الأمة الإسلامية «ومع مرور الوقت وتطور العصور أخذ هذا المصطلح منحى آخر، وأصبحت له تسميات أخرى منها: الجوامع وبيوت الله، ومع تغير التسمية تغيرت الوظيفة أيضا، فلم يعد يقتصر على آداء العبادات فقط، وإنما أصبح مرتبطا بالصلاة والعبادة والتعليم في آن واحد»[2].

وذكر علماء اللغة تفسيرات وتعاريف لمعنى المسجد فقال " ابن سيده":« سجد يسجد سجودا وضع جبهته بالأرض وقوم سُجَد وسجود ، والمسجَد والمسجِد: الذي يسجد فيه»[3].

وقال " الزجاج" :«كل موضع يتعبد فيه فهو مسجد ألا ترى أن النبي –صلى الله عليه– قال : وجعلت للأرض مسجدا وطهورا »[4] وقد ورد لفظ المسجد في القرآن الكريم في عدة مواضع منها قوله تعالى :﴿ سُبْحَانَ الذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ المسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[سورة الاسراء –1–]، وقد كان المسجد مركزا لتعليم المسلمين منذ القدم ، فبعد هجرة الرسول –صلى

---

(1) ينظر: عمر عبيد حسنة: مواضيع التعليم عند المسلمين، ISlam web.net, 16.7/03/2017: 22 pM

(2) ينظر: فتيحة حداد: المفاهيم التعليمية في العصور الاسلامية الأولى، تنظير وتحليل، ص 16.

(3) راشد بن محمد بن عساكر: تاريخ المساجد والأوقاف القديمة في بلد الرياض إلى عام 1373 هـ، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، الرياض، السعودية، (دت)، ص 19.

(4) المرجع نفسه،ص19.

الله عليه وسلم- إلى المدينة اتخذ مسجد قباء الذي عدّ من أوائل المؤسسات المسجدية والذي حمل لواء الدعوة والتعليم»[1]، فكان منارة علوية لقيم الحق والعدالة، وأخرج منه أجيال الفقهاء والعلماء المسلمين الذين مضوا في الدنيا بنور الإسلام فنشروا رسالتهم التي تتمثل في التعاليم والقيم إلى مختلف بقاع المعمورة ، وكان العلماء يتخذون منه زوايا لتعليم الفقه والحديث والبيان الإلهي»[2]، ومن أهم المساجد آنذاك جامع الأزهر، وجامع الزيتونة ، جامع الكوفة ، مسجد البصرة والقيروان، والجامع الأموي بدمشق. هذا الأخير الذي عد أهم مكان للتعليم «حيث يلتف الناس حول الصحابة والتابعين في حلقات منظمة ليستمعوا لقراءة القرآن الكريم، وشرح تقسيم الكتاب المبين ، ويرددوا آيات القرآن الكريم، كانوا يحفظون الأحاديث النبوية الشريفة ، ويدرسون الفقه ويسألون العلماء عن كل غامض في أمور دينهم »[3]، فكان منبعا لجميع العلوم والفنون من خلال حلقات العلم النبي كانت تقام فيه « فقد تعددت هذه الحلقات بازدهار الحركات العلمية وكثرة العلماء في مختلف فروع المعرفة، وكذلك نتيجة لتزايد طلاب العلم، ومن أشهر العلوم التي كانت تعرض في حلقات المساجد علوم القرآن، علوم الحديث، الفقه واللغة ،والشعر»[4].

وكان كل من « " أبي بن كعب" ، زيد بن ثابت " ، " معاد بن جبل" ، أبي الدرداء "، وأم المؤمنين" عائشة –رضي الله عنهم أجمعين –»[5]من أهم القيادات التربوية التي ظهرت في فترة وجيزة للتعليم في المسجد قديما ، والتي ساهمت بشكل كبير في ترسيخ أحكام القرآن معانيه لدى متعلميهم، وفي مقابل هذا كان يشترط عليهم أن يكونوا حافظين للقرآن الكريم عالمين بأحكامه «وقد ارتبط سن التعليم في المسجد على المدة التي يقضيها الصبي في الكتاتيب، لهذا لا يمكن تحديد سن معينة للالتحاق بحلقات المساجد فذلك يختلف من صبي لآخر على حسب الاستعداد العقلي»[6].

---

[1] ينظر: هدى عبد الرزاق هويي الطائي: أصول التعليم في الإسلام للعصر بن الأول والثاني، ص21.

[2] علي أسعد وطفة، التراث التربوي للحضارة العربية الإسلامية في العصر الوسيط، التربية الإسلامية منذ عصر النبوة حتى نهاية العصر العباسي، ص 25.

[3] عبد العزيز محمد الحسيني: الحياة العلمية في الدولة الإسلامية، وكالة المطبوعات للنشر والتوزيع، الكويت، (د ط)، 1973، ص 129.

[4] مفتاح يونس الرباصى: المؤسسات التعليمية قبل العصر العباسي الأول، ص 72 77.

[5] عبد الرحمن النقيب: مؤسسات التعليم في عصر الازدهار الإسلامي، ص 7.

(6) مفتاح يونس الرباصى: المؤسسات التعليمية قبل العصر العباسي الاول، ص 162.

يعد المسجد من أهم المؤسسات التعليمية وذلك لدوره الرائد والمهم في خدمة الحركة العلمية فأبوابه كانت مفتوحة للجميع على حد سواء وفي أي وقت، حيث كان يضم عدة حلقات في شتى العلوم وللمتعلم الحرية في الالتحاق بأي حلقة شاء، وقد تمتعت المساجد عبر العصور بحرية فكرية وعلمية واسعة.

ج- منازل العلماء:

إن الاهتمام بالتعليم لم يكن حديثا وإنما كان منذ القدم ،إذ فتح العلماء لرواد العلم منازلهم بالرغم من انتشار التعليم في المساجد إلا أن بعض العلماء كانوا يقيمون حلقات التدريس فيها عند الضرورة، فتحولت تلك البيوت إلى أشبه ما يسمى بالأكاديميات إذ يتردد إليها المتعلمين في ظلام الليل ووضح النهار فقد« استعملت كمؤسسات تعليمية لظروف خاصة بما في أوقات معينة فقد يسمح المعلم لبعض تلاميذه الموهوبين الذين يتوسم فيهم خيرا بالتردد عليه في منزله »[1]، فكان المنزل مكانا للتعليم منذ القدم « فرسول الله – صلى الله عليه وسلم علّم "خديجة"– رضي الله عنها– في بيته الشريف، القرآن وما أمر به الله في القرآن كالصلاة والصدق والأمانة»[2].

إن المنزل كان مركزا لنشر الدعوة الإسلامية وتعليم المسلمين الأوائل أصول الدين وفقه قرآنهم مثل:" دار الأرقم بن أبي الأرقم" التي كانت أول أكاديمية علمية وفقهية عند العرب:«اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم– دار الأرقم بن أبي الأرقم مكانا يعلم فيه المسلمين تعاليم ومبادئ الدين الجديد، ويقرئهم ما أنزل من آيات الذكر الكريم، كما كان المنزل ملتقى الذين يتخيرون الإسلام دينا فيأتون إليه ناشدين الإسلام ...على أن بيوتا كثيرة في التاريخ الإسلامي لعبت دور المدارس »[3]، وعليه فإن منازل العلماء كانت مركز التعليم القرآن وأسس الإسلام وقواعده.

كان طلاب العلم يأتون العلماء في منازلهم فيسألونهم، كل فيما يحتاجونه ويهتم به وذلك للحاجة التي دفعتهم للقيام بهذا «فلم يعد المسلمون المنازل مكانا صالحا للتعليم العام لافتقارها إلى السكون والراحة. غير أن وطأة الحاجة إليها دعت إلى قيام حلقات تعليمية بالمنازل الخاصة »[4]،وقد اشتهر منزل العالمة الجليلة " أم الدرداء" في العصر الأموي[5]،وأخذ هذا التقليد مجدّه في العصر العباسي الذي شهد نبوغ الفلاسفة والمفكرين

---

(1) مفتاح يونس الرباصى: المؤسسات التعليمية قبل العصر العباسي الاول، ص 85.

(2) هدى عبد الرزاق هوبي الطائي: أصول التعليم في الاسلام للعصرين الأول والثاني، ص 142.

(3) سمية بنت محمد فرج الوافي: التعليم في الشام في العصر الأموي، ص 91.

(4) عبد الله عبد الدايم: التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين، ص 148.

(5) سمية بنت محمد فرج الوافي: التعليم في الشام في العصر الأموي، ص 91.

والعلماء، فنجد مثلا: " ابن سينا " ، " أبي سليمان السّجستاني " و " الإمام الغزالي " الذين جعلوا منازلهم مطارح لراغبي العلم وطلابه ومريديه[1]، ووردت لفظة البيوت في القرآن الكريم دلالة على أهمية المنازل لما لها دور في التعليم فقال تعالى ﴿ واللهُ جَعَلَ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا ﴾[سورة النحل-80-] فالمنازل إذا تختلف عن المساجد من حيث الوظيفة الأساسية فالبيوت كانت موضعا للسكن والاستراحة والهدوء وغيرها، لكن حاجة العلماء لمطارح التعليم أدّى إلى اتخاذها موضعا للتعليم.

على الرغم من اتخاذ المساجد مقرا وموضعا للتعليم، وانتشارها بشكل واسع في أصقاع المعمورة، لم يمنع هذا بعض العلماء من فتح منازلهم وجعلها مطارح لأخذ العلم والمعرفة، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على الأهمية البالغة في تعليم أبنائهم ونشر العلم والمعرفة.

د- القصور:

بعد التطور الذي شهدته الحضارة العربية خلال العصرين الأموي والعباسي في الحياة العقلية والفكرية جعلهم يتخذون من قصورهم أماكن خاصة لتعليم الخلفاء والأمراء، وكان الغرض من ذلك تحميل الأمراء عباء الدولة منذ الصغر« وجد نوع من التعليم الابتدائي في قصور الخلفاء والعظماء كي يجد أبناء هؤلاء ما يؤهلهم لتحمل الأعباء التي سينهضون بها »[2] ولهذا حرص الخلفاء على تعليم أبنائهم وتأديبهم، ومن الطبيعي أن نجد اختلافا بين التعليم في قصور الخلفاء عنها في بقية المؤسسات التعليمية، لأنه من المفترض أن يبدأ المؤدب في قصر الخليفة مهمته مع تلاميذه في سن مبكرة لأن هذه المهمة تتضمن الجانب السلوكي إضافة إلى الجانب المعرفي[3]وكان التعليم في القصور يتم في صورتين هما :

1. التعليم الأولي الخاص بأبناء الخلفاء والأمراء:

نشأ شكل من التعليم في قصور الخلفاء والأمراء في العصر الأموي، إذ كان مختصا بأبنائهم « فقد كان الخلفاء والأمراء يتخذون لأولادهم معلمين خاصين يذهبون إلى القصور ويجلس الأولاد إليهم يتلقون منهم قدرا من الثقافة والمعرفة »[4]،ويتضح هذا جليا أن الخلفاء جعلوا لأولاد هم معلمين خاصين بهم في قصورهم رغبة في

---

(1) عبد الله عبد الدايم: التربية عبر التاريخ من العصفور القديمة حتى أوائل القرن العشرين، ص 149.

(2) المرجع نفسه، ص 147.

(3) ينظر: مفتاح يونس الرباصي: المؤسسات التعليمية قبل العصر العباسي الأول، ص 165.

(4) سمية بنت محمد فرج الوافي: التعليم في الشام في العصر الأموي، ص 79.

تحصيل المعرفة والأدب ، وبناء على ذلك ظهرت طبقة جديدة خاصة بالمعلمين عرفت بطبقة المؤدبين. وكان الهدف الأول من هذه الطبقة هو تأديب أبناء الخلفاء وتهذيبهم، حتى يستطيعوا تحمل مشقة الخلافة ومسؤوليتها على أكمل وجه.

وهذا النوع من التعليم يشبه التعليم في الكتاتيب الخاصة والمهتمة بتعليم القرآن الكريم ومبادئ الدين الإسلامي بالإضافة «إلى علوم أخرى كالبلاغة ونسب العرب والفلك ومواضع الكلام ومعرفة الجواب ».[1]إلا أنه يوجد اختلاف بسيط بينهما يتمثل في أن التعليم في القصور كان يبنى على رأي الوالد «فالمنهاج هنا يضعه الأب أو يشارك في وضعه »[2] ويظهر ذلك جليا من خلال الوصايا التي قدمها الخلفاء والأمراء الأمويين والعباسيين إلى مؤدبي أولادهم ، فقد أوصى مثلا الخليفة " هشام بن عبد المالك " (105- 125) لـ" هشام الكلبي" مؤدب ولده حين قال: « إن ابني هذا جلدة ما بين عيني وقد وليتك تأديبه فعليك بتقوى الله وأداء الأمانة، وأول ما أوصيك به أن تأخذه بكتاب الله ، ثم رَوِّه من الشعر أحسنه ثم تخلل به من أحياء العرب فخذ من شعرهم، وبصره طرفا من الحلال والحرام والخطب والمغازي »[3]، وهذه الوصية تبرر المنهج التعليمي الذي كان سائدا في العصر الأموي داخل القصور، فهو يقوم على ركيزة أساسها القرآن لاعتباره منبع التكوين التربوي للمتعلم، ثم يبني على الشعر مع ضرورة اختيار الشعر المناسب، وتذكيره بأخبار العرب ومغازيهم والخطب، وذلك للدور السياسي الذي ينتظره.

أما في العصر العباسي فقد أوصى الخليفة "أبو جعفر المنصور" مؤدب ولده " المهدي ": «أن يعلمه أيام العرب، ورواية الأخبار وقراءة الأشعار»[4]، وهذا يدل على أنهم يركزون على تعليم أبنائهم هذه العلوم بعد تجاوزهم المرحلة الرئيسية وهي مرحلة التعلم في الكتاتيب. وفي مقابل ذلك كان «هؤلاء المعلمون يتقاضون أجورا مقابل تعليمهم أبناء الخلفاء والأمراء، وتسديد ديونهم وتقديم الهدايا لهم، إلى جانب ذلك تلقيهم الاحترام والتقدير من قبلهم وذلك من خلال تخصيص جناح لهم في القصر حتى يعيشوا فيه »[5].

---

[1] سمية بنت محمد فرج الوافي: التعليم في الشام في العصر الأموي، ص80.

[2] عبد الله عبد الدايم: التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى اوائل القرن العشرين، ص 147.

[3] مفتاح يونس الرباصي: المؤسسات التعليمية قبل العصر العباسي الأول، ص 47.

[4] ينظر: مفتاح يونس الرباصي: المؤسسات التعليمية قبل العصر العباسي الأول، ص 94.

[5] ينظر: سمية بنت محمد فرح الوافي: التعليم في الشام في العصر الأموي، ص 80.

2. **مجالسة الخلفاء:** استدعى الخلفاء بعض العلماء والأدباء وأهل السير والعالمين بالتاريخ ومواقعه الشهيرة «فاتخذوا من قصورهم مجالس لعقد الندوات والمناظرات والمناقشات العلمية، هذه الأخيرة كان الغرض منها أحيانا إما : معالجة بعض القضايا ، التسلية والترويج عن النفس، أو للتّعليم والترفيه . وذلك رغبة في جعل أنفسهم حماة للعلم »،[1] باعتباره أمانة جاء بها الدين الإسلامي وحث على الحفاظ عليها ونشرها، وتكون المبادرة الأولى في ذلك من أصحاب السلطة العليا الحاكمة في كل دولة.

كانت قصور الخلفاء تضم العديد « من مجالس العلم في شتى العلوم والفنون ، وقد تعددت أغراضها وأهدافها من خليفة للآخر فاحتوت على مجالس تختص بالحديث والفقه، ومجالس أدبية، مجالس يستمع فيها الخلفاء إلى أخبار العرب وغيرهم من الملوك »[2]، ونجد«" معاوية بن أبي سفيان " الذي كان مولعا بحب العلم وتعلم تاريخ الأمم الأخرى، ومعرفة تجاربهم لا سيما ملوك الفرس والروم، فكان يستدعي من له معرفة بأخبارهم فيحدّثوه عما وصلهم من أخبارهم، ولذلك اختار " دغفل بن حنطلة النسابة " (65 هـ) والذي كان عالما بأنساب العرب مؤدبا لأولاده»[3].

وظل هذا الأمر مستمرا طيلة العصر الأموي وصولا إلى العصر العباسي حيث «اتخذ الخلفاء مجالسهم مراكز للعلوم والفنون التي تداولت وتطورت بتطور العصر، فكثير من خلفاء الدولة العباسية بلغوا من العلم مبلغا عظيما»[4] إذ «تميزت قصورهم بنوع من التغير، فلم تقتصر على العلوم الدينية واللغوية فقط، بل تعدت إلى علوم أخرى كعلم النجوم والطب والفلسفة وعلم الكلام فالمنصور أول خليفة قرب المنجمين وعمل بأحكام النجوم وأول خليفة ترجمت له الكتب السريانية والأعجمية »[5].

شهدت قصور الخلفاء والأمراء وبلاطاتهم العديد من المجالس العلمية التي عرفتها الدولة الإسلامية على مر العصور، فكان الخلفاء يرسلون بطلب العلماء والفقهاء ...الخ إلى قصورهم لاكتساب منهم الفنون من جهة، ومن جهة أخرى لاستشارتهم في الأمور الغامضة التي استصعب عليهم فكانوا يجزلون لهم العطاء بتكريمهم.

---

(1) ينظر: سمية بنت محمد فرح الوافي: التعليم في الشام في العصر الأموي، ص 81.

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص 85 89.

(3) مفتاح يونس الرباصى: المؤسسات التعليمية قبل العصر العباسي الأول، ص 49.

(4) ينظر: عمر عبيد حسنة: مواضيع التعليم عند المسلمين

(5) مفتاح يونس الرباصى: المؤسسات التعليمية قبل العصر العباسي الأول، ص 100.

ه- حوانيت الوارقين :

عرفت الدولة العربية مجموعة من الوسائط التربوية التي لعبت دورا هاما في نشر العلم والتعليم، وكانت حوانيت الوارقين من أبرزها، إذ كان يلتقي فيها طلاب العلم مع شيوخهم من أجل توجيههم وإرشادهم إلى بعض المراجع التي تساعدهم في دراستهم، ونسخ كتبهم وقد أنشأ هذا النوع من الأماكن خدمة لأغراض التجارية في بداية الأمر، ثم غدت مسرحا للثقافة والحوار العلمي « ظهرت هذه الدكاكين منذ مطلع الدولة العباسية، ثم انتشرت في مختلف البلدان ولم يكن أصحاب هذه الدكاكين مجرد تجار ينشدون الربح وإنما كانوا في معظم الأحيان أدباء ذوي ثقافة يسعون للذة العقلية من وراء هذه الحرفة»[1]، وهذا ما يعني أن حوانيت الوارقين قد بدأ شعاع ظهورها مع بداية الدولة العباسية بحيث أصبحت هذه الأماكن في نظر أصحاب السلطة الحاكمة وعلماء الدولة موضعا لنشر العلم وتعليمه، إذ كان لها أثر عظيم في عملية التعليم وهذا ما جعل من نشاط الحركة العلمية يتسع أكثر وكان السبب في ذلك هو قيام هؤلاء الوارقين بنشر العلم والتعليم عن طريق« الشغف بقراءة واقتناء الكتب وازدهارها صناعة الورق»[2]وكان أصحاب هذه الدكاكين من كبار العلماء إذ كانت ملتقى مفتوحا ومجلسا مجيبا لهم وللشعراء، بالإضافة إلى ذلك كانت ملتقى المناظرات« وقد كان ل"عبد الله بن محمد الأزدي" دكانا ببغداد يورق فيه ويجتمع إليه عامة أهل الأدب ويحصل فيه بينهم من المحاضرة والمذاكرة ما لا يحصل في غيره من أندية الأدب »[3]، وقد ذكر " يونس الرباصى" أن من أهم ما كان يذكر على أهمية هذه الحوانيت أنها كانت « مكانا للمفاضلة بين الكتب والمذاهب اللغوية وقال أيضا أن على قدر ما كانت هذه الحوانيت ثرية بالكتب، كان الجاحظ يكتري دكاكين الوارقين ويبيت فيها للنظر»[4]؛ وهذا يدل على أن بعض العلماء قد اتخذوا من هذه الحوانيت مبيتا للقراءة والمطالعة فيها ليلا.

وبالتالي فإن كل ذلك يقودنا إلى حقيقة مفادها أن حوانيت الوارقين لم تكن مجرد أماكن لبيع الكتب فقط، وإنما كانت منبرا لنشر العلم والتعليم؛ وذلك لما حوته من كتب ومصادر قيمة لا توجد في غيرها من مؤسسات التعليم، ولم تتوقف العملية التعليمية عند هذا الحد من الدكاكين بل انتقلت إلى محلات البيع والشراء.

---

[1] عبد الله عبد الدايم: التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين، ص 148.

[2] مفتاح يونس الرباصى: المؤسسات التعليمية في العصر العباسي الأول، ص 89.

[3] المرجع نفسه: ص 89.

[4] ينظر: المرجع نفسه ص 90.

و- الأسواق العامة:

لقد تطور نشاط الحركة العلمية من مجالس القصور إلى مجالس كانت تعقد في المحلات العامة كالطرقات والأندية يتنافس فيها العلماء ويتناظرون أمام الجماهير، ثم تغير مسار نشاط هذه العملية ليأخذ منحى آخره إذ كانت الأسواق العامة هي بؤرة هذا التغير فعلى الرغم من أنها كانت سائدة منذ العصر الجاهلي إلا أنها استطاعت أن تصل إلى شهرة عالمية عن طريق سوق عكاظ الذي كان يقوم فيه الشعراء بإلقاء أشعارهم والمناظرة بها فيما بينهم، جاء في كتاب " التربية في الإسلام" لـ" محمد أسعد طلس" : « أما الأسواق العامة فأمرها في التعليم أشهر من أن يذكر، وقد كان هذا الأمر معروفا في الجاهلية ، وأخبار أسواق عكاظ ومجنة وذي المجاز والطائف وغيرها كثيرة منثورة في كتب الأدب والتاريخ والسيرة، ولقد لعبت هذه الأسواق في الجاهلية وصدر الإسلام- بل وفي العصر الأموي- دورا هاما في نشر العلم وحفظ التراث الفكري والعقلي والأدبي في الجاهلية والإسلام» [1] .

وعليه فالأسواق العامة كانت كباقي المؤسسات التعليمية التي ساهمت بشكل مباشر في تطوير العملية التعليمية والنهوض بالحضارة العربية الإسلامية كحضارة مستقلة ومتطورة من كل الجوانب خاصة المعرفية منها، فكان الناس يقصدونها من كل صقاع العالم: « وقد كانوا يأتون إليها من كل فج عميق، ونجد في ذلك العلماء والإخباريون الحضريون يرحبون بكل من قدم البداوة وخاصة الأذكياء منهم وذلك حتى يستفيدوا من علومهم ورواياتهم...وقد استمر هذا الأمر طوال حقبة العصر الأموي إلى العصر العباسي، هذا الأخير الذي كثر فيه العلماء وزادت الحركة العلمية أكثر اتساعا وتشعبا في تلك الأسواق أدى ذلك إلى الحاجة لوجود مكان ذو مساحة واسعة وأكثر نظاما وما إن أضحى فجر العباسي حتى ظهرت مدارس منظمة ومتسعة تجمع العديد من الطلاب»[2]، وإلى جانب هذا نجد أيضا « أكبر أئمة النحو وعلماء اللغة العربية أمثال الأصمعي وأب عمرو بن العلاء والخليل وسيبوه...الخ وكان هؤلاء قد بذلوا جهدا كبيرا في تثقيف أنفسهم وتخريجهم على ما حفظه من رواة البادية الذين كانوا يقصدون تلك الأسواق العلمية »[3]؛أي أن للبادية أيضا كان لها نصيب من الاهتمام خاصة من كانت لهم ثقافة واسعة وذكاء باهر، لأنهم استطاعوا أن يكسبوا حب وود الحضاريين الذين عملوا على الاهتمام بهم وتقدير معرفتهم وأفكارهم العلمية خاصة تلك المتعلقة باللغة العربية، فقد أصبح الخلفاء والسلاطين

---

[1] محمد أسعد طلس: التربية والتعليم في الإسلام، مؤسسة هنداوي للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، (د ط)، 2012، ص 55.

[2] المرجع نفسه، ص 56.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص 56.

والأمراء يبعثون أبناءهم من أجل اللغة العربية الفصحى من أهل البادية، لأن اللغة في البوادي كانت نقية لم تدخل عليها العجمة، واللحن، ولهذا كان كبار أئمة اللغة يبذلون جهدا كبيرا للحفاظ على لغتهم العربية ولهذا كان يطلق عليهم " بالعرب الأقحاح ".

ز- المدارس:

ظهر نظام التعليم داخل المدرسة في أواخر العصر العباسي أي في نهاية القرن الخامس للهجري، والمدرسة هي المفهوم الذي من خلاله بلغت الحركة العلمية إلى أوج تطورها في العالم الإسلامي، سواء أكان ذلك من الجانب المادي، البيداغوجي (التنظيمي)، أم الجانب التعليمي، ونظرا إلى أن التعليم قبل نشأة المدارس كان مفتوحا للجميع، والحضور غير منظم جاءت الحاجة إلى تأسيس المدارس، التي كانت جملة من الأسباب أدت إلى ظهورها هي:[1]

- شدت إقبال الناس حلقات العلم والتي كان ينبعث منها صوت المدارس أثناء إلقائه الدرس، بالإضافة إلى أصوات الطلاب أثناء مساءلتهم ومناقشتهم للمعلم.

- تطور العلوم بتطور الزمن، أدى إلى نبوغ علوم تتطلب دراستها الحوار والنقاش وهذا ما يتنافى مع رواد المساجد.

- اجتهاد بعض العلماء واشتغالهم بالتعليم معظم وقتهم محاولين بذلك الاسترزاق عن طريق حرف بسيطة يقومون بها مع التدريس.

- روح الخير العام الذي كان سائدا على مستوى المجتمع الإسلامي، الذي عد فيه نشر العلم والتعليم من أهم أبواب الإنفاق. وكما جاء في قوله صلى الله عليه وسلم: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[2].

ومنه فإن «الوقف على التعليم هو أفضل أنواع الصدقات الجارية، ولهذا أخذ الخلفاء والأمراء والعلماء، وحتى الأثرياء إلى إقامة أنواع متعددة من المدارس يتفرغ فيها الطلاب والمعلمون لدراسة علوم معينة، وهذا ما جعل التعليم في المدارس النظامية يمتاز بنوع من الانفرادية طوال الوقت»[3]، وبعد تطور هذا النوع من المدارس النظامية: « بدأ التعليم يأخذ طابقا رسميا، تشرف عليه الدولة بتوجيهه وتحديد له المناهج والمضامين وترسم الغايات

[1] ينظر عبد الرحمن النقيب: مؤسسات التعليم في عصور الازدهار الإسلامي، ص 9.

[2] المرجع نفسه، ص 10.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص 10.

وتخصص الميزانيات وهذا إن دل على شيء إنما يدل على تقدم حركة التعليم داخل البيئة الإسلامية، وقد ذكر المؤرخون أنّ نشأة أول مدرسة تعود إلى أهل نيسابور الذين بنوا المدرسة البيهقية التي أخذت التربية الدينية منهجا لها، كما وضع هؤلاء المؤرخون أيضا أن كل مدرسة من هذه المدارس التي أنشأت كانت تسير على تعاليم المذاهب الأربعة المعروفة :« " أبي حنيفة "، " مالك " ، الشافعي " و" ابن حنبل "»[1].

وإلى جانب المدرسة البيهقية نجد أيضا « المدرسة النظامية والمدرسة المستنصرية ببغداد والمدرسة الناصرية بالقاهرة»[2] بالإضافة إلى هذا نجد : « أن المفارقات المنهجية عقدية كانت أم فقهية، قد ساهمت أكثر في شيوع المدرسة النظامية في العالم الإسلام، فخصصت مدارس خاصة بدراسة كل مذهب على حدا فوجدت بذلك مدرسة للأحناف ، وللمالكية، وللشافعية، وأخرى للحنابلة أيضا، ومع تطور العصور أكثر واحتكاك الحضارة العربية بالحضارات الأخرى ، أخذ العرب عن هذه الأخيرة علوما مختلفة عن التراث الإسلامي كالهندسة والحساب وعلوم الخط كالخط الكوفي والخط النسخي»[3] . وهذا يدل على أن اهتمام المسلمين بالتعليم كان اهتماما كبيرا إذ أنهم لم يعتمدوا على العلوم التراثية فقط بل عملوا على استحضار علوم أخرى والعمل على تطويرها أيضا، كما عمل أصحاب السلطة على « تزويد المدارس بكل المستلزمات الخاصة بالعملية التعليمية هذا من جهة، كما نجدهم قد خصصوا أماكن للإطعام والمستشفى وحماما من جهة أخرى »[4] وأما فيما يخص سن التعليم فقد ذكر المؤرخون « أن السن التي كانوا يدرؤون فيما بتعليم الطفل كانت في الخامسة أو السادسة، والحقيقة هي أننا لم نعثر على نص يقطع بتعين ...الدراسة»[5]، أما بالنسبة إلى معلمي هذه المدارس فقد كانوا « من كبار أئمة الإسلام في علوم الدين والحديث والعربية والآداب والكلام، ولما بنى نظام الملك السلجوقي مدرسته في بغداد اختار لها إمام أئمة الشافعية في عصره هو أبو إسحاق الشيرازي»[6]وهذا يتضح جليا إلى أنّ العلوم المستمدة من النظام المدرسي تنقسم إلى ثلاث مراحل رئيسية وهي: « التعليم الابتدائي والثانوي والعالي والتي كانت موضعها المدرسة

---

(1) ينظر: علي أسعد وطفة: التراث التربوي للحضارة العربية الإسلامية، ص 27.

(2) أحمد فؤاد باشا: المؤسسات العلمية والتعليمية في عصر الحضارة الإسلامية، القاهرة، 2007/12/1.

(3) ينظر: عمر عبيد حسنة: مواضيع التعليم عند المسلمين.

(4) ينظر: عبد الله عبد الدايم: التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين، ص 154.

(5) محمد أسعد طلس: التربية والتعليم في الإسلام، ص 74.

(6) المرجع نفسه، ص 112.

المعهد والجامعة أو الكلية على الترتيب »[1]. ومنه فإن نظام المدرسة حدد المواضع التي ينبغي تقديمها للمتعلم كل حسب مستواه العقلي والفكري وحتى العمر أيضا.

وهكذا نجد بأن للمدرسة دورا بسيطا من حيث الفاعلية الفكرية والعقلية داخل الحضارة الإسلامية، وقد كانت العلاقة بين المعلم والمتعلم فيها الدور الأساسي في تكوين الملكة اللغوية لدى مدرس المستقبل، وهذا ما زاد من تطوير نشاط الحركة العلمية والتعليمية.

وبالإضافة إلى هذه المؤسسات تضاف إليها مؤسسات تربوية أخرى، كانت أقل فاعلية منها كالخانقاة وهي كلمة فارسية تعني البيت والرباط وقد أطلقت على نوع من الثكنات العسكرية والزاوية والبيمارستان وهي أيضا كلمة فارسية تعني المستشفى إلى جانب الصالونات الأدبية والمكتبات العامة، وبيوت الحكمة...الخ وكل هذه المؤسسات كانت لجمع بداخلها أجناسا مختلفة الأفكار والثقافات والتي كانوا يتبادلونها فيما بينهم، وهذا التبادل أدى إلى نشر العلم والتعليم داخل الحضارة الإسلامية خاصة والبقاع العالمية عامة.

2- مكانة المؤسسات التعليمية عند العرب القدامى:

من الواضح أن المراكز العلمية القديمة طلب تزاول نشاطها منذ برزها داخل الحضارة العربية، واستمر إشعاعها بشكل مباشر أو غير مباشر في المحيط الثقافي الإسلامي وهذا الاستمرار زاد من قيمتها ومكانتها عند علماء العرب القدامى، إذ راح كل واحد منهم يبرز عظمة هذه المؤسسات وأهميتها البالغة في تواصل نشاط الحركة العلمية بالإضافة إلى نشر العلم والتعليم في مختلف أنحاء البلاد العربية.

وقد عرف المجتمع الإسلامي أنماطا متعددة من مؤسسات العلم والتعليم كالمساجد والجوامع ومجالس وخزانات وبيوت وزوايا وقصور ومدارس، إذ كانوا يجتمعون فيها من أجل تبادل الأفكار في مختلف الأمور اللغوية والفقهية والكلامية، وقد كان لهذه المؤسسات اغراض مختلفة فمثلا المسجد غير الخزانة وغير المدرسة، وهذا يتضح من خلال المكانة المرموقة التي كان يحتلها عند العلماء إذ قال " ابن الحاج " مبينا ذلك : « ... لكن أخذُ الدرس في المسجد أفضل، لأجل كثرة الانتفاع بالعلم، لمن قصده، ومن لم يقصده ، بخلاف المدرسة، فإنه لا يأتي إليها غالبا إلا من قصد العلم أو الاستفتاء، فأخذه في المدرسة أقل رتبة في الانتشار منه في المسجد ، كما تقدم، وأخذه في المدرسة أكثر انتشارا منه في البيت والغالب أنه لا يقصد أخد الدرس في المدرسة إلا لأجل المعلوم... وتلك

[1] ينظر: عمر عبيد حسنة: مواضيع التعليم عند المسلمين.

الآداب »[1]، وهذا يعني أن العلماء كانوا يفضلون أخذ العلوم والمعارف من المسجد لأن هذا الأخير كان يقدم دروسا حول واجبات المسلم في حياته اليومية من سلوكيات وعقائد فكرية وثقافية ودينية في ظروف مختلفة وهذا ما جعل المتعلم أكثر انتفاعا بالعلم، أما " ابن جماعة الكناني" فقد كان رأيه مخالف عن ذلك إذ اعتبر أن في المدرسة يكون ذهن المتعلم متفرغا للعلم فقط ولا سكون منسرحا في أمور الدنيا ومشاغلها فقال : « فإن المدارس وأوقافها لم تجعل لمجرد المقام والعشرة ولا لمجرد التعبد بالصلاة والصيام كالخوانك، بل تكون معينة على تحصيل العلم والتفرغ له والتجرد عن الشواغل في أوطان الأهل والأقارب، والعاقل يعلم أن أبرك الأيام عليه يوم يزداد فيه فضيلة وعلما يكسب عدوة من الجن والإنس كربا وغما »[2]،وهذا يعني أن معظم العلماء قد تباينت آراؤهم حول المدارس، إذ نجد أن "أبا العباس المقري التلمساني " قد روي رواية عن جده قال فيها: « إنما أفسد العلم كثرة التواليف وإنما أذهبه بنيان المدارس...وذلك أن التأليف نسخ الرحلة التي هي أصل جمع العلم »[3]،أي أن بنيان المدارس أدى إلى كثرة التأليف الذي زاد من فاعلية الحركة العلمية فأصبح بذلك التأليف والرحلة في نفس الكفة لأنهما أصل العلم وجمعه، وإلى جونب المسجد والمدرسة نجد الزاوية أيضا هذه الأخيرة التي كان لها دورا فعالا في توسيع التراث الثقافي العربي الإسلامي القديم ، فقد كان المبدأ في الزاوي هو انتشار المعارف لذا توجد معتقدات ومعارف غير دينية وتصورات فلسفية وكتابات علمية تتعايش جنبا إلى جنب مع الفقه والحديث على خلاف المدرسة التي كان المبدأ فيها قائما على انتظام المعارف لذا قال " عبد الله العبدوسي" في هذا الخصوص : « وإنما يسكن المدرسة من بلغ عشرين سنة فما فوقها، وأخذ في قراءة العلم ودروسه بقدر وسعة ، ويحضر قراءة الحزب صبحا ومغربا ويحضر مجلس مقرئيها ملازما لذلك إلا لضرورة من مرض وشيعه من الأعذار المبيحة لتخلفه »[4]،وبالتالي يتضح أن نظام المدرسة يختلف عن نظام باقي المؤسسات؛ فالمتعلم عند دخوله للمدرسة يكون بالغا من العمر ما يدل على ثقافته الواسعة وعلمه الكبير بالقراءات متدبرا معانيه ومقرئا بأحكامه ، أما في البقية يكون عند وطأة تعلمه.

وبالإضافة إلى ذلك نجد أن للوقف أهمية ومكانة عالية لدى العلماء إذ بفضله تم تأسيس خزانات للمطالعة في الزوايا والمدارس على حد سواء وكان للحنيفة" أبي الحسن" يد في هذا التأسيس، كما يقول " ابن مرزوق " « وهذا يرشدك إلى قدر ما يحتاج إليه في كل مدرسة من هذه المدارس، هذا مع ما حبس في جلها من

---

[1] ابن الحاج: المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات، ج 2، ص 301.

[2] ابن جماعة الكناني: تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، ص 220.

[3] المقري (أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني): نفح الطيب، ج5، دار صادر للنشر، بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت)، ص 275.

[4] بناصر البعزاتي: مؤسسات العلم والتعليم في الحضارة الإسلامية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط للنشر، دار البيضاء، المغرب، ط1، 2008، ص 158.

أعلاق الكتب النفسية والمصنفات المفيدة ، فلا جرم كثر بسبب ذلك طلب العلم وعدد أهله »[1]،وعلى حسب رأي الكاتب " بناصر البعزاتي " أن العلاقة بين العلم والمتعلم تقوم على مناقشات حول سبل التكوين وقد كانت الزاوية أفضل مكانا إذ كانت أكثر انفتاحا من المدرسة على أعراف المجتمع وفي هذا الجانب قال" ابن مرزوق " : « والظاهر أن الزوايا عندنا في المغرب هي المواضع المعدة لإرفاق الواردين وإطعام المحتاج من القاصرين »[2]، وعلى الرغم من كل هذا فإن المدرسة لم تتطور ولم تأت من العدم بل كانت امتدادا للمسجد أو الجامع وباقي المؤسسات الأخرى، فهي ظلت مفتوحة للعموم ولم يتقرر فيها ضبط مستوى التكوين قط.

وفي الأخير يمكن القول إن تأسيس المدارس لا يعني انعدام أماكن التعليم الأخرى بل استمر نشاطها حتى ما بعد فترة نشأة المدارس النظامية، التي أخرجت إلى وجود الأنظمة المعروفة حديث كالتعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي والجمعي وهذه المراحل قد كان لها دورا أساسيا في تحديد مستوى المتعلم عقليا وفكريا.

3- مكانة المؤسسات التعليمية في المدونات الأربع:

كانت المؤسسات التعليمية من أهم مميزات الحضارة الإسلامية، وقد ارتبط تاريخ المؤسسات العلمية على وجه الخصوص في العصر الإسلامي كالمساجد والبيوت والمدارس...الخ ارتباطا وثيقا بسيرة الحكام الذين أنشأوها وسهروا على نجاحها واستمرارها هذا دون أن ننسى جهود العلماء الذين عملوا على إحيائها دائما، وهذا ما أكد على أن مهمة هذه الأصراح في الأساس هي رعاية العلم والعلماء، في مختلف المجالات وانطلاقا من هذا كانت آراء العلماء القدامى فيها مختلفة من عالم الآخر، ومن بين هؤلاء العلماء نجد:

I – ابن سحنون:

لقد تطرق " ابن سحون " في كتابه " آداب المعلمين " لمواضيع متعددة تخص العملية الديداكتيكية وما يدور حولها من أساتذة ومتعلمين وطرق وأساليب متنوعة إلى جانب المؤسسات التعليمية هذه الأخيرة التي تعد موضع التقاء كل هذه الأطراف ، وقد رأى " ابن سحنون " أنه لولا وجود مكان حاو لهذه العناصر لما حدث الاحتكاك القائم بين المعلم والمتعلم، ولما وجدت هذه الطرق والأساليب للتواصل فيما بينهم، وكما وصل التعليم إلى هذه الدرجة من التطور والاتساع، فعلى حسب رأي " ابن سحنون " فإن الكتاتيب أو الكتّاب هي نفسها معاهد التعليم الابتدائي ، إذ كانت بسيطة البناء يجتمعون فيها لقراءة كلام الله العزيز، وقد كان تأسيسهم

---

[1] المرجع نفسه، ص 156.

[2] بناصر البعزاتي: مؤسسات العلم والتعليم في الحضارة الإسلامية، ص 156.

للكتاتيب بعد دخول الغزاة إلى العرب، اللذين كانوا بعيالهم وذرياتهم فالتفوا إلى تعليم صبيانهم والعناية أكثر بأمر دينهم القويم ، وبعدها أصبحت هذه المعاهد التعليمية تتزايد وتنتشر بانتشار العمران في البلاد العربية وقد خص "ابن سحنون " إفريقيا بذلك فقال :« ...ويشاركونهم في سكنى عاصمتهم الجديدة، ويتعلمون دينهم ولغتهم وآدابهم و أخلاقهم كبارا وصغارا سواسية في ذلك، فلا غرو أن كانت الكتاتيب محل العناية من الكبراء والأعيان والأغنياء من العرب»[1]وبالتالي فقد كان كل عربي مهما كانت شخصية – غنيا أو فقيرا، كبيرا أو صغيرا– يدي لهذه المؤسسات عناية خاصة بها لأنها مركز علمهم وتعليمهم، إذ كانوا يعملون بجد على نشر العلم بإتقان اللغة العربية وحفظ القرآن الكريم وذلك بتعليم أبناء البربر وجعلهم مسلمين ومنذ ذلك الحين أصبحت هذه الكتاتيب في نمو وتكاثر مستمر فقال " بن سحنون " في هذا الخصوص : « ولم يزل شأن الكتاتيب في نمو وعددها في ازدياد وتكاثر في العاصمة وفي المدائن الإفريقية الكبيرة ...حتى لم يخل منها درب من الدروب أو حي من الأحياء وربما تعددت الكتاتيب في الحارة الواحدة مثلما تعددت المساجد في الحارات ولا عجب أن اعتبرت الكتاتيب في القديم «يجتمع فيها الصبيان لحفظ القرآن وتدارسه»، وإلى جانب هذا فقد أقر " بن سحنون "في مؤلف على أن :« التعليم الابتدائي– أي داخل الكتاتيب– لم يكن يخص الولدان فقط وإنما البنات أيضا أي كان شاملا للجنسين، لاسيما عند المياسير وذوي الحيثيات وأرباب المناصب العالية»[2]،وذكر بذلك أن تعليم الجواري كان في البلاطات فقال: « أما تعليم البنات والجواري في البلاد الأغلبي فكان آخذا حظه فيما علمنا من غصون المؤلفات الإفريقية »[3]،بالإضافة إلى هذا فقط أشار صاحب كتاب "آداب المعلمين" إلى نظام التعليم الذي كان سائدا في القصر فقال: « روى الخشني أن مؤدبا كان بقصر الأمير محمد بن الأغلب ، وكان يعلم الأطفال في النهار والبنات في الليل »[4]،وفي هذا الجانب نبه إلى النتائج المحصلة للتعليم داخل القصور فقال: «وقد بلغ من ثمرة التعليم بقصور الأغالبة ما نقله ذو الوزارتين ابن الخطيب...ومما لا ريب فيه أن معلمات من فاضلات النساء كن يهدبن ويعلمن الجواري والبنات المقصورات في الدور والقصور في كل عصر من العصور »[5]، ومن خلال هذا القول يمكن اعتبار أن عملية التعليم لم تكن تخص الرجال فقط أي المعلمين، وإنما خصت المعلمات وعلى مدى العصور أيضا، ومن بين العلوم التي كانت تعلم وبادر بها " بن سحنون " واستحسن على تعليمها داخل الكتاتيب ولكنه

---

(1) ابن سحنون: آداب المعلمين، ص 34.

(2) ينظر: المصدر نفسه، ص 38.

(3) المصدر نفسه، ص 40.

(4) المصدر نفسه، ص 40.

(5) المصدر نفسه، ص 40 41.

لم يجبر المعلمين على ضرورة عرضها هي:« الحساب والشعر، أخبار العرب وأنسابهم، النحو والغريب والعربية ثم الخط »[1] ،هذا بالإضافة إلى تدريبهم علم الخطابة إلا أن هذا الأخير لم يدخل في التعليم الابتدائي إلا في العهود القريبة ،وفي مقابل ذلك نجده قد ألح على جملة من العلوم كان يراها أساس العملية التعليمية وهي: «القرآن الكريم مع إعرابه ورسمه بالشكل وإتقان الهجاء، والقراءة الحسنة من توقيف وترتيل »[2]. وعلى الرغم من ذلك فإن العلوم التي نص " ابن سحنون " على تعليمها للمبتدئين هي الغرض المطلوب في تثقيف أذهان المتعلمين في تلك الحقبة ، وإلى جانب ذلك نجد أن النظام التعليمي الذي ساد الكتاتيب على حسب " ابن سحنون " كان يفرض وجود «معلمين في آن واحد ؛ فكان أحدهم يعلم قراءة القرآن وفنونه الملحقة به والآخر يخصصونه للعلوم اللسانية من نحو وعربية وشعر وأخبار العرب»[3]، أما فيما يخص أوقات التعليم في الكتاتيب فلم يتم إثباتها بتاتا لا صباحا ولا مساء وقد استشهد صاحب " آداب المعلمين " بقول " الونشريسي " : «وسئل أبو طيب عبد المنعم بن خلدون الكندي (ت 421) هل يجلس المعلم من الصبح إلى المغرب، أو عند طلوع الشمس إلى عند الإسفار ؟ فأجاب أما وقت جلوس المعلم وقيامه فبحسب العرف، وما تعهده أهل التعليم في كل بلد »[4]،ونفس الأمر مع سن التعليم فقد كانت أصول التربية القديمة تصر على أنه «إذا بلغ الصبي الخامسة أو السادسة من العمر ساقه أبوه إلى الكُتّاب وأوصى عليه المعلم بما يناسب واتفق معه على معين الأجرة، وعلى من يرافق الصبي إلى المنزل في أوقات الانقلاب ...وفي غالب الأحيان يوضح الأب للمؤدب المواد التي يريد تلقينها للصبي »[5].أي أنّ الأب كان له دخل في نوعية المواد التي كان يتعلمها ولده.

وهذا يتضح جليا أن النظام الذي كان سائدا داخل الكتاتيب من حيث سن التعليم والمواد التي يعرضها المؤدب وأجرته الشهرية هي من صنع المؤدب وولي المتعلم وذلك من خلال الشروط التي يتفقون عليه، ومن فإن الكتاتيب قد عاشت دهرا طويلا في الإسلام إذ كانت تمثل معهد التعليم الابتدائي والتربية الأولية للمتعلم وساهمت بشكل مباشر أو غير مباشر في إخراج علماء وفقهاء كبار، وإلى جانب الكتاتيب ذكر " ابن سحنون " أيضا « كراء الحانوت لتعليم الصبيان ونفقدهم بالعرض الدائم للقرآن وتخصص بذلك وقتا واحدا مثل عشية

---

[1] المصدر نفسه، ص 44.

[2] ينظر: ابن سحنون: آداب المعلمين، ص 42.

[3] ينظر: المصدر نفسه، ص 45.

[4] المصدر نفسه، ص 46.

[5] المصدر نفسه، ص 50

الأربعاء ويوم الخميس ويأذن لهم يوم الجمعة»[1] وقال" ابن سحنون " أيضا في خصوص العلاقة بين المسجد والكُتّاب : « مربنا أن الكتاتيب اعتبرت من قديم الزمان كمعالم مضافة إلى المساجد وملحقة بها للصلة الدينية الموجودة بينهما حتى تجاسر المتأخرون ينصب الكُتّاب في نفس المسجد...ولأن المساجد لم تنصب للتعليم ولا لغيره من المهن »[2]،ومن خلال قول " ابن سحنون "هذا يتضح لنا أن في عصره لم يكن هناك تمييز بين الكُتّاب والمسجد وحتى الحانوت في حد ذاته، وفي هذا الجانب استشهد " ابن سحنون " بقول لـ " أبو العرب التميمي " الذي كان يعمل خياطا بمسجد " ابن أبي نصر "في القيروان إذ دخل عليهم " إسماعيل بن رباح الجزري " أحد تلامذة " ابن سحنون " قال لمعلمه : يا شيخ بكم أكريت هذا الحانوت ؟ فأجابه: ليس هو حانوت وإنما هو مسجد. فقال له اسماعيل: فالمساجد لم تبن للصناعيين وإنما بنيت للمصلين»[3].

وبالتالي فعلى حسبه فإن المساجد كانت تبنى للعبادة والقيام بالشعائر الدينية فقط، وأن الأماكن الصالحة للدراسة والتعليم هي كراء البيوت فقال " محمد بن سالم القطان " : « قلت " لمحمد بن سحنون " هل يباح للمعلم أن يعلم الصبيان في المسجد ؟ قال لا وعلى المعلم كراء البيت للتعليم وكذلك كان يفضل سحنون –رحمه الله تعالى–أن يكري بيتا يعلم فيه الصبيان »[4]،ومن هنا نجد بأنهم كانوا يرفضون التعليم داخل المساجد لأسباب دينية خاصة، وقد سئل "مالك" يوما عن تعليم الصبيان في المسجد قال: « لا أرى ذلك يجوز؛ لأنهم لا يتحفظون من النجاسة ولم ينصب المسجد للتعليم وقال أيضا: ولا رأى أن ينام في المسجد ولا يؤكل فيه إلا من ضرورة »[5]؛ أي أن هذا القول يشير إلى أن المساجد في عهد " بن سحنون " وغيره لم يكن موضعا للتعليم وإنما وإنما موضعا للعبادة، ومن أهم الأنظمة التي كانت سائدة في المؤسسات التعليمية في بيئة " ابن سحنون " هي:[6]

هي:[6]

– ألا يخلط المعلم في تعليم الجواري مع الغلمان لأن ذلك فساد لهم.

– أن يكون المعلم مستأجرا من قبل أولياء المتعلمين وأن يتفق معه على أجرة التعليم.

---

[1] المصدر نفسه، ص 104.

[2] ابن سحنون: آداب المعلمين ، ص 56.

[3] ينظر: المصدر نفسه، ص 56.

[4] المصدر نفسه، ص 114.

[5] المصدر نفسه، ص 114.

[6] ينظر: المصدر نفسه، ص117 –130.

– إذا استؤجر المعلم على صبيان معلومين سنة كاملة ينبغي على أولياء هؤلاء الصبيان كراء لهم موضعا للتعليم.

بالإضافة إلى تأكيدهم على دراسة مواد معلومة كالقرآن والحديث والفقه والحساب والقراءة والكتابة، وأقر أيضا أن عطلة عيد الفطر للصبيان يوما واحد، ولا باس أن تصل إلى ثلاثة أيام، أما عيد الأضحى ثلاثة أيام ولا بأس أن تصل إلى خمسة أيام.

وانطلاقا من كل هذا يتضح أن " ابن سحنون " قد ركز على الكتاتيب كأهم موضع للتعليم إلى جانب كراء الحوانيت والبيوت التي كانت فاعليتها أقل من الكُتّاب، أما المساجد فقد أشار إليها باعتبارها مكانا للعبادة فقط.

II – ابن خلدون :

إن قضايا التربية والتعليم تحتاج منا جميعا العمل على النهوض بمؤسساتها، والعمل على كل ما يمكن أن يساعدنا للوصول إلى تربية وتعليم أفضل وأحسن، وعلى هذا الأساس عمل هؤلاء العلماء والأدباء والمؤرخون على تحسين صورة المؤسسات التراثية بتعديد مناقبها ومحاسنها في متن مؤلفاتهم وآرائهم، ومن أهم هؤلاء العلماء نجد " ابن خلدون " من خلاله كتابه "المقدمة" الذي تحدث عن أهمية هذه الدور في العملية التعليمية.

وعلى الرغم من أن " ابن خلدون " لم يخصص فصلا للحديث فيه عن أماكن التعليم وأحوالها قديما ، إلا أنه كان يشير إليها في متن بعض الفصول ونصوصها الخاصة بالعلم والتعليم ولكنه لم يكن يفصل فيها كثيرا فمثلا في فصل « في المساجد والبيوت العظيمة في العالم » تحدث عن المساجد والتي ذكر منها مكة المكرمة والمدينة وبيت المقدس باعتبارها أعظم المساجد في العالم ، لكنه لم يشر بأنها موضع للتعليم بل خصها بموضع للصلاة فقط فقال: « وفي الأثار من فضلها ومضاعفة الثواب في مجاورتها والصلاة فيها كثير معروف، فلنشر إلى شيء من الخبر عن أولية هذه المساجد الثلاثة وكيف تدرجت أحوالها إلى أن كمل ظهورها في العالم»[1]، وإلى جانب هذا تطرق صاحب كتاب " مقدمة " إلى العلوم التي كان يتلقاها المتعلمون داخل الكتاتيب إلا أنه لم يتحدث عن الكتاتيب بدورها وأهميتها الفعالة في العملية التعليمية فقال:« أعلم أن تعليم الولدان القرآن شعار الدين أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبق فيه إلى قلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الحديث، وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعد من الملكات »[2]، وهذا يعني أن

[1] ابن خلدون: مقدمة، ص 424.

[2] المصدر نفسه، ص 688.

القرآن من العصر الإسلامي أصل التعليم واستمر هذا الأمر إلى يومنا هذا ؛لأنه لولا وجود القرآن الكريم لما صار للعربية اعتبار ،ولما حفظها التراث العربي وظلت قائمة على رأس اللغات الأخرى، فإن أصل تعليم اللغة العربية هو القرآن الكريم، وعلى هذا الأساس عمل الأدباء والعلماء على توسيع نطاق التعليم في الحضارة الإسلامية، وهذا الأمر لا يحدث إلا عن طريق الإكثار من العلوم والفنون، ولهذا عملوا على الاحتكاك بالثقافات الغربية والتعلم منها وأخذ علومها وأصبحوا يتعلمونها ويتفننون بها فقال " ابن خلدون " : «واعتبر ما قررناه بحال بغداد وقرطبة والقيروان والبصرة والكوفة لما كثر عمر عمرانها صدر الإسلام واستوت فيها الحضارة كيف زخرت فيها بحار العلم وتفننوا في اصطلاح التعليم وأصناف العلوم واستنباط المسائل والفنون حتى ارجوا على المتقدمين وفاتوا المتأخرين »[1]، وقال أيضا :« وذلك أن القيروان وقرطبة كانتا حاضرتي المغرب والأندلس واستجر عمرانها وكان فيها للعلوم والصنائع أسواق نافقة وبحور زاكرة »[2]، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن " ابن خلدون " كان يخص بالذكر المناطق التي استطاعت أن تنجب علماء كبارا سواء كان ذلك في اللغة أو النحو والأدب والشعر والبلاغة خاصة البصر والكوفة فقد كان علماؤها من أكبر أئمة اللغة على الإطلاق.

ويعني هذا أن تلك المؤسسات التي درسوا فيها هؤلاء العلماء كانت منظمة تسير على درب واحد من العمل والاجتهاد للنهوض بالملة الإسلامية حتى تصبح لها صورة معتبرة مع باقي الملل الأخرى، وإلى جانب المساجد والكتاتيب تحدث " ابن خلدون " عن الأسواق وأهميتها في توسيع العلم لأن الأسواق قديما كانت ملتقى الناس والشعوب وتحاورهم وتبادلهم للأفكار والمعارف فيما بينهم هناك فقال :«وأما المشرق فلم يتقطع سند التعليم فيه بل أسواقه كانت نافقة وبحوره زاخرة لاتصال العمران الموفور واتصال السّند فيه، وإن كانت الأمصار العظيمة التي كانت معادن العلم قد خربت»[3]،أي أن الأسواق لم تكون لتبادل السلع والقيام بالأعمال التجارية والصناعية كالبيع والشراء ، بل كانت أيضا سند التعليم وأصل تبادل العمران والثقافات ، بالرغم من أن الأمصار العظيمة التي وصل فيها العلم إلى أوج تطوره قد خربت هذا من جهة ،ومن جهة أخرى قال في أهل المغرب عكس ما قاله في أهل المشرق : « وقد كست لهذا العهد أسواق العلم بالمغرب لتناقص العمران فيه وانقطاع سند العلم والتعليم...، وما ادري ما فعل الله بالمشرق والظن به نفاق العلم فيه واتصال التعليم في العلوم وفي سائر الصنائع الضرورية والكمالية لكثرة عمرانها والحضارة ووجود الإعانة لطالب العلم بالجراية من الأوقاف التي اتسعت

[1] ابن خلدون: مقدمة، ص 521.

[2] المصدر نفسه، ص 517.

[3] المصدر نفسه، ص 519.

به أرزاقهم »[1]، وهذا يعني أن أحوال العملية التعليمية تسيير داخل أماكن التعليم على حسب الأوضاع والظروف التي تسود داخل ببيئة معينة، فمثلا التعليم في المشرق لم يكن مثله في المغرب، وهذا يعود إلى طبيعة الأحوال السياسية والاجتماعية السائدة، ضف إلى ذلك فقد ذكر " ابن خلدون " أهم العلوم التي كانت تُدرس وهي علم اللغة وعلم النحو ، والبيان والآداب باعتبارها علوما نقلية وإلى جانبها ذكر العلوم الحكمية الفلسفية وهي علم الفقه والكلام والفلسفة باعتبارها علوما عقلية فقال: « ثم إن هذه العلوم الشرعية النقلية قد نفقت أسواقها في هذه الملة بما لا مزيد عليه وانتهت فيها مدارك الناظرين إلى الغاية في الحسن والتنميق ...وأوضاع يستفاد منها التعليم »[2] وأشار أيضا إلى عظمة حوانيت الوراقين ودورهم في نشر العلم والتعليم خاصة بعد اتساع نطاق الدولة ونفاق أسواق ذلك لديها داخل الملة الإسلامية، إذ تطورت الحركة العلمية أكثر وتوسعت بكثرة التأليف وانتشار صناعة الكتب والدواوين فقال:« وجاءت صناعة الوراقين والتصحيح وسائر الأمور الكتابية والدواوين واختصت بالأمصار العظيمة العمران »[3]ومنه فقد كان لصناعة الورق دورا هاما في صناعة الرواية ونسخ الخط وتصحيحه وضبطه وتجليد الكتب وتصنيفها: «كانت العناية قديما بالدواوين العلمية والسجلات في نسخها وتجليدها وتصحيحها بالرواية والضبط، وكان سبب ذلك ما وقع من ضخامة الدولة وتوابع الحضارة، وقد ذهب ذلك لهذا العهد بذهاب الدولة وتناقص العمران بعد أن كان منه في الملة الإسلامية بحر زاخر بالعراق والأندلس»[4].

هذا دون أن ننسى بأن العلامة " ابن خلدون " قد تحدث بالتفصيل عن الحركة العلمية في جل البلاد العربية وضم إليها بعض البلدان المجاورة كالأتراك فقال: « وذلك أن أمراء الترك في دولتهم يخشون عادية سلطانهم على من يتخلفونه من ذريتهم لما له عليهم من الرق أو الولاء، ولما يخشى من معاطب الملك نكباته فاستكثروا من بناء المدارس والزوايا والربط ووقفوا علها...وارتحل إليها الناس في طلب العلم من العراق والمغرب واتفقت بها أسواق العلوم وزخرت بحارها »[5] أي أن العرب لم ينقطعوا عن أخذ العلم وتعلمه حتى في البلدان المجاورة وهذا ما يثبت نشاطهم وحماسهم وحركيّتهم في أخذ العلم ومحاولة نقله وتعليمه لأبناء ملتهم، وبعد التطور الذي حدث في عهد الدولة العباسية وإنشاء المدارس النظامية داخل الحضارة العربية الإسلامية ، أصبحت للمدارس العربة أنظمة داخلية

[1] ابن خلدون: مقدمة، ص 524.

[2] المصدر نفسه، ص 524.

[3] المصدر نفسه، ص 507.

[4] المصدر نفسه، ص 507.

[5] المصدر نفسه، ص 522.

خاصة ظهرت أول مرة في المغرب وفي هذا الخصوص قال " ابن خلدون " : « ومما يشهد بذلك في المغرب أن المدة المعينة لسكنى طلبة العلم بالمدارس عندهم ست عشرة، وهي بتونس خمس سنين وهذه المدة بالمدارس على المتعارف هي أقل ما يأتي فيها لطالب العلم حصول مبتغاه من الملكة العلمية أو الياس تحصيلها »[1] ، وانطلاقا من هذا فإن لهذه المدارس الخاصة أنظمة محكمة تسير عليها العملية التعليمية سواء من حيث سن دخول هذه المدارس أو من حيث المواد التي يقدمها المعلمون للمتعلمين.

ومن هنا يتبين لنا أن " ابن خلدون " قد أبدى اهتمامه بالعلوم التي كانت تدرس في تلك المؤسسات والأنظمة السائدة وطبيعة نشاط الحركة العلمية السائدة في المشرق والمغرب بدلا من الحديث عن هيئة المؤسسات وأهميتها في حد ذاتها.

[1] ابن خلدون: مقدمة، ص 519.

*مقارنة بين المؤسسات التعليمية ضمن المدونات الأربع:

عرفت الكتب التراثية باختلاف أنواعها، التاريخية ، اللغوية، والدينية ، قضايا ومواضيع متعددة خصت العملية التعليمية والتي تناولتها بمختلف عناصرها الأساسية والفرعية وقد كانت المؤسسات لتعليمية من أبرزها ، إذ كانت لها مكانة خاصة لدى العلماء الذين حاولوا بكل جهد إعطاء صورة تاريخية لأعظم أماكن التعليم قديما ولم تمس هذه الصورة عصرا واحدا، بل شملت كل العصور من العصر الجاهلي إلى العصر الأندلسي ، وخلال هذه الفترات المتعاقبة شهدت هذه المؤسسات تطورات إيجابية وسلبية مست كل الجوانب، إذ برزت فيما أنواع في حين غابت أنواع أخرى ،كما اختلفت فيها أيضا أنواع الطرق والأساليب التي كانت معتمدة داخل هذه المؤسسات ومن أبرز المصنفات التي تناولت هذا الموضوع نجد كتاب " آداب المعلمين " " لابن سحنون " وكتاب " أدب الدنيا والدين " "للماوردي " وكتاب " تعليم المتعلم طريق التعلم "" للزرنوجي" كذلك " مقدمة " " لابن خلدون " وعلى الرغم من تناولهم لهذه المسألة إلا أننا نجد بأنهم قد اختلفوا في بعض واتفقوا في بعض منها.

1- أنواع المؤسسات التي اتفقوا عليها:

أ- الكتاتيب: من خلال المصنفات السابقة الذكر نجد أن كلا من" ابن سحنون"،" الماوردي" و"ابن خلدون" قد كانت لهم نظرة واحدة اتجاه بعض المؤسسات التعليمية، فقد كانت الكتاتيب موضوعا مشتركا بين كل من "ابن سحنون" و"ابن خلدون " اللذان خصا عناية كبيرة بهذا الصرح التعليمي، فقد أشار " ابن سحنون " إلى أن الكتاتيب موضع للتعليم الابتدائي، فقد كانت مكانا لحفظ القرآن الكريم وتعليم اللغة العربة بالدرجة الأولى، كما تطرق أيضا إلى النظام الذي كان سائدا فيها ، من حيث العلوم التي كانت تدرس بداخلها، وعدد المعلمين وأوقات التعليم بالإضافة إلى سن المتعلم وأجرة المعلم، أما " ابن خلدون " فقد خص بذكر العلوم التي كانت تعرض داخل الكتاتيب، ولم يتحدث عنها بالتفصيل وذلك من حيث النظام التعليمي الذي كان سائدا.

ب- حوانيت الوراقين : إلى جانب الكتاتيب اتفق " ابن خلدون " و " ابن سحنون " على أن حوانيت الوراقين موضع مهم من مواضع التعليم التي كانت سائدة منذ القدم، فهي لم تكن مكانا للبيع والشراء فقط بل كانت موضعا للتعليم ، فقد صرح " ابن سحنون" على أن هذه الحوانيت كانت محلا للكراء خدمة لطلب العلم ونشره داخل الملة الإسلامية، أما " ابن خلدون " فقد أشار إلى عظمتها أيضا وعدها صرحا تعليميا فريدا من نوعه إذ

ساعد على صناعة الكتب والورق، والدواوين، وضبط الخط، ومنه كان هذا الصرح أداة لتوسيع التأليف واتشاره داخل البيئة العربية.

ج- المساجد: لقد كانت المساجد مقصد جميع الناس في الحضارة العربية الإسلامية خاصة بعد مجيء الإسلام حيث عمل كل أفراد الدولة العربية على حفظه ونشره في بقاع الدولة العربية خصوصا والعالمية عموما، ومنه اتفق كلا من "ابن سحنون"، "الماوردي" و"ابن خلدون" على أن المساجد كانت موضعا للعبادة والقيام ببعض الشعائر الدينية، كالصلاة وتلاوة القرآن فقد ذموا التعلم داخلها لأن الصبيان لا يتحفظون من النجاسة، ولدخول المسجد يشترط أن يكون ذلك الشخص نظيفا وطاهرا حتى يبقى هذا المكان صالحا للعبادة.

2 –المؤسسات التي اختلفوا فيها:

من خلال الاطلاع على متون هذه المصنفات نجد أنه توجد بعض المطارح مكانا للتعليم قديما لم يتطرق إليها "ابن سحنون " و" الماوردي " و" الزرنوجي " أما " ابن خلدون " فقد تطرق إليها بذكر النظام الذي كان سائدا فيها من العلوم وسن التعليم وبعض الأعمال الأخرى التي كانت تقام داخل هذه المؤسسات خدمة للدين واللغة ومنه نشر التعليم بصفة عامة، ومن بين تلك المؤسسات:

أ- الأسواق: لقد كانت الأسواق منذ العصر الجاهلي مقصد عامة الناس وذلك للخدمات العلمية التي كانت تقام آنذاك من مناظرات ومناقشات شعرية ونثرية أكبر الشعراء والأدباء في تلك الحقبة، ومع مرور الوقت وكثرة الحروب انعدمت هذه الخدمات التي كانت تقام فيها، مما أدى إلى غيابها عن الساحة العلمية خاصة الفترة التي دخل فيه السلاجقة وضعفت الدولة الإسلامية وأصبح الحكم غير عربي، مما زاد من تخوف العرب على اختلاط القرآن واللغة العربية الأعجمية فحاولوا بذلك الحفاظ عليهما من خلال تخصيص أماكن للتعليم فيها، ولهذا لم يتطرق كل من " ابن سحنون و" والماوردي" و" الزرنوجي" إلى هذا الصرح التعليمي على عكس" ابن خلدون" الذي أعطى له جزءا خاصا و أهمية كبيرة في متن مصنفه، لأنه وبعد انحطاط العصر العباسي في الآونة الأخيرة وأصبح الحكم أندلسي عاد التعليم لينتشر في أي مكان، وعاد بذلك الاعتماد على الأسواق واعتبارها كمكان مهم لنشر التعليم.

ب- المدارس: لقد ظهر نظام التعليم داخل المدارس مع الفترة المتطورة من العصر العباسي وبالضبط مع عصر الملك السلجوقي، هذا الأخير الذي خصص المدارس كمكان عام للتعليم ولم يخص فئة معينة من المتعلمين ، وقد تناول " ابن خلدون" –على غرار بقية العلماء– نظام المدارس الذي كان سائدا في تلك الفترة؛ من النظام

الداخلي إلى المواد والسن التي ينبغي على المتعلم الدخول بها للتعلم في المدرسة، ومن خلال الدراسات المقامة حول كتاب " المقدمة " " لابن خلدون " نجد أنه كان يعطي اهتماما كبيرا للمدرسة كونها ساعدت وبشكل كير في نشر العلوم والمعرفة داخل العربية وكانت تجمع كل الفئات الاجتماعية، وزادت من نشاط الحركة العلمية والفكرية فكثرت الترجمة والتأليف وتوسع العلم كثيرا حيث مس كل نطاق الحضارة العربية أما الآخرون " ابن سحنون"، " الماوردي"، و" الزرنوجي" فلم يتطرقوا إلى مثل هذا الصرح التعليمي ، وذلك بانعدامه أصلا في فترة عيشهم وخاصة في ظل نقص المتعلمين وقلة حركات التعليم.

ومن خلال ما سبق نلاحظ أن العصر الذي عاشه " ابن خلدون " كان الأكثر تطورا واهتماما بالمؤسسات التعليمية على عكس الفترة التي عاش فيها كل من " الماوردي " و" ابن سحنون " ورغم ذلك نجدهم قد تطرقوا ولو لمكان واحد من أمكنة التعليم، أما " الزرنوجي" فلم يتناول المؤسسات التعليمية داخل مصنّفه هذا، واكتفى

بذكر شروط وصفات العلم والمتعلم وذكر بعض الطرق والأساليب المعتمدة في العملية التعليمية التربوية.

المبحث الثاني: طرق التعليم.

1- تعريف طرق التعليم:

شهدت العملية التعليمية منذ القدم تغيرات واضطرابات على مستوى المفاهيم الخاصة بها، ومن بين هذه المفاهيم نجد طرق التعليم، هذه الأخيرة التي عرفت اختلافات وتعددات في مسمياتها، وهذا الاختلاف ناتج عن تطور العلم والتكنولوجيا، إذ أصبحت هناك طرق كثيرة ومختلفة يتم من خلالها عرض المعلومات والأفكار، فالمعلم يلجأ إلى هذه الطرق حتى يتمكن من التواصل مع المتعلمين وإيصال الأفكار والمعلومات لهم.

وتعتبر طرق التعليم منذ القدم من أهم «الأدوات الفاعلة والفعالة في العملية التعليمية، لأن لها دورا هاما في تنظيم الحصة المقررة في تناول المادة العلمية ،ولا يستطيع المعلم الاستغناء عنها، لأن من دون طريقة تدريسية يتبعها لا يمكن تحقيق الأهداف التربوية العامة والخاصة»[1]،وقد تداول المعجميون هذا المصطلح أي طريقة، فجاء تعريفها كالآتي:

[1] ميلود قيدوم: تداولية طرائق التدريس, plog post(echo…infpe blogspot.com, PM : 21 :072017/03/14

أ- معجم الوسيط: «طُرِق طَرَقا: ضعف عقله، وأطرق: أمال رأسه إلى صدره وسكت وطريقا سهله حتى طرقه المارة. وله جمل له طريقا و(الطريق): المطروق، والممر الواسع الممتد أوسع من الشارع و(الطريقة): الطريق. والسير والطرائق: الطبقات بعض فوق بعض».[1]

ب- معجم لسان العرب: «والطريق: السبيل، تذكّر وتؤنث؛ تقول: الطريق الأعظم الطريق العظمى، وكذلك السبيل، والجمع أطرقة وطرق... والطريقة: العُمد، وكل عمود طريقة، والطريقة: في الشيء، والطريقة الحال. يقال: هو على طريقة حسنة وطريقة سيئة»[2].

أي من خلال هذين التعريفين اللغويين نجد أن الطريقة مأخوذة من مادة (طرق) والطريق هو السبيل والسيرة والعمدة في كل شيء أي أساسه وهذه الطريقة قد تكون حسنة أو سيئة أما اصطلاحا: فالطريقة هي «جملة المراحل والخطوات التي تستند على مجموعة من الفرضيات اللسانية والنفسية والبيداغوجية بغية تنفيذ أهداف التعليم وغاياته »[3]،وقد تداول التربويون طرق التدريس بتعريفات متعددة منها [4]:

– مجموعة من الإجراءات والأنشطة التي يقوم بها المعلم الطالب أثناء الدرس من اجل بلوغ أهدافه.

– الآلية التي يستخدمها المعلم في تنظيم وتنفيذ مجموعة من الأساليب والوسائل والنشاطات التعليمية التي يقصد بها تحقيق أهداف محددة وهي الأساس الذي تبنى عليه مهمة التدريس، وعليه يتوقف نجاح المدرس والدرس معا.

أي أن طريقة التدريس هي أهم ما يلجأ إليه المدرس حتى يستطيع ترجمة أفكاره وإيصال رسالته العلمية بشكل مباشر للمتعلم وهي بذلك عبارة عن «نهج يتبعه المعلم في نقل وتبسيط المعلومات من المقررات الدراسية إلى أذهان الطلاب وهي الأسلوب الذي يستخدمه المعلم في معالجة نشاطه التعليمي ليحقق وصول المعارف إلى طلابه بأيسر السبل»[5] وبما أن عمليتي التعليم والتعلم كانت جذورها ممتدة منذ القدم، فكانت الحاجة بذلك إلى استنباط طرائق يستطيع من خلالها المعلم توصيل أفكاره ومعارفه بأنماط متعددة، ومن أهم هذه الطرق:

---

(1) إبراهيم مصطفى وآخرون: معجم الوسيط، ص 555- 556، مادة (ط.ر.ق).

(2) ابن منظور: لسان العرب، ج9، ص 112 113.مادة (ط.ر.ق).

(3) ربيعة بلحاج: ملامح تعليمية اللغة عند ابن خلدون من خلال مقدمته، ص53.

(4) المرجع نفسه، ص 54.

(5) ميلود قيدوم: تداولية طرائق التدريس عيوبها وفوائدها.

1- طريقة المناقشة:

لقد كان يطلق على هذه الطريقة تسميات متعددة منها طريقة المطارحة والطريقة الحوارية، وتعتبر هذ الطريقة من أهم طرائق التدريس التقليدية التي تعتمد على الحوار والمناقشة والمطارحة ، «فالفكر التربوي الإسلامي كان دائم التشجيع لها لأنها أعظم فائدة من مجرد التكرار، فهذه الطريقة تساعد على إقحام المتعلم في الجو التعليمي الذي يتسم بالبحث عن حقيقة علمية مجردة»[1]، فالحوار يساعد على التفاعل الذي ينشأ بين المعلم والمتعلم؛ أي يوجد تفاعل متبادل داخل الصف الدراسي سببه المناقشة والحوار بالأسئلة والأجوبة والهدف منه هو الوصول إلى الحقائق المعرفية التي يريد المعلم إيصالها والمتعلم اكتسابه، كما يعتبر أيضا «وسيلة ناجحة لتدريس الآراء والمذاهب وذلك في صورة حيوية وبطريقة جذابة تضفي كثيرا من الطرافة على الدرس »[2]،ولهذا «فالسؤال أحد الطرق الهامة التي عرفت في أغلب المؤسسات التعليمية فصبي الكُتّاب قد يسأله معلمه عن آية أو حديث أو أية معلومة لم يستوعبها، كذلك فإن طالب الحلقات العلمية بالمساجد يعتمد على السؤال في الحصول على الكثير من المعلومات من شيخه »[3].

فطريقة السؤال في الكتاتيب والمساجد قديمة قدم التربية نفسها ولاتزال هذه الطريقة أكثر شيوعا حتى يومنا هذا لأن لها خصائص ومميزات تعود بالفائدة على المتعلم ، فهي «تشجعه على المشاركة في عملية التعلم، وتساعده على تحديد الأنماط السلوكية التي اكتسبها التلميذ والتي تهيئه لبداية نقطة جديدة بالإضافة إلى تنمية أفكاره لأنهم بأنفسهم يتوصلون إلى معلومات بدل من أي يدلي بها إليهم المعلم، وتساعده على توثيق الصلة بين المعلم وطلابه »[4]، ولهذا ينبغي أن تكون هذه الطريقة القائمة على الحوار بالمساعدة والمجاوبة بين المعلم والمتعلم لها أهداف وغايات تساعد المتعلم على تنمية عقله وفكره، لا أن تكون مجرد أحاديث بسيطة غير مجدية بالإضافة إلى أن تكون هذه النقاشات هادئة غير مضجرة، وإلى جانب هذا يمكن الإشارة إلى أن هذه الطريقة كانت متداولة في قصور الخلفاء، وقد نبه إليها " محمد أسعد طلس " في كتابه "التربية والتعليم في الإسلام" قائلا: «والحق أن الخلفاء والأمراء الذين كانوا يهتمون بالنواحي الثقافية والنشاط العلمي كانوا يجتمعون في قصورهم مشاهير العلماء في كافة

---

[1] ينظر: عبد الرحمن النقيب: مؤسسات التعليم في عصور الازدهار الإسلامي، ص 15.

[2] ليلى سهل: واقع العملية التعليمية بين مطرقة القديم وسندان المعاصرة، مجلة المخبر، أبحاث في اللغات والأدب الجزائري، ع 10، جامعة بسكرة ،الجزائر، 2014، ص 76.

[3] مفتاح يونس الرياصى: المؤسسات التعليمية في العصر العباسي الأول، ص 207.

[4] أحمد الخطيب: أسلوب الحوار والمناقشة في التدريس، 52.2017/03/14: 20 : pM،www.edutrapeida.illaf.net

فروع العلم والأدب ويستمعون إلى مناقشاتهم، وكثيرا ما كانوا يشاركونهم همّ أنفسهم في ذلك النشاط العلمي »[1]، ومن الكتاتيب والمساجد والقصور انتقلت هذه الطريقة إلى مجالس أصبحت تعقد في المحلات والطرقات والأندية العامة «وقد تطور أمر هذه المجالس في القصور إلى مجالس كانت تعقد في المحلات العامة كالطرقات والأندية يتنافس فيها العلماء »[2]، ومن مزايا طريقة المناقشة[3] :

– إبراز الدور الإيجابي للمتعلم وعدم اقتصاره على التلقي.

– تساعد المتعلمين على اكتساب مهارات الاتصال خاصة مهارات الإنصات والكلام والحوار وإدارته.

– تنمية قدرة وثقة المتعلمين العقلية بأنفسهم.

– إحساس المتعلمين بالمتعة، حينما يناقشون ويسألون ويتساءلون ويجيبون داخل الصف. وكما لهذه الطريقة مزايا فلها أيضا عيوب وهي:[4]

– تحتاج إلى مهارات عالية في استخدام الأسئلة الصفية وتوزيعها وتنويعها بما يراعي الفروقات الفردية بين المتعلمين.

– تحتاج إلى مهارات في ضبط الصف وإدارته، لأنه إذا كان المعلم ضعيف الشخصية لن يستطيع بهذه الطريقة التحكم في الصف وإدارته وضبطه.

– تفقد الإثارة لدى المتعلم حينما يقرأ الموضوع قبل الدرس ويألفه ويعرف المعلومات الخاصة به.

ولنجاح هذه الطريقة أكثر كان يتوجب على المتعلم استعمال وسائل تعينه على التعلم تتمثل في استعمال الإشارات والرموز لتساعدهم على تحليل إجاباتهم والتعرف على مواطن الضعف والقوة.

وبالتالي نجد بأن طريقة المناقشة من أهم الطرائق القديمة التي كانت تعتمد في عملية التعليم، وحتى ينجح المعلم في استخدام مثل هذه الطرائق عليه أن يدعمها بالقدرة والإرادة التي تساعده من ممارسة مهنته واستخدام خبرته وثقافته بكل أريحية.

---

[1] محمد أسعد طلس: التربية والتعليم في الإسلام، ص 55.

[2] المرجع نفسه، ص 56.

[3] ينظر: ميلود قيدوم: تداولية طرائق التدريس عيوبها وفوائدها.

[4] المرجع نفسه.

2- طريقة المحاضرة:

كان يطلق البعض على هذا النوع أيضا من الطرائق بطريقة التلقين والإلقاء، وهذه الطريقة من الطرق التي تستخدم كثيرا، فهي طريقة تقليدية قديمة لا يخلو أي تعليم منها، تقوم أساسا على ثلاثة ركائز هي الحفظ والتسميع والتلقين، وتعرف هذه الطريقة بأنها «الطريقة التي يكون فيها المدرس هو المتكلم الوحيد في حجرة الدرس، أما الطلاب فيستمعون منصتين لما يلقى عليهم، وقد يسجلون بعض النقاط للرجوع إليها فيما بعد»[1]. وقد كانت هذه الطريقة من أنجح الطرق المعتمدة في المؤسسات القديمة خاصة الكتاتيب، وذلك لتناسبها وسن المتعلمين وهذا ما أشار إليه" مفتاح يونس الرباصي" فقال: « لقد استعملت هذه الطريقة في الكتاتيب لتناسبها مع سن المتعلمين وتعتمد هذه الطريقة على قراءة المعلم للآية القرآنية بشكل واضح ثم يعيدها الصبي بنطق صحيح لترسخ في ذهنه »[2] ومنه فقد كانت الغاية من تطبيق هذه الطريقة في الكتاتيب هو حفظ القرآن الكريم، وعلى حسب الكُتّاب والمؤرخين فقد كان سائدا في الجزيرة العربية نوعين من المتعلمين :[3]

الأول: الأميين من العرب الوثنين.

ثانيهما: أهل الكتاب من اليهود والنصارى المشركين.

وقد كانت الفئة الأولى تعتمد في التعليم على أساسيات ومبادئ مهمة، وهذه الأخيرة لا يستطيع المتعلم تعلمها واستيعابها إلا من خلال التلقين والتحفيظ، وبما أن البيئة العربية تدين الإسلام وهو دين سلوك ومعاملة كان من الضروري الاعتماد على طريقة التلقين والتقليد. ونفس الطريقة كانت تعتمد في التعليم داخل قصور الخلفاء والمساجد إذ استعملت فيها- المساجد- بشكل محدود، وسبب ذلك هو أن أحد طلبة "الشافعي" كان بطيء الفهم، ولهذا استبعدت هذه الطريقة في المساجد بينما كانت مفيدة داخل الكتاتيب والقصور والذي يثبت ذلك هو ما قاله " مفتاح يونس الرباصي": «...وقد أفادت هذه الطريقة أبناء الخلفاء في تنمية ملكة الحفظ»[4] والذي زاد من نجاح هذه الطريقة داخل القصور هو «قلة عدد المتعلمين ، ومن هنا يمكن أن نقول بأن طريقة

---

[1] ربيعة بلحاج: ملامح تعليمية اللغة عند ابن خلدون من خلال مقدمته، ص 55.

[2] مفتاح يونس الرباصي: المؤسسات التعليمية في العصر العباسي الأول، ص 193.

[3] ينظر: هدى عبد الرزاق هوبي الطائي: أصول التعليم في الإسلام، ص 147- 148.

[4] مفتاح يونس الرباصي: المؤسسات التعليمية في العصر العباسي الأول، ص 194.

التلقين كانت مرتبطة بالكتاتيب ولقصور في حين كانت غائبة في باقي المؤسسات الأخرى»[1]، ومن الممكن القول بأن هذا النوع من الطرائق كان شائعا عند أهل المغرب ولا يزاولونها داخل المؤسسات الحديثة: «وقد كان أكثر اعتمادا عند أهل المغرب ومتفشيا بشكل ملحوظ في الجزيرة العربية، ولا يزال إلى يومنا هذا معتمدا في الكثير من المؤسسات التربوية الحديثة»[2].والسبب الذي أدى إلى وصول هذه الطريقة إلى درجة عالية واستمرارها من العصور القديمة حتى الحديثة هو أن المعلم يستطيع أن يعرض محاضرته شفهيا أي بأسلوبه الخاص، الذي يلائم مستوى المتعلم ، وقد كان المؤدب من خلال هذه الطريقة يستعرض بعض« القصص القرآنية كوسيلة للاتعاظ والاعتبار»[3].

كما كانت هذه الطريقة أيضا تستخدم في تدريس اللغة العربية ضمن مجالات متعددة منها:[4]

- تدريس الأدب العربي، تاريخه، وحياة الأدباء والفنون الأدبية.

- تدريس النحو العربي باستخدام أسلوب التوضيح للمفاهيم والقوانين والربط بين الموضوعات وفي الأساليب اللغوية.

ومن الواضح أن لكل طريقة مزايا وعيوب، فمن مزايا هذه الطريقة:[5]

- توفر الوقت وتناسب المقررات الدراسية مثل التاريخ والقصص حيث يظهر دور الإلقاء فيها بشكل كبير.

- تساعد على الربط مع المعلومات السابقة واللاحقة لأن الكلام فيها متواصل ومترابط.

- إذا استخدمها المعلم فإنه يملك مهارات الإلقاء فإنها تكون جيدة.

- يستميل إليها بعض الطلاب السمعين الذين يعتمدون على اللغة. ومن سلبيات وعيوب هذه الطريقة:[6]

- سلبية التلاميذ أنفسهم، خاصة إذا انهمك المدرس في المحاضرة، ونسي تماما أنه يجب إشراكهم معه.

---

[1] ينظر: المرجع نفسه، ص 194.

[2] مناع آمنة: أقطاب المثلث الديداكتيكي في التراث العربي في ضوء اللسانيات الحديثة، تحديد المصطلح والتعريف بالفهوم، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع2، جامعة غرداية، الجزائر، 2014، ص 112.

[3] هدى عبد الرزاق هوبي الطائي: أصول التعليم في الإسلام العصرين الأول والثاني، ص148.

[4] ليلى سهل: واقع العملية التعليمية بين مطرقة القديم وسندان المعاصرة، ص 75.

[5] ميلود قيدوم: تداولية طرائق التدريس.

[6] مسعد محمد زياد: أساليب التدريس، 2017/03/14, 47: 18 PM، www.drdrmasd.com

– إذا لم يتوقف المعلم أثناء المحاضرة كي يختبر طلبته بأي طريقة كانت، قد ينتهي به الأمر وهؤلاء الطلاب لم يفهموا شيئا.

– على المعلم أن ينتبه إلى الوقت، فإذا لم يضبط نفسه أثناء الحوار والمناقشات فلن يحقق ما خطط لنفسه أن يحققه من درسه.

ويهذا يمكن القول بأن طريقة المحاضرة ليست سلبية تماما ولا هي بإيجابية، فنجاحها وفشلها يتوقف على دور المعلم الذي يستطيع أن يحول الفشل إلى نجاح الذي يمكن من خلاله تغيير الآراء والمواقف السلبية اتجاهها.

3– طريقة المناظرة:

تعتبر طريقة المناظرة إحدى طرق التدريس المهمة والمتبعة منذ القدم ، وهي نوع من أنواع البحث العلمي، إذ كانت لها أهمية بالغة في الحياة الفكرية العربية منذ العصر الجاهلي، ففي القديم كان الشعراء يتناظرون فيما بينهم بأشعارهم وقصائدهم الطويلة التي لم تكن تنتهي، ومنذ ذلك الحين أصبحت لهذه الطريقة مكانة عالية في العملية التعليمية، وقد جاء تعريفها في معجم "لسان العرب " " لابن منظور " بقوله: «والمناظرة أن تناظر أخاك في أمر إذا نظرتما فيه معا كيف تأتيانه... ونظيرك الذي يراوضك وتناظره وناظره من المناظرة »[1] أما " الفراهيدي "(718–786) فقد عرفها بقوله :« أن تناظر أخاك في أمر إذ نظرتما فيه معا كيف تأتيانه ؟ »[2]فالمناظرة إذا مأخوذة من النظر الذي يقع على شيء ما مادي أو معنوي من قبل شخصين وأن يكون لكل واحد منهما نظرته الخاصة به، أما من الناحية الاصطلاحية فهي لا تكاد تختلف في اللغة وهي: «تردد الكلام بين شخصين يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول صاحبه ليظهر الحق »[3]، ومن خلال هذين التعريفين اللغوي والاصطلاحي يتبين لنا أنه توجد علاقة بينهما وهذه العلاقة تقوم أساسا على «التدبر والتفكير والبحث وهي بعد ذلك تعد أركانا للمناظرة »[4]؛ أي ينبغي على المناظر أن يكون قادرا على إحالة أفكاره ومعارفه الثقافية الثقافية في فترة قصيرة من الزمن إلى محاورات مباشرة أمام جمهور العلماء ، مقابلا بذلك طرفه الثاني من المناظرة،

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، ج14، ص 292 293، مادة (ن.ظ.ر).

[2] الخليل بن أحمد الفراهيدي (الخليل بن احمد بن عمر وبن تميم الفراهيدي): العين، تح: عبد الحميد هنداوي، ج4، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص 238.

[3] عبد الله بن خلفان بن عبد الله آل عايش الأسمري: أسلوب المناظرة وتطبيقاته في الفكر التربوي الإسلامي، المعهد العالي للأمم بالمعروف والنهي عن المنكر، جامعة أم القرى، السعودية، (د ت)، ص 10.

[4] ينظر: المرجع نفسه، ص 11.

ولهذا كانت «البيئة العربية على دراية بمثل هذه الطريقة قبل الإسلام وبعده وذلك من خلال الأسواق العامة التي كان يقصدها جمهور كبير من العلماء خاصة الشعراء منهم، الذين كانوا يكتبون أشعارهم في مجالات مختلفة وبأغراض متعددة، حتى أنهم كانوا يخصصون قصائدا في مدح الأمراء والحكام والوزراء، أما في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام فقد كان أول من شجع على التقيد بمثل هذه الطريقة في التعليم، ولهذا ورد في القرآن الكريم الكثير من أحاديث المناظرات، التي كانت تتميز في تلك الفترة بروح التساهل والبساطة وتحكيم المنطق العقلي الحكيم »[1]. ومع مرور الوقت وتطور العصور أدى بهذه الطرقة إلى البروز أكثر على الساحة الفكرية والعلمية، خاصة بعد أن استطاعت «الدولة العباسية التحكم في زمام أمور الدولة التي برزت فيها نشاطات الحركة العلمية أكثر فكانت الترجمة من أهم العوامل التي ساعدت على تطوير طريقة المناظرة بعدما استطاعت العرب الاطلاع على فلسفة اليونان القائمة على الجدل والحوار ومن أهم الأسباب التي أدت إلى شيوع هذه الطريقة،هي تلك الموجة التي ظهرت لمهاجمة الدين الإسلامي والتابعة لبعض الملل الاخرى، مما أدى ببعض العلماء إلى تعلم هذه الطريقة للدفاع عن دينهم »[2]. وبالتالي يمكن القول ان العرب المسلمين قد استعملوا هذه الطريقة في عهد الدولة العباسية الأولى وتداولها بعض مؤسساتها التعليمية، فقد كانت المناظرة «غائبة في الكتاتيب وذلك لمحدودية بين المتعلمين ومنهجهم الذي كان سائدا، بينما كانت حاضرة في المساجد –إذ كانت تقام فيه مناظرات لغوية ومناظرات دينية– وقصور الخلفاء إذ كان هؤلاء الخلفاء والوزراء يستدعون كبار العلماء والأدباء والشعراء إلى قصورهم لعقد مجالس للمناظرة ولذلك شهدت هذه المجالس مناظرات كثيرة خاصة في فترة ازدهار حركة الترجمة وانتشار العلوم»[3] وذكر" محمد أسعد طلس" في كتابه "التربية والتعليم في الإسلام" عن دور المناظرة في القصور قائلا :«وأما حلقات مجالس التعليم الخاصة في القصور والدور، فقد ورد عنها الكثير في كتب الفقه والأدب والتاريخ، ونقلت إلينا نصوص عديدة تدل على أنه كان للقوم مجالس للتعليم يعقدونها في قصور المدينة ودمشق والعواصم الإسلامية الأخر، كما أن دور بعض العظماء والوجوه كان يعقد فيها مجالس للتعليم والمناظرة والإفادة »[4]،وكذلك وجدت في منازل العلماء وحوانيت الوراقين، وبالتالي فإن طريقة المناظرة من أهم مميزات طرق التربية

[1] ينظر: محمد أسعد طلس: التربية والتعليم في الإسلام، ص 136.

[2] ينظر: مفتاح يونس الرباصي: مؤسسات التعليم في العصر العباسي الأول، ص 202– 203.

[3] ينظر: المرجع نفسه ،ص 203 –205.

[4] محمد أسعد طلس: التربية والتعليم في الإسلام، ص 55.

في تلك العصور «فالمسلمون وقفوا على أهميتها في شحذ الذهن وتقوية الحجة وانطلاق البيان والتفوق على الأقران وتعويد الثقة بالنفس»[1] ولهذا وضع العلماء شروطا للمناظرة منها:[2]

– أن يكون غرض المتناظرين البحث العلمي وبلوغ الحق لا الجدل الخالص وحب الانتصار على الخصم.

– أن يكون المتناظرين عالمين بارعين متسامحين غير محقودين ولا غيورين ولا مرائيين. وبالإضافة إلى شروط المناظرة نجد أيضا قيم المناظرة والمتمثلة فيما يلي:[3]

– وجوب التعاون في البحث عن الحق وإفادته إلى الغير بعد الظفر به.

– وجوب إرشاد المسترشد وتصويب المخطئ.

– وجوب تنبيه الغافل، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومن أبرز المناظرات الشهيرة قديما مناظرة " الإمام الشافعي "و" الإمام مالك "، ومناظرة " أبي الحسن الأشعري " و" أبي علي الجباني "[4].

فالمناظرة إذا كانت كباقي الطرق الأخرى تساهم بشكل مباشر في نقل الثقافات والتراث من بيئة إلى أخرى، خاصة أنها كانت تقام مشافهة وبطريقة مباشرة، أي لا تعتمد على وسائل تعليمة للشرح والتفسير وإنما هي تختلف عن تلك الطرائق التي يعتمد فيها على وسائل متعددة.

4– الطريقة الاستقرائية:

تختلف هذه الطريقة عن الطرق السابقة الذكر في كونها تعتمد على عرض الأسئلة ثم القيام بمناقشتها، وهذه الطريقة من «الطرائق التي تشدد على إثارة التفكير لدى المتعلم ومشاركته في العملية التعليمية، لأنها تقوم على التدرج المنطقي في الوصول إلى نتيجة أو مجموعة نتائج عن طريق الملاحظة واستنباط العلاقة المتشابهة والمختلفة بين أجزاء المادة التعليمية»[5]؛ أي هذه الطريقة تحتاج إلى التخمين والتفكير والحدس من قبل المتعلم الذي ينبغي عليه أن يشغل عقله وفكره في موضوع درسه حتى يستطيع استيعاب محتواه والوصول بذلك إلى نتائج

---

[1] عبد الله عبد الدايم: التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين، ص 187.

[2] المرجع نفسه، ص 188.

[3] ينظر: عبد الله بن خلفان بن عبد الله آل عايش الأسمري: أسلوب المناظرة وتطبيقاته في الفكر التربوي الإسلامي، ص 31.

[4] عبد الله عبد الدايم: التربية عبر التاريخ من القصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين، ص189.

[5] ينظر: ليلى سهل: واقع العملية التعليمية بين مطرقة القديم وسندان المعاصرة، ص75.

منطقية معقولة، فهذه الطريقة تركز أساسا على الانطلاق من الجزء وصولا إلى الكل :«هذه الطريقة تجعل المتعلم يبحث ويستقري طلبا للحقيقة، لكونها تنطلق من الجزئيات لتصل إلى القضايا الكلية، وهي الطريقة الأنسب للمرحلة الأساسية، وفيها يتم تعويد المتعلم على التفكير السليم والمنطقي بالفحص والمقارنة ثم استنباط القاعدة»[1]، ولكي يتمكن المعلم من استخلاص أحكام القاعدة العامة عليه القيام بثلاث خطوات هي:[2]

-إعداد الأمثلة وتدوينها على السبورة.

- مناقشة الطلاب في الأمثلة وموازنتها.

- صياغة القاعدة النهائية.

فهذه الخطوات بمثابة وسائل يستعين بها المعلم حتى يستطيع تبسيط الفكرة وتوضيحها للمتعلم، وعليه فطريقة الاستقراء تمتاز بمزايا وخصائص نذكر منها:[3]

- تثير لدى الطلبة قوة التفكير، وتأخذ بأيديهم تدريجيا للوصول إلى الحقيقة، وتعتبر بذلك طريقة حادة في التربية.

- تتخذ الأساليب والتراكيب أساسا لفهم القاعدة فهي بذلك تعد طريقة طبيعية لأنها تمزج القواعد بالأساليب.

- تحرك الدوافع النفسية للمتعلم، فتجعله ينتبه ويفكر ويعمل فتساعده على بقاء المعلومات في الذاكرة مدة أطول على خلاف الطرق الأخرى.

- تركز على عنصر التشويق وتثير التنافس بين الطلبة، وتعودهم دقة الترتيب والملاحظة وتثريهم بعادات خلقية مهمة كالصبر والمثابرة.

أما عيوبها فتتمثل في:[4]

- لا تصلح لتدريس المواد التي لا تحتوي على قواعد أو قوانين عامة مثل التاريخ والأدب.

- لا تصلح للطلاب الصغار لأنها طريقة منطقية تعتمد على التفكير.

- تحتاج إلى وقت طويل.

---

[1] ربيعة بابلحاج: ملامح تعليمية اللغة عند ابن خلدون من خلال مقدمته، ص 54.

[2] ميلود قيدوم، تداولية طرائق التدريس عيوبها وفوائدها.

[3] ليلى سهل: واقع العملية التعليمية بين مطرقة القديم وسندان المعاصرة، ص76.

[4] ميلود قيدوم: تداولية طرائق التدريس عيوبها وفوائدها.

ومنه فإن الطريقة الاستقرائية تقتصر في تطبيقها على المواد العلمية التي تقوم على التجارب والقواعد كالرياضيات أي الحساب والعلوم التجريبية والمنطق والفلسفة، لأن هذه المواد تحتاج إلى التوغل والتعمق في متن نصوصها للوصول إلى الحقائق المطلوبة.

5-طريقة الحفظ والتسميع:

لقد كان القرآن الكريم من أهم دعائم هذه الطريقة التي وصلت إلى درجة عالية من الاستعمال والتداول داخل مختلف المؤسسات التعليمية قديما، وبما أن القرآن كان دينا منيرا للبشرية، أجبر هؤلاء المعلمين لاتباع هذه الطريقة على خلاف غيرها من أجل تحفيظ المتعلمين القرآن وترسيخه في ذاكرتهم وقد ذكر " مفتاح يونس الرباصى" في كتابه "المؤسسات التعليمية في العصر العباسي الأول" بذلك قائلا: «لقد تميز العرب بقوة الذاكرة وسرعة الحفظ حيث تناقلوا أخبارهم في الجاهلية بشكل شفوي جيلا بعد جيل ، وبعد ظهور الإسلام وانتشار التدوين استمرت طريقة الحفظ حيث حفظ عدد من المسلمين القرآن الكريم، كما حفظوا الأحاديث النبوية ».[1]

وانطلاقا من هذا القول نجد بأن هذه الطريقة كانت موجودة عند العرب منذ العصر الجاهلي وبعد ظهور الإسلام انتشر أكثر في مؤسسات البيئة العربية ، كالكتاتيب والمساجد وهذا مانبّه إليه "مفتاح يونس الرباصى" أيضا بقوله:« لقد عرفت طريقة الحفظ في الكتاتيب وكانت ملازمة لطريقة التلقين، كما كانت موجودة أيضا داخل قصور الخلفاء ، لأن تحفيظ القرآن الكريم كان من أولويات المؤدبين»[2]، وبما أن تعلم القرآن كان من أهم أوليات التعليم قديما، كان أولياء هؤلاء المتعلمين يركزون على طريقة تعلمهم وإدراكهم، ولهذا أصبح الحفظ من أهم الشروط التي يركز عليها العلم عند المسلمين« أما طريقتهم في التعليم فكانت تعتمد إجمالا على التلقين والحفظ ولا سيما في تعليم القرآن، وكان الحفظ في الواقع من أهم شروط العلم عند المسلمين »[3]، فالإجراءات التي كانت تتبعها هذه الطريقة داخل الكُتّاب هي« أن يذهب الطفل مبكرا إلى الكُتّاب فيبدأ يومه بحفظ حزب من القرآن الكريم، وبعد ن يحفظه يبدأ بالنسخ والكتابة والتمرن على تجويد الحفظ إلى وقت الظهر حتى فترة العصر يقرأ ويكتب إلى حين الانصراف إلى أهله بعد العصر»[4] أما الوسائل التي يعتمدها المؤدب في تحفيظ المتعلم هي «أن يقرأ المعلم آية من القرآن ثم يرددها الطفل حتى يحفظها، فينتقل إلى أية أخرى سواها، أو يكتب الآيات

---

[1] مفتاح يونس الرباصى: مؤسسات التعليم في العصر العباسي الأول، ص 199.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص 200.

[3] عبد الله عبد الدايم: التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين، ص 185.

[4] ينظر: محمد أسعد طلس: التربية والتعليم في الإسلام، ص 67.

المطلوبة في لوح من الحجر أو اللحاف أو العظام أو الجلود ثم يحفظها، فإذا حفظها محاها في إجانة ماء يلقي به في مكان طاهر فتبتلعه الأرض»[1]بالإضافة إلى هذا نجد أيضا أن الصوت كان يعتبر وسيلة من وسائل طريقة الحفظ

«...ونهجوا نهج الرسول في طريقة التعليم التي تبدأ بالتلاوة والحفظ عن ظهر قلب وهو ما يطلق عليه علماء التربية بـ (التعليم للفظي) الذي يصاحبه الترديد وتقليد الصوت ومخارج الألفاظ وترتيل الآيات وتجويدها وهذا ما يعرف بالتقليد الصوتي»[2]، ولم تكن هذه الطريقة مقتصرة على تحفيظ القرآن الكريم فقط وإنما كانت أيضا طريقة لحفظ الحروف الأبجدية للغة العربية:«... يقدم الفقيه – المؤدب – للمتعلم لوحة ويسجل عليها حروف الهجاء العربية في جهة واحدة، أما الثانية فيسجل عليها سورة الفاتحة، بعدها يقوم المعلم بتلقين المتعلم هذه السورة جملة ليحفظها سماعا بدون تهجين وبدون فهم، فإذا ما حفظها في أسبوع مثلا يمحوها بماء ثم يدهنها بمادة الصلصال ويتركها في الشمس أو قرب النار لتنشف، ثم تسطر بقلم الرصاص ،ويكتب المعلم سورة الناس للحفظ بالتلقين والسماع وهكذا صعدا مع المصحف»[3]،واستنادا إلى هذا القول نلاحظ بأن هذه الطريقة تعتمد على وسائل عديدة كالصوت واللوح والقلم وغيرها، ولا تختلف هذه الطريقة عن غيرها من الطرائق من حيث المزايا والعيوب فمن مزاياها نجد :[4]

- بساطة هذه الطريقة على المعلم خاصة.

- كثرة عدد الطلاب في الصف الواحد.

- ضرورة إكمال المنهج المقرر في الوقت المناسب.

- دراية المعلم أكثر من غيره بالمادة التي يقوم بتدريسها بالطريقة الملائمة لها.

أما من جهة العيوب:[5]

---

[1]ينظر: المرجع نفسه، ص 67- 68.

[2] هدى عبد الرزاق هوبي الطائي: أصول التعليم في الإسلام العصرين الأول والثاني، ص 148.

[3] مختارية نزاري: التعليم بالكتاتيب القرآنية في الجزائر في منظور الدراسات النفسية والتربوية المعاصرة،

www.insniyat.revues.org،PM :21 :2017/03/06

[4]المرجع نفسه.

[5]ينظر: ميلود قيدوم: تناولية طرائق التدريس.

– إن كثرة المعلومات التي يستظهرها الطالب لا تؤدي إلى سلوك معين أو تغير في هذا السلوك فهو يحفظ الكثير من الحقائق دون معرفته بأثرها في سلوكه.

– لا تتيح التعاون بين الطلبة وغياب الأهداف والغايات المشتركة التي يفترض أن يسهم فيها كل طالب من أجل الجماعة.

– تقيد حرية الطفل ولا تراعي الفروق الفردية بين الطلبة.

ومن خلال ما سبق نستطيع القول بأن طريقة الحفظ من أهم العوامل التي ساعدت على انتشار القرآن الكريم في الملة الإسلامية وحفظه كما ساهمت أيضا على تطوير اللغة العربية من خلال عمل المؤدبين حول تعليم حروفها للمتعلمين ومنه فهي طريقة ناجحة في عملية التعليم والتعلم.

6– طريقة الإملاء والاستماع:

شهدت طريقة الإملاء والاستماع اهتماما كبيرا من قبل المؤدبين داخل المؤسسات التعليمية قديما خاصة في غياب الطباعة واعتماد العملية التعليمية على النسخ، فاشتدت الحاجة بذلك إلى عملية الإملاء وهي أن يملي المعلم على طلابه كل المذاكرات التي كانت تشتمل على آراء العلماء السابقين في بعض المسائل العلمية».[1] وقد نبه "مفتاح يونس الرباصى" إلى بعض الطرائق المعتمدة في عملية التعليم لكنه فضل في الأخير طريقة الإملاء والاستماع فقال:« وأفضل هذه الطرق أن يملي الشيخ ويكتب الطالب، وأسوأها أن يعرض الطالب على الشيخ كتابا فيجيزه بروايته دون أن يقرأ عليه منه شيئا»[2] ، وهذا يدل على أن هذه الطريقة هي أفضل ما كان يعتمد عليه في إلقاء محاضرته ، ولهذا كان يشترط على المتعلم الخروج باكرا من بيته والتوجه إلى مجلس العلم لاستماع ما يمليه العالم: «ينبغي لطالب العلم أن يبكر إلى مجلس الاستملاء لئلا يفوته شيء فيتعذر عليه تلا فيه ، وخصوصا إذا كان الشيخ ممن يكرهن إعادة الحديث»[3] بالإضافة إلى هذا اشترطوا عليه أن «يجلس بالقرب من الشيخ إذا كان هذا المجلس العلمي يحتوي على عدد كبير من الطلاب وذلك حتى لا تفوته الفائدة من المذاكرة »[4] وقد كانت هذه الطريقة من «أشهر الطرق في العصر العباسي الأول خاصة بانتشار الورق وتنوع العلوم كانت من أهم

---

[1] ينظر: عبد الرحمن النقيب: مؤسسات التعليم في عصور الازدهار الإسلامي، ص 14.

[2] محمد أسعد طلس: التربية والتعليم في الإسلام، ص 141.

[3] المرجع نفسه، ص 142.

[4] المرجع نفسه، ص 143.

مشجعات الطلبة على تدوين ما يلقيه المعلمون من دروس »[1] ، وهذا معناه أن ظهور الورق ساعد أكثر على شيوع هذه الطريقة في المؤسسات التعليمية إذ توفرت فيها بشكل كبير خاصة «المساجد القرآنية والكتاتيب إلى جانب قصور الخلفاء ومنازل العلماء في حوانيت الوارقين أيضا، أي وجدت في أغلب المطارح التعليمية»[2] والذي يؤكد وجود هذه الطريقة في الكتاتيب «أن الصبي عندما يدخل الكُتّاب كان عليه أولا أن يتعلم القراءة والكتابة حتى يستطيع البدء في حفظ القرآن فكان على المعلم أن يلجأ إلى طريقة الإملاء ليتعلم الصبي رسم الحروف»[3]. أما داخل المساجد فلم تكن قائمة على بعض العلوم الدينية فقط، وإنما شملت العلوم اللغوية أيضا، وفي الوقت الذي كان فيه المعلم يملي محاضرته كان المتعلمون يدونون ما كان يمليه هذا المؤدب، وذلك اعتمادا على وسائل عديدة منها «الرسم أي رسم الحروف، والورق، الأقلام، والمداد والألواح»[4] ومن العلماء الدين لجأوا إلى استخدام هذه الطريقة في التعليم داخل المؤسسات التعليمية نجد: «"شعبة بن الحجاج"، "أبي حنيفة"،" الشافعي" "مالك" "البخاري"»[5]وقد كان هؤلاء المؤدبون من أهم المؤدبين الذين كانوا على دراية وإتقان لفوائد هذه الطريقة والتي تعود بالنفع على المتعلمين.

نستخلص مما سبق أن طريقة الإملاء كانت كباقي الطرق الأخرى وأفضل في نشر العلم وتوسيعه في العالم العربي خاصة والعالمي بعامة، إذ كانت من أبرز الطرائق المعتمدة في أغلب مؤسسات التعليم قديما، وذلك لأهميتها في حفظ العلم وتوصيله إلى أكبر عدد ممكن من الطلاب.

7- الرحلة في طلب العلم:

عرفت العملية التعليمية قديما تطورات إيجابية من فترة إلى أخرى، ويعود هذا التطور بالطبع إلى نوعية العالم الذي كان يعرض تلك المعلومات القيمة ويترجمها في شكل رسائل علمية تفيد المتعلمين عبر مختلف الأجيال، وحتى يستطيع هذا المتعلم اكتساب الخبرة والمعرفة كان لابد أن يقوم ببعض الرحلات العلمية التي يستطيع من خلالها الوصول إلى العالم الأكثر شهرة، خاصة في البادية فقد كان الخلفاء والأمراء يبعثون بأبنائهم إلى البادية لتعلم اللغة العربية من أصل أهل البادية الذين لم تدخل عليهم العجمة واللحن على لغتهم فظلوا

---

[1] ينظر: مفتاح يونس الرباصي: مؤسسات التعليم في العصر العباسي الأول، ص 195.

[2] المرجع نفسه، ص195.

[3] المرجع نفسه: ص 196.

[4] المرجع نفسه، ص 198.

[5] ينظر: محمد أسعد طلس: التربية والتعليم في الإسلام، ص 141.

يسمونهم بالعرب الصحاح«...استطاع الطالب أن ينتقل من مكان إلى مكان، باحثا عن العالم المشهور الذي يتلمذ عليه، فيلازمه حتى يتخرج ويتقن الصنعة »[1]، ومنذ ذلك الحين اعتبرت الرحلة من أبرز الطرق التي أدت إلى اكتساب العلم والمعرفة ، فقد ساعدت على الاحتكاك بالبلدان المجاورة والاستفادة من ثقافاتهم وتقاليدهم، والتزود بعلومهم واكتشاف تجاربهم ومعارفهم العلمية المتطورة ، فالفكر التربوي الإسلامي كان دائما يتميز بعناية خاصة لهذه لطريقة من أجل توسيع رقعة البيئة الإسلامية، وجعل التواصل العلمي مستمرا ومتواصلا خاصة بين أهل البادية والحضر «عني المسلمون عناية كبيرة بالرحلة في سبيل العلم من دين وأدب، وخصوصا حين تفرق الأئمة من العلماء والقراء في الأقطار الإسلامية النائية بعد أن اتسعت رقعة ديار الإسلام...لما في الرحلة من فوائد الاطلاع على أحوال الدنيا ومعرفة أوضاع الشعوب الإسلامية وغيرها وتقاليدهم وتوسيع الثقافة العامة »[2]ومن خلال هذا القول يتبادر إلى أذهاننا بأن الرحلة لم تكن مقتصرة في طلب العلم فقط وإنما كانت فرصة للتعرف على الشعوب ومعرفة أحوالهم وظروف حياتهم وطبيعة عيشهم، وعلى الرغم من الاغتراب عن الأهل والأقارب كان هؤلاء المتعلمين يرتحلون خدمة للدين الحنيف والسنة النبوية واللغة العربية، لأن هذه العناصر الثلاثة كانت ركيزة العملية التعليمية قديما؛ فعند تعلم اللغة يستطيع من خلالها المتعلم حفظ القرآن وتدبر معانيه والسنة النبوية أيضا التي كانت محل اهتمام الأئمة والفقهاء برواية الأحاديث النبوية واستنباط معانيها وأحكامها، كذلك يمكن للمتعلم بعدها تعلم العلوم بمختلف أنواعها وأصنافها وبالتالي يمكن اعتبار اللغة العربية هي أم العلوم. ومن بين الأماكن التي كان الناس يتوجهون إليها في أوائل صدر الإسلام هي المدينة المنورة ومكة المكرمة، والحجاز، وقد ظل هذا الاتجاه حتى العصر الأموي: «وقد كانت الرحلة في طلب العلم واستملاء الحديث منتشرة في كافة أرجاء مملكة الإسلام، وكانت قبلة الناس في القرن الأول هي المدينة ومكة والحجاز بصورة عامة، وقد ظل هذا الاتجاه معمولا به في العصر الأموي على الرغم من انتقال العاصمة إلى دمشق»[3]، وعليه نجد أن هذه الطريقة –الرحلة في طلب العلم– تقوم على ثلاث طرق هي الاستماع والحفظ والتدوين، أي ينبغي على المتعلم أن يكون حسن الاستماع وسريع التدوين حتى يتمكن من كتابة كلام المحاضر وتدوينها بواسطة وسائل الكتابة« وينبغي أن يكون حسن الاستماع والكتابة، وإذا شرع فيها كتب بالجبر دون المداد، لأن السواد أصبغ الألوان وأبقاها، ويحضر أدوات الكتابة من ورق ومحبرة وأقلام ومقلمة ، وتكره الكتابة على ما ليس طاهرا نظيفا وتجوز على الجلود والخزف

[1] عبد الرحمن النقيب: مؤسسات التعليم في عصور الازدهار الإسلامي، لاص 15.

[2] ينظر: محمد أسعد طلس: التربية والتعليم في الإسلام، ص 139.

[3] محمد أسعد طلس: التربية والتعليم في الإسلام، ص 144.

والألواح ويحسن خطه ويتقن كتابته »[1]، واستنادا إلى هذا القول يتضح لنا أن طريقة الرحلة أيضا تتطلب طرقا ووسائل تعليمية كغيرها من الطرق الأخرى، لأن المتعلم عند وصوله إلى المكان المطلوب سيستعرف على الشخص أو العالم الذي يريد أن يتتلمذ على يده ولهذا يتطلب وجود مكان لأخذ تلك المعارف والعلوم، وهذا المكان سيكون بطبيعة الحال مكانا أو مؤسسة خاصة للتعليم، لذلك كانت تلك المجالس العلمية تعقد في المساجد وقد ذكر المؤرخون أن هذه المساجد لم تكن لتلبي حاجات الناس العلمية فقال "محمد أسعد طلس" في كتابه "التربية والتعليم في الإسلام ":« فإن الحلقات العلمية في مساجد ديارهم لم تكن لتشبع نهمهم العلمي، فقد كانت مصر بمساجدها وحلقاتها منذ القرن الأول من مراكز الثقافة الإسلامية الكبرى»[2]، وإلى جانب هذا نجد أن الرحلة في طلب العلم لم تكن مقتصرة على المتعلمين – الطلاب – بل كانت أيضا من نصيب الحكام والخلفاء فأصبحوا بذلك قدوة لأبنائهم وأبناء ملتهم فقيل :«ولم تكن الرحلة لطلب العلم مقتصرة على العاصمة من الطلاب بل حرص بعض الخلفاء على الاستفادة من مثل هذه الرحلات وأصبحوا قدوة لطلاب العلم حيث رحل الرشيد مع ولديه الأمين والمأمون لسماع الموطأ من الإمام مالك بن أنس في المدينة»[3]، ومن أهم علماء اللغة الذين كان الناس يقبلون إليهم:« الشافعي الذي انتشر مذهبه عند أهل المدينة، الإمام مالك قد نبغ في مدينة مهبط الوحي وهي الحجاز [4] بالإضافة إلى ابن حنبل وأبي حنيفة»[5]، ونظرا للشهرة الكبيرة التي كان يتمتع بها هؤلاء العلماء والفقهاء زاد نشاط الحركة العلمية خطوة إلى الأمام، وأيقظت بذلك عاملا لحماس والشجاعة والتحفز لطلب العلم أكثر لدى الطلاب، إذ كانوا يقصدونهم إلى مكان إقامتهم، رغبة في طلب العلم بتدوين أفكارهم ومعارفهم.

وانطلاقا مما سبق يمكن استخلاص فوائد هذه الطريقة في أنها:

- تساعد على جمع المادة المعرفية ذات الأصل الصحيح والموثوق به.
- تمكن المتعلم من التعرف على الأمكن والبلدان المجاورة والاستفادة من علومهم.
- تساهم في نشر العلم والمعرفة والثقافات والتقاليد من خلال احتكاك الشعوب مع بعضها البعض.

---

[1] محمد أسعد طلس: التربية والتعليم في الإسلام ، ص 143.

[2] المرجع نفسه، ص 144.

[3] مفتاح يونس الرباصي: مؤسسات التعليم في العصر العباسي الأول، ص 212.

[4] ينظر: محمد أسعد طلس: التربية والتعليم في الإسلام، ص 144.

[5] مفتاح يونس الرباصي: مؤسسات التعليم في العصر العباسي الأول، ص 212.

– تشجع المتعلم على حب المعرفة والاطلاع على العلوم وكسب الخبرة نظرا للصعوبات والمشقات التي يتعرض لها أثناء رحلاته التي يقوم بها.

أما سلبياتها فتكمن في:

– تأخذ وقتا طويلا في التنقل من مكان إلى آخر.

– تتطلب جهد كبيرا عند تدوين ما يمليه العالم من معارف وأفكار خاصة إذا كان عدد الطلاب كثيرا، فحينها ينبغي التقرب منه الاستماع والحفظ والتدوين في آن واحد.

– تتطلب للوصول إلى العالم الأكثر شهرة حتى يستطيع المتعلم الاستفادة من خبرته الكبيرة في مجال العلم.

وعلى الرغم من هذه السلبيات إلا أن هذه الطريقة كانت من أهم وأبرز الطرق التي ساعدت على نشر العلم والتعليم قديما، واحتكاك البلدان مع بعضها البعض وهذا ما أدى إلى شيوع العادات والتقاليد بينهم.

وفي الأخير يمكن استخلاص أن هذه الطرق تعتبر أهم الطرق التي كانت معتمدة في المؤسسات التعليمية القديمة والتي كانت تتميز بخصائص ومميزات عديدة منها الاعتماد على الوسائل البسيطة التي كانت منتشرة بكثرة قديما خاصة الكتابة على الألواح وتسطيرها لكتابة الآيات القرآنية عليها، إلى جانب الحروف الأبجدية لتعلم اللغة العربية هذا من جهة، أما من جهة أخرى نجد أن هذه الطرق قد ساهمت وبشكل كبير في ذيوع العلم والتعليم في جل أصقاع الحضارة العربية الإسلامية، ولم تقتصر طرق التعليم على هذه الأنواع فقط بل هناك أنواع أخرى كانت أقل عملية واهتماما قبل المعلمين نذكر منها : طريقة الاستظهار والتعلم الذاتي ، طريقة القراءة والعرض ، الطريقة القياسية ، التجربة ، طريقة المشروعات، وطريقة حل المشكلات ، هذا في جانب الطرق ، أما جانب الوسائل فنجد : السبورة ، الخرائط ، الكرة الأرضية ، الرسومات البيانية، الأقلام، والمداومة، وكل هذه الطرق والوسائل كان لها دورا فعالا في نجاح العملية التعليمية قديما واستمرارها حديثا.

2– أهمية طرق التعليم عند العرب القدامى:

تعتبر الطريقة التعليمية من أهم مستلزمات تنفيذ العملية التربوية التي تحتوي على عناصر متداخلة الوظيفة فيما بينها تؤثر وتتأثر بها، ونظرا للمكانة التي تحتلها هذه الطرق لدى علماء اللغة العربية قديما، ذهب جمهرة من علمائنا الأفذاذ للكتابة في هذا الموضوع ، محاولين بذلك ترسيخ هذه الطرق وجعلها خالدة على مر العصور، حتى يستطيع من خلالها المتعلم الحديث ومعرفة نوعية التعليم الذي كان سائدا قديما فيشعر بحالة وظروف المتعلمين

القدامى إذ كان العالم أو المربي القديم في أية بقعة من بقاع العالم العربي يحاضر ويدرس ويناقش ويناظر ، ولنجاح هذه الطرق كان ينبغي على المؤدب التركيز على نوعية الوسيلة التي يلجأ إليها من أجل إقحام المعلم في موضوع المحاضرة.

ومن خلال الدراسات السابقة حول طرق التدريس اتضح من ذلك أنه ينبغي على المؤدب اللجوء إلى الطرق البسيطة التي تمكن المتعلم من الفهم والاستيعاب وهذا ما أكد واتفق عليه أغلبية العلماء قديما خاصة مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين وذلك يعطي إيجابية خاصة بتلك الطريقة المعتمدة داخل الصف، وفي هذا الخصوص قال" ابن سينا ":«إذ اشتدت مفاصل الصبي، واستوى لسانه وتهيأ للتلقين، ووعى سمعه ، أخذ في تعلم القرآن وصور حروف الهجاء، ولقف معالم الدين»[1] وانطلاقا من هذا القول نجد أن تعلم القرآن وحروف الهجاء كانت من أولويات التعليم عند المسلمين قديما، فالمتعلم في تلك الحقبة كان يخضع قبل إدراجه في المؤسسات التعليمية إلى تدريبات خاصة في البيت ، وذلك من حيث النطق والاستيعاب والفهم والسمع؛ لأن هذه العناصر الثلاثة تساعده على أن يكون مهيئ لعملية التلقين وتلقي العلوم، وذات الأمر لجأ إليه " الغزالي " الذي ألح هو أيضا على ضرورة مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين ، واعتماد طرق مألوفة في عملية التدريس فقال : « اعتماد طريقة التلقين واستخدام طريقة المحاضرة، مع عدم إغفالها للمحادثة »[2]، فطريقة التلقين من أفضل الممارسات التراثية العربية داخل المؤسسات التعليمية إلى جانب طريقة المحاضرة والمحادثة ، وهذه الطرق تتطلب وجود فئة معينة من الصبيان أي وجود عدد كافي من المتعلمين حتى يستطيع العالم إلقاء محاضرته، وهذه المسألة أكد عليها "ابن سينا " فهو لا يحبذ التعليم الفردي بل يحبذ التعليم الجماعي الذي يكون فيه امتزاج بين الصبيان والصبيات، وأقر أن طريقة التدريس عنده تعتمد على التلقين، بالإضافة إلى المحادثة والحفظ مع التركيز على الفهم، لأنه أساس كل هذه الطرق فكلما كان فهم المتعلم وكثرة استيعابه دل ذلك على نجاح الطريقة التي اعتمدها المعلم في عرض المادة المعرفية، كما تدل أيضا على نجاح المعلم في اختيار هذه الطريقة، أما " الجاحظ " فقد كانت نظرته نظرة خاصة حول طريقة الحفظ والاستنباط إذ قال :«إن مذاكرة الرجال تلقيح لألبابها ، وكرهت الحكماء الرؤساء أصحاب الاستنباط والتفكير، جودة الحفظ لمكان الاتكال عليه وإغفال العقل من التمييز والحكم المحمود أنه متى أدم الاستنباط أضر ذلك بالحفظ ومتى أهمل النظر لم تسرع المعاني، متى أهمل الحفظ لم يعلق بقلبه»[3] وبالتالي فإن

---

[1] ابن سينا: السياسة، ص 84.

[2] أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ص 58.

[3] مثنى علوان الجشعمي: التربية والتعليم عند الجاحظ وابن رشد، ص 14.

طريقة الحفظ تختلف عن طريقة الاستنباط لذلك يجب أن لا يكثر المتعلم على طريقة ما ويهمل الأخرى ، ولهذا جعل " الجاحظ " مميزات خاصة بين الطريقتين وهي [1]:

- إن الأخذ بالنقل والحفظ دون الاستنتاج والتفكير يضر صاحبه.

- إن الاعتماد على العقل والاستنباط فقط يضر بالحفظ وطبيعته لأن طبيعة الحفظ غير طبيعة الاستنباط.

أما " ابن جماعة الكناني" فلم تختلف نظرته عن البقية حول هذه الطرق إذ ألح باستمرار على أهمية الطرق في التعليم لما لها من أثر في فهم المتعلم واستيعابه للدرس، وذلك من خلال سهولة الإلقاء في تعليمه وحسن التلطف في تفهيمه وتوصيل المعنى له من غير تكديس، أما " ثعلب " فقد أكد على ذات الأمر في مجالسه «حذفت العربية وحفظت كتب الفراء كلها حتى لم يشذ عني حرف منها ولي خمس وعشرون سنة وكنت أعني بالنحو أكثر من عنايتي بغيره فلما أتقنتها انكبت على الشعر والمعاني والغريب، ولزمت أبا عبد الله بن الأعرابي بضع عشرة سنة »[2]، ومنه فإن للطريقة دورا هاما في تحسين مستوى التحصيل العلمي لدى المتعلم خاصة ملازمة كبار علماء وأئمة اللغة، الذين يقدمون نصائح وتعليمات للمتعلمين حول المناهج التعليمية والركائز التي تؤدي إلى نجاحه في اكتساب الخبرة والمعرفة فقال " الجاحظ ": «كانوا يرون صبيانهم الأرجاز ويعلمونهم المناقلات ويأمرونهم برفع الصوت وتحقيق الإعراب ، لأن ذلك يفتق اللهاة ويفتح الحرم»[3]؛ أي تساعده أيضا على فتق اللسان بتحسين مستوى الأداء المعرفي والكلام ايضا، فيصبح المتعلم متمكنا من قدراته العقلية والفكرية إذ يمكن له أن يواجه أي شخص مهما كانت ملكته العقلية فقال" الغزالي"«أن تكون المناظرة في الخلوة أحب إليه وأهم من المحافل وبين أظهر الأكابر والسلاطين، فإن الخلوة أجمع للفهم وأحرى بصفاء الذهن والفكر ودرك الحق، وفي حضور الجمع ما يحرك دواعي الرياء ويوجب الحرص على نصرة كل واحد نفسه محقا كان أو مبطلا»[4]، وبالتالي فإن المناظرة أيضا مكانا خاصا لدى الخلفاء وأكابر السلاطين والأمراء، أما " إخوان الصفا" كانت رؤاهم في طرق التعليم رؤى ناجحة إذ اعتبروا أن طريقة التلقين هي طريقة ناجعة في عملية الاكتساب والتحصيل العلمي ويتبن

---

[1] مثنى علوان الجشعمي: التربية والتعليم عند الجاحظ وابن رشد ، ص 14.

[2] ثعلب: مجالس ثعلب، تح: عبد السلام هارون، در المعارف، مصر، (د ط) ،(دت)،ص 910.

[3] الجاحظ: البيان والتبين، ط7، ص 1.

[4] أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ص 55.

ذلك في قولهم:« النظر في العلوم والمداومة على البحث عنها والدرس لها والمذاكرة فيها، بقوى الحذق والرسوخ فيها»[1].

وهذا يعني أن جل هذه الطرق المعتمدة في عملية التدريس تؤدي إلى الذكاء والفطنة وقوة التفكير وثبات المعلومات ورسوخها في ذهن المتعلم الذي يستطيع بعدها أن يصبح عالما كبيرا من بين أكبر أئمة وعلماء اللغة العربية قديما.

ومما سبق نرى أن طريقة التدريس لها تأثير كبير على نوعية المعلومات التي يتحصل عليها المتعلم إذ يرتبط وجود هذه الطرق داخل الصف الدراسي بوجود المعلم الذي يكون قادرا على اختيار نوعية الطريقة التي تمكن المتعلم من التأقلم والتدرج على الفهم والاستيعاب بها، وبذلك يكون المؤدب قد حقق مبتغاه العلمي والمعرفي فهي تمكنه من توصيل معارفه وأفكاره وإفادة متعلمه بها، وهذا يكون عمل العملية التربوية مستمرا عبر الأجيال قائمة على الإفادة والاستفادة

3- مكانة طرق التعليم في المدونات الأربع:

لم تخل الكتب والمؤلفات التراثية في الحديث عن أهمية عملية التعليم قديما، وإذ كانت محل اهتمام الجميع سواء أكان ذلك عالما أو أفقيا أو شخصيا عاديا، وقد كان هذا الاهتمام نابعا من وجود القرآن واللغة اللذين كانا داعمين أساسيين العملية التعليمية وانتشارها في جل بقاع البيئة العربية وحتى تكون عملية عرض المادة المعرفية ناجحة توجب على المعلمين اللجوء إلى طرق كانت سندا ودعما لهم في تسهيل هذه العملية وجعل المتعلم عالما وعارفا ومدركا لتلك المادة، ونظرا لأهمية هذه الطرق داخل العملية التعليمية، جعل أبرز العلماء يتطرقون إليها في مؤلفاتهم منددين بفوائدها وايجابياتها من بينهم نذكر:

1-ابن سحنون:

لقد كان كتاب "آداب المعلمين" " لابن سحنون" بمثابة لوحة فنية شاهدة على نشاط الحركة العلمية والتعليمية في الحضارة العربية قديما " فابن سحنون" قد أعطى صورة مصغرة لحضارة عريقة بأكملها من خلال هذا الكتاب الذي خصصه للحديث عن العملية التعليمية وعناصرها التي كان لها دورا هاما وأساسيا في نجاح هذه

[1] مناع آمنة: أقطاب المثلث الديداكتيكي في التراث العربي على ضوء اللسانيات الحديثة تحديد المصطلح والتعريف بالمفهوم، ص 113.

العملية ولهذا بالغو في الاهتمام بها، ولم يكن المعلم والمتعلم والمادة المعرفية التي خص بها "بن سحنون" بالذكر ،بل كانت أيضا المؤسسات مع إشارة طفيفة إلى بعض الطرق التي أوصى المعلمين الاقتداء بها.

وتعد طريقة الإملاء من أبرز الطرق التي أشار إليها، والتي كانت نظرته إليها نظرة مختلفة عن بقية العلماء إذ يرى أنه من الأحسن أن يتعود المتعلم إلقاء محاضرة وكسب الخبرة وأن يضع نفسه مكان المعلم، إذ ينصح "ابن سحنون" المعلم أن يعطي للمتعلم فرصة الإملاء داخل مجلس التعليم فقال : « وليجعل الكَتْب من الضحى إلى وقت الانقلاب ولابأس أن يجعلهم يملي بعضهم على بعض لأن ذلك منفعة لهم وليتفقد إملائهم»[1]، ومن خلال هذا القول يتبين لنا أن " ابن سحنون " كان دائما يراعي مصلحة المتعلم في كل شيء خاصة في الجانب التعليمي الذي كان أهم ما يمكن أن يركز عليه العلم والمتعلم في آن واحد، لأن ذلك يعود بالنفع سواء على فهم المتعلم أو على استمرار العملية التعليمية، كما تحدث أيضا على طريقة التجويد والترتيل والتي توحي على تعلم أحكام القراءة والترتيل للقرآن الكريم حتى يستطيع بذلك كل متعلم تجويده وترتيله وقراءته قراءة صحيحة كما فرضها الله سبحانه وتعالى على الناس أجمعين إذ قال "ابن سحنون" في هذا الخصوص : «وينبغي له أن يعلمهم إعراب القرآن وذلك لازم له. والشكل، والهجاء، والخط الحسن، والقراءة الحسنة، والتوفيق، والترتيل، يلزمه ذلك »[2]وبالتالي فإن لهذه الطريقة إيجابيات تعود بالنفع على حفظ القرآن من التحريف والتصحيف، مع اتقان قراءة حروفه ومعرفة معانيه وإلى جانب هذين الطريقتين نجد طريقة العرض ،وقد كان يقصد "ابن سحنون" من خلال هذه الطريقة اختيار المتعلمين وتفقدهم بالتعليم عن طريق مساءلتهم وهم يجيبون على تلك المساءلة شفهيا مما يحفظون ويفقهون من العلم، إذ يفترض أن يخصص وقتا خاصا لعرض القرآن فقال : «وعليه أن يتفقدهم بالتعليم والعرض، ويجعل لعرض القرآن وقتا معلوما مثل يوم الخميس، وعشية الأربعاء ويأذن لهم في يوم الجمعة»[3]، وهذا ما يدل على أن تعليم القرآن كان المادة الأولية والأساسية منذ القدم، ورأى أيضا أن طريقة الحفظ هي أيضا طريقة مجدية للتعليم واتباعها من قبل المعلمين دليل على ذكاء هؤلاء المعلمين وحرصهم على مصلحة متعلميهم ومتابعتهم عن قرب إذ يجب أن تكون هذه الطريقة قائمة على مبدأ الانتقال من السهل إلى الأصعب وأن لا ينتقل المعلم من علم إلى آخر حتى يتمكن المتعلم من حفظ العلم أو المادة الأولى فقال : «ولا يجوز أن ينقلهم من سورة إلى سورة حتى

---

[1] ابن سحنون : آداب المعلمين، ص 106.

[2] المصدر نفسه، ص 102.

[3] المصدر نفسه، ص 104.

يحفظوها بإعرابها وكتابتها إلا أن يسهل له الآباء، فإن لم يكن له أباء وكان لهم أولياء أو وصي»[1]أي أن الاعتماد على سورة واحدة في اليوم يسهل على المتعلم حفظها وإدراكها من حيث المعنى والأحكام والكتابة والإعراب وهذا يشجع المتعلم على الحفظ أكثر والاستزادة من التعليم والتعلم، وإلى جانب هذه الطرق توجد أيضا طريقة التلقين هذه الأخيرة التي كان "ابن سحنون" يلجأ إليها دائما للاقتداء بها داخل المؤسسات التعليمية، خاصة أثناء تعليمهم لطريقة الصلاة وكيفية تعلمها فقال: «ويلزمه أن يعلمهم الوضوء والصلاة ؛ لأن ذلك دينهم، وعدد ركوعها وسجودها ، والقراءة فيها، والتكبير ، وكيف الجلوس، والإحرام، والسلام، وما يلزمهم في الصلاة والتشهد، والقنوت في الصبح فإنه من سنة الصلاة...كلهم على ذلك ومن تبعهم رضي الله عنهم أجمعين »[2]. ويعني هذا أن طريقة التلقين هي الأنسب في عملية تعليمهم للصلاة التي كانت فرضا على كل مسلم ومسلمة وقد فرض أيضا تلقينهم سنن الصلاة من عدد الركعات المكونة لصلاة ما، وكذلك طريقة صلاة العيدين والاستسقاء قائلا: «وينبغي له أن يعلمهم سنن الصلاة مثل ركعتي الفجر ، والوتر، وصلاة العيدين، والاستسقاء ، والخسوف حتى يعلمهم دينهم الذي تعيدهم الهبه، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم»[3] ولتعلم كل هذه الفرائض يجب أن يكون العالم على دراية تامة لكل هذه الأمور، حتى لا تكون عملية تلقينه فاشلة وأن يكون المتعلم آخذا المادة لا أساس لها من الصحة.

وبهذا يمكن القول أنّ " ابن سحنون " لم يفصل كثيرا في طرق التعليم التي كانت سائدة قديما، بل تطرق إليها في لمحات طفيفة في متن فصول كتابه «آداب المعلمين» والتي كانت كافية إلى حد ما لمعرفة نوعية الطرق التي ألح عليها " ابن سحنون " وأوصى المعلمين بها وتطبيقا داخل المؤسسات والتي تعود بالنفع له ولمتعلميه.

2) الماوردي:

إن العملية التعليمية تبنى على مجموعة من الطرق التي يعتمد عليها المعلم ويختارها ليساعد المتعلمين على تحقيق الأهداف التعليمية وتوصيل مادته إلى المتعلم، وإن لتعددها أهمية كبيرة وذلك حسب قدرات المتعلمين وهذا ما أكد عليه " الماوردي " في كتابه «أدب الدنيا والدين» حيث حث على العديد من الطرائق والغرض منها إيصال المادة المعرفية بسهولة وهي:

---

[1] ابن سحنون : آداب المعلمين، ص 106.

[2] المصدر نفسه، ص 110.

[3] المصدر نفسه، ص 112.

أ- المطارحة:

تقوم هذه الطريقة على الحوار والنقاش بين المعلم والمتعلم بعد أن يعرض المعلم الموضوع والذي يندرج ضمن المادة المعرفية المدرسة، وقد نبه " الماوردي " على هذه الطريقة واعتبر من أهم طرق التعليم لما لها من فائدة تعود على المتعلم خاصة في جذب انتباهه وإثارته نحو الموضوع؛ من خلال الأسئلة التي يطرحها على المعلم فيتفاعل معه حتى يتعرف على الحقائق وقول في هذا :«وأما الطارئ فنوعان: أحدهما شبهة تعترض المعنى فتمنع من تصوره وتدفع عن إدراك حقيقته فينبغي أن يزيل تلك الشبهة عن نفسه بالسؤال وبالنظر ليصل إلى تصور المعنى وإدراك حقيقته»[1]، فالغرض من السؤال هو إزالة الشبهات التي تعترض المعنى وتتصل به، والوصول إلى المعارف والحقائق العامة في كل علم. وتعتبر المطارحة وسيلة من وسائل الشرح حيث يعمل المعلم على الشرح والإيضاح وذلك بتبادل الآراء والأفكار مع المتعلم رغبة في نيل العلم.

من خلال المطارحة يستطيع المعلم أن يتعرف على كثير من الأمور التي تدور في أذهان المتعلمين وذلك من خلال إجابتهم على الأسئلة ، وعلى المتعلم من جهة أخرى أن لا يستحي من السؤال ويعرف الشيء المراد منه ليجيب المعلم عليه بالتحديد خاصة إذا كان الهدف هو نفي الشبهات ، وفي هذا يستدل "الماوردي" بحديث روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال فيه «العلم خزائن ومفتاحه السؤال فاسألوا رحمكم الله فإنما يؤجر في العلم ثلاثة القائل والمستمع والأخذ»[2]، فالمناقشة مع المعلم وطرح الأسئلة عليه يؤدي إلى استفادة المعلم والمتعلم والطلاب الآخرين.

ومما سبق يمكن القول أن المطارحة من أبرز الطرق التي ساهمت في معرفة الحقائق والمعارف في كل علم من العلوم وذلك بالاعتماد على مبدأ الشرح والإيضاح وهذا ما يساعد عل ترسيخ وتثبيت المعارف في ذهن المتعلم.

ب- المناظرة:

تعد المناظرة من أهم طرق التعليم التي ندد بها "الماوردي" وحث على تبنيها لأهميتها في العملية التربوية فهي أسلوب قائم على المجادلة والمناظرة وذلك باختلاف وجهات النظر المغايرة بين المعلم والمتعلم رغبة في تحقيق الحق والدفاع عنه والوصول إلى الصواب والحقيقة المدعومة بالدليل والحجج، وفي هذا يقول: «وليس المماري به هو

[1] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص 67.

[2] المصدر نفسه، ص 71.

المناظر فيه طالبا للصواب منه ولكنه القصد لدفع ما يرد عليه من فاسد أو صحيح وفيهم جاءت السنة عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أنه قال: لا يجادل إلا من منافق أو مرتاب*»[1]، فالغرض من المناظرة هو إزالة الإبهام والغموض وكل ما يرد عليه من صحيح أو فاسد حتى يصل إلى الحقيقة وقد علل "الماوردي" هذا الأمر بقوله :«وقد بين ذلك بعض العلماء فقال لصاحبه: لا يمنعك حذر المراء من حسب المناظرة فإن الماري هو الذي لا يريد أن يتعلم منه أحد ولا يرجو أن يتعلم من أحد»[2]، فالمناظرة تفيد المتعلم في احترام وجهات النظر المخالفة لرأيه من خلال الاستفادة من الطرف الآخر هذا ما يؤدي إلى الاستزادة وتحصيل العلم.

نبه "الماوردي" المعلم والمتعلم خلال مناظرتهما إلى خطورة الغرور؛ فغالبا ما كان الغرض من المناظرة هو الاشتهار بالعلم: «ومنها أن يجب الاشتهار بالعلم إما لتكسب أو لتجمّل فيقصد من العلم ما اشتهر من مسائل الجدل أو طريق النظر ويتعاطى علم ما اختلف فيه دون ما اتفق وعليه ليناظر على الخلاف»[3]، وعليه فالهدف من المناظرة هو التحري والبحث عن الصواب بالحجج والبراهين ،وليس لأغراض أخرى كالاشتهار من طلب العلم أو لتكسب أو تجمل خاصة في اختيار ما اشتهر من العلم والمناظرة عليه. والمناظرة تقوم على الجدل الذي يدور بين المعلم والمتعلم حيث تفيد طالب العلم خاصة في تدريبه على مواقف خلافية والتعبير عنها، وتعليمهم كيفية التعبير عن الفكرة التي يريد طرحها والدفاع عنها بأسلوب واضح، لأن الهدف هو البحث عن الصواب وليس المشاجرة، فغالبا ما تقع مشاجرات ومنازعات خلال المناظرة وفي هذا يقول "الماوردي" :«...كالجدل الذي تكون فيه المناظرة وتقع فيه المنازعة والمشاجرة »[4]،والواضح أن المنازعة لا تفيد المتعلم، فالعلم يكتسب باللين وذلك بالقدرة على اختيار الألفاظ بدقة والبحث عن الحجج من أجل الإقناع .

للمناظرة أهمية في اكتساب العلم حيث تعد من أهم طرق التعليم لما تتوفر من مناقشات مع الطرف الآخر، هذا ما يؤدي إلى تغير وجهات النظر الشخصية حول قضية ما، لكن الهدف يبقى واحدا وهو تحصيل العلم خاصة أنها تزود المتعلم بالمعارف والبحث عن الصواب، من خلال اطلاعه على الآراء المختلفة فهذا الخلاف يؤدي إلى حسن الارتجال واكتساب العلم.

*مرتاب : ذو ريبة، والريبة الشك.

[1] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص51.

[2] المصدر نفسه، ص 52.

[3] المصدر نفسه، ص 54.

[4] المصدر نفسه، ص 313.

ج- المشاورة:

إن المشاورة طريقة من طرق طلب العلم وقد أكد عليه العلماء في كتبهم وحثوا عليها لتحصيل العلم وفي ذلك نجد " الماوردي " حيث نبه إلى هذه الطريقة واعتبرها من أهم الوسائل المساعدة للاستفادة من آراء الآخرين، من خلال المشاركة معهم في الآراء، ما يؤدي إلى القدرة على اختيار الرأي المناسب، وفي هذا يقول :«اعلم أن من الحزم لكل ذي لب أن لا يبرم أمرا ولا يمضي عزما إلا بمشورة ذي الرأي الناصح ومطالعة ذي العقل الراجح فإن الله تعالى أمر بالمشورة نبيه –صلى الله عليه وسلم– مع ما تكفل به من إرشاده ووعد به من تأييده فقال تعالى: وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ»[1]، فعليه إذا استصعب الأمر على أحدها فلابد له من مشاورة الآخرين لأن الله سبحانه وتعالى قد أكد في كتابه العزيز أهمية المشاورة، حيث أمر رسوله –صلى الله عليه وسلم– بأن يشاور ويستعين بأصحابه في أيسر الأمور وأعظمها خاصة بمشاورة أصحاب العقول الراجحة والآراء الناصحة، وفي هذا يضع " الماوردي " شروطا في من يرتد إليه والأخذ برأيه حيث «لابد أن يكون أولا ذا عقل كامل مع تجربة سالفة فإنه بكثرة التجارب تصح الروية، وأن يكون ذا دين وتقى لأن ذلك عماد كل صلاح وباب كل نجاح إضافة إلى أن يكون ناصحا لأن النصح والمودة يصدقان الفكرة ويمحضان الرأي ، كذلك لابد أن يكون سليم الفكر من هم قاطع وغمّ شاغل فإن عارض فكرة شوائب الهموم لا يسلم له رأي، وأخيرا لابد أن لا يكون الغرض من المشاورة الهوى لأن الأغراض جاذبة والهوى صاد والرأي إذا عارضه الهوى وجاذبته الأغراض فسد فإذا استكملت هذه الخصال الخمس في رجل كان أهلا للمشاورة ومعدنا للرأي»[2]، فالغرض من المشاورة إذا هو الاستفادة ممن له تجارب سابقة وخبرات لأن لها فوائد متعددة وذلك بالأخذ بنصائحهم والابتعاد عن الهموم الشاغلة والهوى الضار. ضف إلى ذلك فإن الهدف من المشاورة حسب "الماوردي" هو الاستعانة والاستفادة من الآخرين حيث تنشط عقولهم وقدراتهم وليس الافتخار: «ولا ينبغي أن يتصور في نفسه أنه إن شاور في أمره ظهر للناس ضعف رأيه وفساد رويته حتى افتقر إلى رأي غيره...وليس يراد الرأي للمباهاة به وإنما للانتفاع بنتيجته والتحرر عن الخطأ عند زلله وكيف يكون عارا ما أدى إلى صواب وصدّ عن خطأ»[3]، فمشاورة الآخرين لا يعني ضعف آرائه بل الغرض منها الانتفاع، الابتعاد عن الأخطاء والرجوع إلى الصواب. وبالتالي فيها احترام للآخرين وبيان لقيمتهم، وهذا ما يبعث على الألفة وتحمل مسؤولية الرأي وفي هذا قال "عمر بن عبد العزيز": «إن المشورة

---

[1] أبو الحسن الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص 308.

[2] ينظر: المصدر نفسه، ص 309-311.

[3] المصدر نفسه، ص 312.

والمناظرة بابا رحمة ومفتاحا بركة ولا يضل معها رأي ولا يفقد معهما حزم»[1] وعليه للمشاورة عدة فوائد تربوية حيث أنها تجعل الجميع مضطرا دائما للتفكير، وبالتالي تبادل الآراء خاصة في الأمور العظيمة والجليلة التي تفيده في شتى الجوانب، وفي هذا يقول "الماوردي" «وينبغي أن تكثر من استشارة ذوي الألباب ولا سيما في الأمر الجليل فقلما يظل عن الجماعة رأي ويذهب عنهم صواب ...» [2]، فالمشاورة إذا تقوم على استشارة ذو الخبرة لأن ذلك يجعل المتعلم يستفيد منهم في كل المجالات.

تعد المشاورة من أهم الطرق المساعدة على تحصيل العلم والمعرفة وذلك بالاستفادة من الآخرين في آرائهم، ومواقفهم، والقدرة على اختيار الآراء المناسبة التي تخدمهم.

د- المذاكرة:

أبرز " الماوردي " في كتابه "أدب الدنيا والدين" أهمية المذاكرة ودورها المهم في طلب العلم خاصة في أنها تساعد على التذكر؛ وذلك بالتكرار على الدرس ومراجعته رغبة في ثبات المعلومات وعدم نسيانها، وفي هذا يقول: «قال صلى الله عليه وسلم: لقحوا عقولكم بالمذاكرة واستعينوا على أموركم بالمشاورة » [3] فالمذاكرة تساعد المتعلم في الفهم من خلال اكتساب العلوم والتكرار عليها، والابتعاد عن الكسل والخمول. فلابد إذا على طالب العلم أن يسهر الليالي، ويذاكر بدقة وفي هذا يستند " الماوردي " لتأكيد رأيه إلى أقوال بعض العلماء فيقول: «لا تخلو قلبك من المذاكرة فتعود عقيما ولا تعف طبعك من المناظرة فتصير سقيما»[4]، ومنه وجب على طالب العلم ألا يجعل قلبه خاليا من المذاكرة والمناظرة لاعتبارهما من ركائز العملية التعليمية خاصة في اكتساب المعلومات وترسيخها في الذهن.

تعتبر المذاكرة من طرق تحصيل العلم منذ القدم وفي هذا يستند الإمام "الماوردي" لقصص عديدة تعود للخلفاء حينما كانوا يحثون مربي أبنائهم على اتباع هذه الطريقة لأنها تحث على الجد والمواظبة ومن ذلك ما قاله "الرشيد" "للأصمعي":« ...فلا تزد إلا أن تستدعي ذلك منك وانظر ما هو ألطف في التأديب وأنصف في التعليم وأبلغ بأوجز لقطة غاية التقويم. وليخرج تعليمه مخرج المذاكرة والمحاضرة لا مخرج التعليم والإفادة لأن لتأخير

---

[1] أ بو الحسن الماوردي: أدب الدنيا و الدين، ص 309.

[2] المصدر نفسه، ص310.

[3] المصدر نفسه، ص 312.

[4] المصدر نفسه، ص 314.

التعلم خجلة تقصير يجل السلطان عندها»[1]، من خلال هذا القول نجد أن "الرشيد" كان يحث معلم ولده الأصمعي على الاستعانة بالطرق المفيدة والتي تبنى على اللطف والتأديب لا لأخذ العلم فقط لأنها تعود المتعلم على التمسك بالأخلاق الحميدة، والبحث أكثر في جانب العلم والمعرفة.

والمذاكرة إذا مصدر من مصادر العلم التي تجعل المتعلم دائم الاسترجاع للعلوم والمعارف داخل الصف الدراسي، كما تساعده أيضا على التطلع إلى الآفاق العليا في العملية التعليمية.

3- الزرنوجي:

إن لتنوع الطرائق التربوية داخل التدريس أهمية كبيرة خاصة في توصيل معلومات ومفاهيم للطلاب من خلال اختلاف الإجراءات والأنشطة التي يقوم بها المعلم حيث يحتاج في هذا الشأن إلى أن يكون قادرا على تقديم المادة والشرح والتوضيح والاستماع وإثارة الاهتمامات ولا يتحقق ذلك إلا بمجموعة من الطرق والتي أكد " الزرنوجي" عليها في كتابه "تعليم المتعلم طريق التعلم" وهي:

أ- المناظرة: طريقة من طرائق التربية، ووسيلة من وسائل التعلم وهي عبارة عن أسلوب حواري من فريقين حول موضوع معين لكل منها وجهة نظر تخالف الآخر رغبة في الوصول إلى الحقيقة والبحث في ظواهر المعرفة، من خلال المناقشة مع الغير وعليه فالمناظرة أسلوب قائم على الإقناع والبحث وتحري الصواب حتى أن " الزرنوجي" ندد بها وأكد على أهميتها في المنظومة التربوية حيث قال «مطارحة ساعة، خير من تكرار شهر »[2] ،فقضاء ساعة واحدة في المناظرة والمناقشة أجدى على المتعلم من مكث شهر كامل في الحفظ والتكرار، وهي تساعد في اكتساب المتعلم مهارات معرفية تدفعهم إلى زيادة التعلم، والقدرة على البحث وهي أفضل من الحفظ والتكرار التي تكسبه الكسل والملل.

إنّ طالب العلم يحتاج إلى المناظرة فهي تشجعه على تحمل المسؤولية في تعلمه، وخلق الدافعية عنده مما يؤدي إلى نموه العقلي والمعرفي من خلال الاستعداد للمناقشة مع الطلاب الآخرين والتشاور معهم وفي هذا يقول:

" الزرنوجي" فإن المناظرة والمذاكرة مشاورة"[3]، فالتشاور يؤدي إلى إثبات كل متعلم رأيه وموقفه وإبطال وجهة نظر الخصم، ومنه المناظرة أسلوب حواري تشاوري يتم فيها تبادل الآراء والأفكار والتحري عن الدقة والصواب بتقوية

---

[1] أ بو الحسن الماوردي: أدب الدنيا و الدين، ص68.

[2] برهان الإسلام الزرنوجي: تعليم المتعلم طريق التعلم، ص 52.

[3] الزرنوجي: تعليم المتعلم طريق التعلم، ص 51.

الحجج من الطرفين فيقول " الزرنوجي" في ذلك: «وفائدة المطارحة والمناظرة أقوى من فائدة مجرد التكرار لأن فيه تكرار وزيادة» [1] واستنادا إلى هذا فالمناظرة تعد من طرف التعليم التي تشتمل على التكرار، وتمرن المتعلم على سرعة التعبير، وتعوده للثقة بنفسه وقدرته على الارتجال.

يعد " الزرنوجي" المناظرة من أهم طرق المعرفة حيث كان يشجع ويوجب المتعلمين للتمرين عليها، حتى أنه جعلها نوعا من أنواع التسلية والترويج عن النفس لتجنب الملل عند المتعلم.

ب- المطارحة: هي طريقة تقوم على المناقشة المتبادلة بين طرفين حيث يقوم فيها المعلم بإلقاء الأمثلة على المتعلمين وهم يسألون أيضا بعد طرح الموضوع، وهدفها الوصول إلى الحقيقة وإزالة الأوهام والشكوك، وقد أشار "الزرنوجي" إلى هذه الطريقة من خلال حث المتعلم على تبنيها أثناء التعلم، لما لها دور فعال في اكتساب العلم حيث يعرض المعلم بواسطة الحوار المادة المعرفية المتعلمة بشكل مشوق، ومثير، يتحدى ذهن المتعلم، الذي يشاركه في العروض الفكرية من خلال تبادل الأفكار والآراء بطرح السؤال ومحاولة استخلاص النتائج يقول في هذا:« قيل لابن عباس –رضي الله عنهما – بم أدركت العلم ؟ قال بلسان سؤول وقلب عقول»[2]فطرح الأسئلة تشجع الطلاب على المشاركة ونقل الأفكار والتحاور دون خجل ، وتجعله مركز العملية التعليمية حيث يكون في موقف فاعل ومشارك في بناء الطرح المعرفي، ويكون المعلم مرشدا.

تساعد المطارحة والمناقشة على تبادل الآراء هذا ما يؤدي إلى زيادة التركيز الذهني عند المتعلمين وتحصيل العلم يقول "الزرنوجي": «وإنما تفقه أبو حنيفة–رحمه الله –بكثرة المطارحة والمذاكرة في دكّانه حين كان بزازا[*]»[3]،فكثرة المطارحة تؤدي إلى التفقّه ونيل العلم من خلال الاستفادة من الغير.

تعتبر المطارحة والمناقشة من الأساليب التي دعا لها "الزرنوجي" كونها تشجع المتعلمين على العمل والمناقشة لإحساسهم بالهدف المنشود من الدرس وتحمل المسؤولية من تعلمهم، فهذه الطريقة تعتمد على تبادل وجهات النظر بين المعلم والمتعلم وبشكل كبير جدا.

---

[1] الزرنوجي: تعليم المتعلم طريق التعلم، ، ص 52.

[2] المصدر نفسه، ص 55.

[*] البزاز: بائع الثياب والمنسوجات.

[3] المصدر نفسه، ص 55.

ج- المذاكرة: بين " الزرنوجي " في كتابه "تعليم المتعلم طريق التعلم " أهمية المذاكرة بالنسبة للمتعلم ودورها في ثبات المعلومة عنده، حيث احتلت مكانة مهمة في المجال التعليمي وذلك بمراجعة المحفوظ حتى لا ينساه ويستطيع تذكره متى شاء ، ويولي للحفظ، والفهم ،وللكتابة أهمية ويعتبرها مصادر لاكتساب المعرفة وذلك بكثرة التكرار والتأمل فيقول : « وينبغي أن يجتهد في الفهم عن الأستاذ بالتأمل وبالتفكر وكثرة التكرار، فإنه إذا قلّ السبق وكثر التكرار والتأمل يدرك ويفهم »[1]، فالتكرار على الدرس ومراجعته بكثرة والتأمل فيه وفهمه يؤدي إلى إدراك المفاهيم والغرض من الموضوع لذلك يشترط على طالب العلم الفهم قبل الحفظ لأن بالفهم يمكن معالجة كل ما استصعب فيقول :«قيل حفظ حرفين ، خير من سماع وقرين[*]،وفهم حرفين خير من حفظ سطرين»[2] لذلك لزم على المتعلم أن يحضر القلم والمحيرة ليحفظ ما كتبه بعد فهمه ينصح "الزرنوجي" المتعلم بمراقبة المتفهم، وتجنب المتعنت من المتعلمين، لأن مجاورته تؤدي إلى فسادة فيقول«...وإياك والمذاكرة مع متعنت غير مستقيم الطبع، فإن الطبيعة متسرية، والأخلاق متعدية، والمجاورة مؤثرة»[3]، وقد أشار من خلال هذه الرواية إلى أهمية المجاورة في طلب العلم، فعلى طالب العلم أن يجتنب رفقاء السوء حتى تعم البركة أعماله ويكسب رضا الرحمن فيؤدي ذلك إلى صفاء ذهنه وعدم شغلها ، وعليه فالمذاكرة تساعد المتعلم في تحصييل العلم ؛ فهو يستفيد ويفيد الغير فوجب عليه أن يكثر من المذاكرة ويتجنب الكسل الذي يخل بالعملية التربوية وفي هذا يقول "الزرنوجي" :«...فإن كان لابد لطالب العلم من الكسب لنفعة العيال وغيره فليكتسب وليذاكر ولا يكسل»[4]،فالمذاكرة لها دور فعال في تذكر ما نساه الطالب، فعليه إذا أن يتجنب الكسل والخمول ويذاكر قدر المستطاع حتى يكتسب العلم ويستفيد غيره منه.

شدد " الزرنوجي "على المتعلمين بكثرة المذاكرة لما تحتويه من مكانة مهمة في المنظومة التعليمية باعتبارها من أهم الطرق والسائل المساعدة في ثبات المعلومة وترسيخها، سواء من خلال مذاكرة الطالب مع نفسه، أو مع الأصدقاء.

---

[1] الزرنوجي: تعليم المتعلم طريق التعلم، ص 50.

[*] الوقر: هو الحمل الثقيل الذي يحمل على الرأس.

[2] المصدر نفسه، ص 50.

[3] المصدر نفسه، ص 52.

[4] المصدر نفسه، ص 55.

د- المشاورة:

يدعو" الزرنوجي" إلى التعلم الذي ينبغي على المشاورة والتشارك رغبة في الاستفادة من الطرف الآخر والتفاعل معه، ويستدل على ذلك بقول الإمام "علي"-كرم الله وجهه-:« ما هلك امرؤ عن مشاورة»[1]، لزم إذا على المتعلم أن يشاور خلال طلبه للعلم فذلك يشعره أنه مسؤول عن تعلمه وتعلم الآخرين بغية تحقيق أهداف مشتركة، تساعد المشاورة في زيادة ونمو قدرات التفكير عند المتعلمين ما يؤدي إلى زيادة التحصيل المعرفي واستخرج الصواب، والمتعلم في نظر " الزرنوجي"من يملك نظرة سليمة ويعمقها بالاستفسار، والمشاورة ، ويزيد عليها بالتأمل وتجنب الشغب والغضب ويقول في هذا :«والمشاورة إنما تكون لاستخراج الصواب وذلك إنما يحصل بالتأمل والتأني والإنصاف، ولا يحصل بالغضب والشغب»[2] فالمشاورة تكون باستعمال اللين من الكلام وتجنب التعصب بحيث لها دور في تنمية روح التعاون والعمل الجماعي بين المتعلمين ، وتساعد من جانب آخر في الاستفادة منه:«ولهذا قال أبو يوسف حين قيل بم أدركت العلم؟ قال ما استكنفت من الاستفادة من كل أحد وما بخلت من الإفادة »[3]، فلزم على طالب العلم أن يشاور في طلب العلم لأن ذلك يؤدي إلى الاستفادة من جميع الجوانب.

وبالتالي يمكن القول أنّ للمشاورة أهمية بالغة في حياة الفرد عامة والمتعلم خاصة، لأنها تساعده على اكتساب المعارف والتأكد من صحتها عند استشارة اهل العلم والمعرفة، كما تساعده أيضا على التمييز بين المواضيع الصائبة والخاطئة منها.

هـ- الرحلة:

اتخذ علماء المسلمين من الرحلات أسلوبا لزيادة علمهم فكان موضوع اكتسابه الشاغل الأهم عندهم، وهذا ما جعل "الزرنوجي" يحث في كتابه على الرحلة في طلب العلم لاكتساب المعارف والخبرات، فكان المتعلم يسافر من بلد إلى بلد ليجلس بين يدي أحد العلماء الكبار ليأخذ عنه بعض العلوم مشافهة ،وقد لايجدها عند غيره من العلماء فعلى الرغم من الظروف الصعبة التي يمر بها المتعلم استطاع أن ينتقل من مكان إلى مكان ، باحثا عن العالم المشهور الذي يتتلمذ عليه فيلازمه حتى يتخرج متحديا المشاق والمعيشة الصعبة، وسائل السفر، والفقر؛ من قلة الطعام والشراب رغبة في طلب المعرفة، فقد قضوا أوقاتا بل شهورا وأعواما بعيدين عن الأهل والزوجة والبلد

---

[1] برهان الإسلام الزرنوجي: تعليم المتعلم طريق التعلم، ص 20.

[2] المصدر نفسه، ص 52.

[3] المصدر نفسه، ص 54.

وفي هذا يقول " الزرنوجي":«ولا بد لطالب العلم من تقليل العلائق الدنيوية بقدر الوسع، فلهذا اختار الغربة ولابد من تحمل النصب والمشقة في سفر التعلم، كما قال موسى صلوات الله على نبينا عليه في سفر التعلم ولم ينقل عنه ذلك في غيره من الأسافر ﴿قَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَباً ﴾[الكهف- 62-]»[1]، وعليه "فالزرجوني" يستند إلى قصة "موسى"-عليه السلام- وعزيمته في اكتساب العلم، فقصته قصة شريفة يتجلى فيها شرف الرحلة في تلقين العلم، فعلى الرغم من سمو قدره ، ورفعة مكانته ومشقته في السفر إلا أنه جعل الرحلة شعاره في نيل العلم، خاصة أن تحمل النصب والمشقة والغربة يقوي إرادة المتعلم فيدرك بذلك لذة العلم.

يؤكد "الزرنوجي" أن الرحلات العلمية قد ساعدت على نشر العلم وذيوع المعرفة وتبادل الآراء والأفكار على الرغم من التعب الذي ينالونه، وذلك باعتبار أن طلب العلم من الأمور المهمة التي لا يستطيع المتعلم أن يتخلى عنها وفي هذا يقول :«ليعلم أن سفر العلم لا يخلو عن التعب ، لأن طلب العلب أمر عظيم وهو أفضل من الغزاة عند أكثر العلماء، والأجر على قدر التعب والنصب، فمن صبر على ذلك التعب وجد لذة العلم تفوّق»[2]ومنه فطلب العلم من الأمور العظيمة التي حثّ العلماء عليها بالرغم من المشقة والتعب خاصة، أن فضائله لا تعد لذلك فالصبر من أكثر الخصال الذي يجب أن يتميز بها طالب العلم حتى ينال الأجر.

تميز الفكر التربوي "لـلزرنوجي" بالحث على الرحلة في طلب العلم فهي من أهم الطرق المساعدة لاكتساب المعارف والمعلومات حيث خرجوا أئمة لطلبه، هذا ما يوضح عز العلم عندهم وذلك من خلال الاحتكاك بالروافد الثقافية الجديدة، ثم إن تحمل المشقة والتعب تقوي عزيمة المتعلم.

4- ابن خلدون

من الواضح أن طريقة التعليم لها أثر واضح في عملية إلقاء المعلومات وتلقيها خاصة على عقول الطلاب الذين يبذلون جهدا كبيرا حتى تصبح عقولهم على استعداد للتفكير العميق والتخمين الصحيح، ويتمكن المعلم بذلك على توصيل المعرفة وخلق الدوافع والرغبات لديه للبحث والتنقيب، وعلى هذا الأساس كان كل العلماء يجتهدون أيضا لإبراز الطريقة المناسبة للتعليم وذلك بمراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين، وحث المعلم على اختيار الطريقة المناسبة لعرض أي علم من العلوم أو فن من الفنون، ويتمكن المتعلم من استيعابها وفهمها، ومن بين هؤلاء العلماء نجد " ابن خلدون" هذا العالم العظيم الذي استطاع أن يبرز طريقة كل علم، كما تمكن أيضا من

[1] برهان الإسلام ا لزرنوجي: تعليم المتعلم طريق التعلم، ص 63.

[2] المصدر نفسه، ص 64.

معرفة الطرق التي كان يعتمدها أهل المشرق والمغرب في التعليم داخل المؤسسات التربوية، كما تمكن أيضا من توضيح أهم الطرق التي كانت تلجأ إليها بعض الفرق الكلامية، والمدارس النحوية القديمة.

أ- الطريقة الحوارية: (المناقشة):

تعد الطريقة الحوارية قديمة قدم العملية التعليمية نفسها، فقد كان من خلالها يسود النشاط والحركية داخل الصف التعليمي ويتمكن المتعلم بواسطته اكتساب كل المعارف والمعلومات والوصول إلى حقائق علمية محضة فالحوار الذي يقام بين المعلم والمتعلم ينتج من خلاله علاقة تواصلية بين هذين القطبين، كما تمكن المتعلم أيضا من تعلم المحاورة والنقاش مع معلمه وفي جانب هذا قال " ابن خلدون": «وأيسر طرق هذه الملكة فتق اللسان بالمحاورة والمناظرة في المسائل العلمية فهو الذي يقرب شأنها ويحمل مرامها»[1]، ومن خلال هذا القول يتبين لنا أن طريقة المحاورة تفتق اللسان وتيسر طريقة الحصول على الملكة اللغوية التي تساهم على أخذ كل العلوم وتعلمها انطلاقا من مبدأ الملكة صناعة كباقي الصنائع، وبالتالي فإن الحوار هو من أهم الآليات والوسائل الإجرائية اللغوية التي تمكن المتعلم من التفاعل والنشاط، وتحريك ذاكرته وتعويدها على النشاط والحيوية وتميز الخطأ من الصواب عند مساءلة العالم واستشارته فقال " ابن خلدون" :" مبرزا أدلة تمحيص الخطأ من الصواب :« وأما إن وقفت عند المناقشة والشبهة في الأدلة الصناعية وتمحيص صوابها من خطئها، وهذه أمور صناعية وضعية تستوي جهاتها المتعددة وتتشابه لأجل الوضع و الاطلاع فلا تتميز جهة الحق منها...وهذا شأن الأكثرين من النظار المتأخرين سيما من سبقت له حجمته في لسانه فربطت ذهنه»[2] ،ومنه نجد " ابن خلدون" كان دائما يركز على الجانب الإيجابي من الطريقة التعليمية والتي تعود بالفائدة على الطالب خاصة إذا كان هذا الأخير أعجمي اللسان، فلا يستطيع التمييز بين الأدلة الصناعية والصائبة من الخاطئة.

ب- طريقة التلقين:

لقد كانت طريقة التلقين من أبرز الطرق التي حبذها " ابن خلدون" وأصر على ضرورة التعليم بها داخل المؤسسات التعليمية، لكنه خصها على أمر واحد وهو اكتساب ملكة اللغة، وفي نفس الوقت كان يبعدها عن عملية تعلم القرآن وحفظه، ولم يكن رأي "ابن خلدون" في هذه المسألة ناشئا من العدم بل كانت لديه أدلة قاطعة تمكن من اختلاط العلوم وإدماجها بعضها البعض وتلقينها للمتعلم يسبب له عقم الفهم والاستيعاب لأنه لم يتمكن من قبول العلم والاستعداد له بعد فقال« ويحضرون للمتعلم في أول تعليمه المسائل المقفلة من العلم

---

[1] ابن خلدون: مقدمة، ص 518.

[2] المصدر نفسه، ص 686.

ويطالبونه بإحضار ذهنه في حلها ويحسبون ذلك مرانا على التعليم وصوابا فيه، ويكلفونه رعى ذلك وتحصيله ويخلطون عليه بما يلقون له من غايات الفنون في مبادئها وقبل أن يستعد لفهمها»[1]، وانطلاقا من هذا القول كان " ابن خلدون" يرفض الاعتماد على طريقتين في علم واحد، بل أوصى باللجوء الدائم إلى استعمال طريقة واحدة في تعليم العلوم، فإذا تلقاها المتعلم بالقبول كسب بذلك كنزا عظيما يوحي بقدرة المعلم على اختيار الطريقة المناسبة لتعليم صبيانه فقال:« واعلم أيها المتعلم أني أتحفك بفائدة في تعلمك فإن تلقيتها بالقبول وأمسكتها بيد الصناعة ظفرت بكنز عظيم وذخيرة شريفة، وأقدم لك مقدمة تعينك في فهمها وذلك أن الفكر الإنساني طبيعة مخصوصة فطرها الله كما فطر سائر مبتدعاته»[2]، وإلى جانب هذا ذكر " ابن خلدون" في متن التاسع والثلاثين والذي كان عنوانه " في تعليم الولدان واختلاف مذاهب الأمصار الإسلامية في طرقه " – طريقة تعليم العلوم من جهة والقرآن والحديث من جهة أخرى– وكان ذلك عند أهل إفريقية الذين كانوا يخلطون أثناء تلقين الولدان العلوم بالقرآن والحديث قال :« وما أهل إفريقية فيخلطون في تعليمهم للولدان القرآن بالحديث في الغالب ومدارسه قوانين العلوم وتلقين بعض مسائلها إلا أن عنايتهم بالقرآن واستنظار الولدان إياه ووقوفهم على اختلاف رواياته وقراءاته أكثر مما سواه»[3]، أي أن القرآن كان الأكثر انتشارا وأهمية في التعليم لدى المتعلمين الذين خصصوا بعنايته فاختلفوا بذلك في رواياته وقراءاته التي تعددت فأصبحت عشر قراءات، كما أن طريقة التلقين هي أن تقدم المعارف بطريقة مباشرة يتلقاها المتعلم وتترسخ في حضنه قال " ابن خلدون" في هذا الخصوص: «إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاما وأقوى رسوخا، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصوله الملكات ورسوخها»[4]، وهذا ما يثبت أن لكل عالم طريقته الخاصة به فإذا تعددت المشيخة تعددت الطرق والملكات وتثبت أكثر في ذهن الطالب.

ج– طريقة الحفظ والاسترجاع:

كان أغلب العلماء واللغويين القدامى يرشدون المعلمين إلى استعمال طريقة الحفظ أثناء الحصص التعليمية، وذلك لما لها من فائدة على التحصيل العلمي والمعرفي لدى المتعلم الذي يتمكن من جمع أكبر عدد ممكن من المعلومات وترسيخها في ذهنه مدة طويلة من الزمن، وهذا لا يتحقق إلا عن طريق الحفظ وإعادة الاسترجاع، لكن "ابن خلدون" يرى أن القدرة أو الملكة اللغوية لا تكمن في الحفظ الكثير دون الفهم والمناقشة

[1] ابن خلدون: مقدمة، ص 683.
[2] المصدر نفسه، ص 684.
[3] المصدر نفسه، ص 689.
[4] المصدر نفسه، ص 692.

وإنما يجب أن يفهم ما يحفظ حتى يتمكن مما هو فيه من علم فقال :«وربما عمدوا إلى الكتب الأمهات المطولة في الفنون للتفسير والبيان فاختصروا تقريبا للحفظ، كما فعله ابن الحاجب في الفقه، وابن مالك في العربية، والخونجي في المنطق وأمثالهم»[1]، والحفظ الذي يقوم على الاختصار يكون مخلا في اكتساب الملكة اللغوية لأن الألفاظ المختصرة تكون صعبة وعسرة الفهم وينقطع فهمها مع الوقت، ولا يستطيع بذلك المتعلم من تحصيل باقي العلوم كالشعر وكلام العرب، لأن الملكة إذا ما سبقتها ملكة أخرى لا يمكن تحصيلها فقال :«إذا فرضنا أنه أقبل على الممارسة لكلام العرب وأشعارهم بالمدارسة والحفظ يستفيد تحصيلها فقل أن يحصل له ما قدمناه، من أن الملكة إذا سبقتها ملكة أخرى في المحل فلا تحصل إلا ناقصة مخدوشة».[2]

ضف إلى ذلك فقد كان " ابن خلدون" يوصي المعلمين بحث المتعلم على حفظ الكلام العرب وأشعارهم وخطبهم والمداومة، لأن، ذلك يشجعه على معرفة أهل بيئته أكثر فيشعر كأنه واحد منهم فقال: «وكذلك تحصل هذه الملكة لمن بعد ذلك الجيل بحفظ كلامهم وأشعارهم وخطبهم والمداومة على ذلك، بحيث يحصل الملكة ويصير كواحد مما نشأ في جيلهم وتربى بين أجيالهم، والقوانين بمعزل عن هذا واستعير لهذه الملكة عندما ترسخ وتستقر اسم الذوق الذي اصطلح عليه أهل صناعة البيان»[3]. والشيء الذي كان " ابن خلدون" يندد به هو أن على العالم مراعاة طبيعة المتعلم العقلية ومستواه الفكري، وذلك بأن يطالبه باستحضار جميع العلوم في آن واحد ومعرفة طرقها وأساليبها فقال :«اعلم أنه مما أضر بالناس في تحصيل العلم والوقوف على غاياته كثرة التأليف واختلاف المصطلحات في التعليم وتعدد طرقها ، ثم مطالبة المتعلم والتلميذ باستحضار ذلك وحينئذ يسلم له منصب التحصيل ، فيحتاج المتعلم إلى حفظها كلها أو أكثرها ومراعاة طرقها، ولا يفي عمره بما كتب في صناعة واحدة إذا لجوء لها، فيقع القصور ولا بدون رتبة التحصيل»[4]، ومن خلال الاطلاع على كتاب " مقدمة ابن خلدون" نجده قد أبرز أن هذه الطريقة كانت تطبق على جميع العلوم ففي فصل «في صناعة الشعر ووجه وتعلمه» قال :«ثم بعد الامتلاء في الحفظ وشحذ القريحة للنسيج على المنوال يقبل على النظم وبالإكثار منه تستحكم ملكته وترسخ، وربما يقال إن من شرطه نسيان ذلك المحفوظ لتمحي رسومه الحرفية الظاهرة إذ هي صادرة عن استعمالها بعينيها»[5]، ويعني أن هذه الطريقة كانت مقصد جميع العلوم ولم تكن مقتصرة على علم واحد إذ ساعدت هذه

---

[1] ابن خلدون: مقدمة، ص 682.

[2] المصدر نفسه، ص 721.

[3] المصدر نفسه، ص 720.

[4] المصدر نفسه، ص 676- 677.

[5] المصدر نفسه، ص 733.

الطريقة على بقاء اللسان العربي وحفظه من الزوال والاندثار وذلك بعدما فقام المسلمون بحفظ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وهذا الحفظ أيضا أدى إلى حفظ وبقاء اللغة العربية، وذكر "ابن خلدون" قولا في هذا الجاني: «ولما تملك العجم من الديلم والسلجوقية بعدهم بالمشرق وزناتته والبربر بالمغرب، وصار لهم الملك والاستيلاء، على جميع الممالك الإسلامية فسد اللسان العربي بذلك وكاد يذهب لولا ما حفظه من عناية المسلمين بالكتاب والسنة واللذين بهما حفظ الدين، وسار ذلك مرجحا لبقاء اللغة العربية المصرية من الشعر والكلام إلا قليلا بالأمصار»[1]، وعلى غرار كل هذا خصص "ابن خلدون" فصلا يتحدث فيه عن كثرة الحفظ وجودة المحفوظ وقد عنونه ب«في أن حصول هذه الملكة بكثرة الحفظ وجودة المحفوظ» فقال :«قد قدمنا أنه لا بد من كثرة الحفظ لمن يروم تعلم اللسان العرب، و على قدر جودة المحفوظ وطبقته في جنسه وكثرته من قلته، تكون جودة الملكة الحاصلة عنه للحفظ»[2].

أي أن تكون طريقة الحفظ تقوم على الحفظ والفهم في وقت واحد، لا على الحفظ فقط وحتى تتسم هذه الطريقة بالجدية والإتقان ينبغي أن تكون الملكة الحاصلة راقية قال في هذا الجانب "ابن خلدون" :«ثم إجادة الملكة من بعدهما، فبارتقاء المحفوظ في طبقته من الكلام ترتقي الملكة الحاصلة لأن الطبع إنما ينسج على منوالها وتنمو قوى الملكة بتغذيتها»[3]، فالمحفوظ أيضا له دور هام في عملية تحصيل الملكة فكلما كان المحفوظ راقيا كانت هذه الملكة المحصلة أرقى، ولهذا تتطلب جميع العلوم الحفظ حتى تكون جميع الملكات المحصلة ذات فصاحة وبلاغة خاصة من حيث الجودة والرداءة في نفسها فقال :«وللنفس في كل واحد منها لون تتكيف به وعلى حسب ما نشأت الملكة عليه من جودة أو رداءة تكون تلك الملكة في نفسها، فملكة البلاغة العالية الطبقة في جنسها إنما تحصل بحفظ العالي في طبقته من الكلام»[4]، وانطلاقا من هذه الأدلة والبراهين التي قدمها "ابن خلدون" حول طريقة الحفظ نجده قد وفق فيها كثيرا خاصة من حيث ذكر أصناف العلوم التي تطبق عليها هذه الطريقة أو من حيث جودة المحفوظ وتأثيراته حول التحصيل البلاغي للملكة اللغوية التي تكون راقية بارتقاء الألفاظ المحفوظة.

---

[1] ابن خلدون: مقدمة ، ص 457.

[2] المصدر نفسه، ص 737.

[3] المصدر نفسه، ص 737.

[4] المصدر نفسه، ص 738.

د- طريقة المناظرة:

كما سبق وذكرناه أن طريقة المناظرة كانت سائدة في المؤسسات التعليمية منذ القدم؛ أي من العصر الجاهلي وقد كان معظم العلماء يلجؤون إليها لأنهم رأوا فيها منافع كثيرة تمكن المتعلم من استقطاب واكتشاف معلومات ومعارف لم يكن يدركها من قبل خاصة إذا كان هذا المتعلم دائم الحضور إلى المجالس العلمية التي كانت تقام بين أكبر الأئمة والشعراء، وهذا ما يساعده على فصاحة اللسان وفتقه من العجمة، وكما سبق وأن ذكرنا قول "ابن خلدون" : «وأيسر طرق هذه الملكة فتق اللسان بالمجاورة والمناظرة في المسائل العلمية».

فالمناظرة في المسائل العلمية تمكن المتعلم من تبادل معارفه مع مناظره واكتساب الخبرة أيضا فقال: «ويزداد على الناظر والمتعلم بذلك حجاب أخر بينه وبين مطلوبه، من تحصيل ملكات العلوم أعوض من الحجاب الأول»[1]، وفي موضع آخر تحدث "ابن خلدون" عن طريقة اكتساب اللغات وتنقلها من شخص إلى آخر فقال : «واللغات إنما هي ترجمان عما في الضمائر من تلك المعاني، يؤديها بعض إلى بعض بالمشافهة في المناظرة والتعليم، وممارسة البحث بالعلوم ولتحصيل ملكتها بطول المران على ذلك، والألفاظ واللغات وسائط وحجب بين الضمائر، وروابط وختام عن المعاني»[2]، وعند التمعن في هذا القول يتبين أن اللغة والتي هي الملكة ما هي إلا وسيلة يلجأ إليها المتعلم أو العالم أو أي شخص كان لترجمة ما بداخله من معاني وألفاظ يترجمها الناظر والمناظر إلى بعضهما البعض بواسطة طريقة وهي المشافهة أو المناظرة، وهذه الأخيرة كانت تشترط أن يكون الموضوع المناظر فيه مماثلا بعضه ببعض؛ فإذا كان شعرا من الطرف الأول يقابله شعر من الطرف الثاني وهكذا، وحتى يتضح هذا أكثر نذكر قول " لابن خلدون" والذي يبرز فيه هذه المسألة: «ثم نظرنا في طرق استدلال الصحابة والسلف بالكتاب والسنة فإذا هم يقيسون الأشباه بالأشباه مهما ويناظرون الأمثال بالأمثال بإجماع منهم، وتسليم بعضهم لبعض في ذلك فإن كثيرا من الواقعات بعده صلوات الله وسلامه عليه لم تندرج في النصوص الثابتة»[3] وقد ذكر العلامة أيضا أن المناظرات التي كانت تقام بين أكبر المذاهب التي ظهرت في العصور القديمة لا زال تاريخها ممتدا حتى العصور الحديثة ، فذكر مناظرات "أبو حنيفة" و"الشافعي" فقال :«وأما أبو حنيفة فقلده اليوم أهل العراق و مُسْلِمَة الهند والصين وما وراء النهر وبلاد العجم كلها لما كان مذهبه أخص بالعراق ودار السلام وكان تلميذه صحابة الخلفاء من بني العباس فكثرت تآليفهم ومناظراتهم مع الشافعية وحسنت مباحثهم في

---

[1] ابن خلدون: مقدمة، ص 697.

[2] المصدر نفسه، ص 697.

[3] المصدر نفسه، ص 542.

الخلافيات وجاءوا منها بعلم مستطرق وأنظار عربية وهي بين أيدي الناس»[1]. وكلما كان التعليم خاصا –بمذهب من المذاهب–، كانت مجالس التعليم والمناظرات أشد شحنة فقد كان كل مذهب يبحث عن العظمة والتفوق على المذهب الآخر لإبراز قدراته العلمية وأحكامه الأخلاقية قال في هذا الخصوص:«...وقاسموا الحنفية في الفتوى والتدريس في جميع الأمصار وعظمت مجالس المناظرات بينهم وشحنت كتب الخلافيات بأنواع استدلالاتهم ثم درس ذلك كله بدروس المشرق وأقطاره»[2]، وبالتالي فإن للمناظرة أهمية كبيرة عند "ابن خلدون" الذي تمكن من الاستدلال بالشواهد والحجج التي بينت أن المناظرة كانت معتمدة منذ العصور القديمة وأنها كانت تقام بين المتعلمين، كما كانت تقام بين أكبر الأئمة والعلماء.

هـ– طريقة الرحلة في طلب العلم:

لقد اقتضت الضرورة في القديم إلى الرحلة من أجل لقاء المشيخة والتعلم على أيديهم لأنهم كانوا يعتبرون التعليم والتعلم من أهم مقتضيات الحياة التي تتطلب جهدا وعناية كبيرة بالعلوم خاصة داخل الحضارة الإسلامية التي كان أعظم شعوبها يعملون على تطويرها من كل الجوانب العلمية والثقافية والعمرانية والاقتصادية، حتى تكون حضارة كباقي الحضارات الأخرى، ولأجل كل هذا كانت الرحلة من أعظم طرق طلب العلم والمعرفة، وكانت المراكز التي يجتمع فيها هؤلاء المتعلمين تؤدي وظيفة أساسية في عرض ما اجتمع واختزن من العلم إرساله للطلاب الذين يكتسبون في كل مرة ألفاظ ومصطلحات ومعانيها التي تخص بيئة معينة من الحضارة نفسها فقال "ابن خلدون" مبينا ذلك :« فلقاء أهل العلوم وتعدد المشايخ يفيده تمييز الاصطلاحات، بما يراه من اختلاف طرقهم فيها فيجرد العلم أنها وتَعَلُّمُ أنها أنحاء تعليم وطرق تُوَصِلُ وتنهض قواه إلى رسوخ والاستحكام في المكان وتصحح معارفه وتميزها عند تعددهم وتنوعهم وهذا لمن يسر الله عليه طرق العلم والهداية»[3]، فهذه الطريقة تقوي الملكة أيضا وترسخها وتكسبها قوة ورزانة في عملية عرضها فيما بعد، ويكون تعبير المتعلم سلسا مليئا بالروعة والعذوبة والفصاحة لأنه كان يتلقى هذه الملكة من طرف علماء كبار يملكون اللغة ذات الأصل الثابت الخام وعن طريق المباشرة ولم يستدل "ابن خلدون" بهذا القول فقط بل ذكر أيضا قولا عن الرحلة من أجل طلب العلم فقال :«وأما مالك –رحمه الله تعالى– فاختص بمذهبه أهل المغرب والأندلس وإن كان يوجد في غيرهم إلا أنهم لم يقلدوا غيره إلا أنه في القليل لما أن رحلتهم كانت غالبا إلى الحجاز، وهو منتهى سفرهم، والمدينة يومئذ دار العلم، ومنها خرج

---

(1) ابن خلدون: مقدمة ، ص 537.

(2) المصدر نفسه ، ص 537.

(3) المصدر نفسه، ص 692.

إلى العراق ولم يكن العراق في طريقهم فاقتصروا عن الأخذ عن علماء المدينة»[1]، وبالتالي فإن هذه الطريقة كانت مثل الطرق الأخرى، نافعة في عملية التعليم ولا يقتصر "ابن خلدون" في إبراز أهمية كل طريقة بل وضح مهام كل طريقة على حده مع الشواهد والبراهين.

ولم يتوقف "ابن خلدون" عند هذا الحد من الطرق، بل ذكر أيضا الاختلافات الناشئة بين المدارس النحوية: الكوفية، البصرية، البغدادية والأندلسية، حول طريقة التعليم لكنه لم يوضح أي طريقة يتبعها هؤلاء فقال :«واختلفت طرقهم في تعليم القرآن للولدان باختلافهم باعتبار ما ينشأ عن ذلك التعليم من الملكات، فأما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط وأخذهم أثناء المدارسة بالرسم ومسائله واختلاف حملة القرآن فيه، لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالسة تعليمهم لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب إلى أن يَحْذُقَ فيه أو ينقطع دونه»[2]، وفي موضع آخر قال عن خلافات المدارس النحوية وعن المتقدمين والمتأخرين بين العلماء حول طريقة التعليم :«ويمثل أيضا علم العربية من كتاب سبويه وجميع ما كتب عليه، وطرق البصريين والكوفيين والبغداديين والأندلسيين من بعدهم، وطرق المتقدمين والمتأخرين مثل ابن الحاجب وابن مالك، وجميع ما كتب في ذلك كيف يطالب به المتعلم ويقتضي عمره دونه»[3]، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن طرق التعليم كانت محل جدل ونقاش من طرف المعنيين بعملية التعليم والذين يستطيعون التمييز بين الطريقة المناسبة لعرض معارفهم وأفكارهم دون سواهم.

ومما سبق يمكن استخلاص أن لكل طريقة وظيفتها وقواعدها الخاصة بها، ولهذا استطاع كل عالم من علماء العرب القدامى ترسيخها وتجسيد صورتها عبر التاريخ، وذلك نظرا للإيجابيات التي كانت تتمتع بها بإفادة العالم والمتعلم وهذه الإفادة التي تحصل عليها هذين القطبين تكسب العملية التعليمة نجاحا واستمرارية عبر العصور والأزمنة الماضية والحاضرة والمستقبلية.

---

[1] ابن خلدون: مقدمة، ص 538.

[2] المصدر نفسه، ص688 .

[3] المصدر نفسه، ص 277.

***مقارنة بين طرق التعليم: ضمن المدونات الأربع:**

من خلال دراسة طرق التعليم ضمن هذه المدونات يتبين أنه توجد بعض الاختلافات بين أصحاب هذه المدونات، فهناك طرق اتفق البعض عليها في حين اختلفوا في بعض منها، وعلى الرغم من هذا الاختلاف فإن هدفهم كان واحدا وهو تحصيل العلم بشتى الطرق الممكنة.

اتفق كل من "الماوردي" و "الزرنوخي" و "ابن خلدون" على طريقة المطارحة، والمناظرة، باعتبار الأولى من أنجح طرق التعليم التي نددوا بها في مدوناتهم، وذلك لما لها من أثر فعال في تبادل الآراء والأفكار بين المعلم والمتعلم، من خلال الحوارات والمناقشات التي تدور بينهم داخل الفصل الدراسي، كما تساعد المتعلم على فصاحة لسانه انطلاقا من الأسئلة التي يوجهها إلى معلمه دون خجل واستحياء، وهذا ما يبعث على خلق المنافسات بين الطلاب من أجل تحصيل العلم واستفادة بعضهم لبعض، أما طريقة المناظرة فقد كانت تقوم على مبدأ الحجج والبراهين، فالمواضع المناظرة فيه بين متعلمين أو عالمين...الخ يشترط وجود حجج مقنعة وبراهين كافية لغرض الإقناع بموقف وآرائه، لأنه وفي آخر هذه المناظرة يكون طرفا متفوقا على الطرف الثاني، وعلى الرغم من الربح والخسارة إلا أن كلا الطرفين فائزين من حيث المعلومات والخبرات المكتسبة بينهما، كما تؤدي إلى احترام وجهات النظر الموجودة بين المناظرين. أما المذاكرة فكانت محل اهتمامهم إلى جانب "ابن سحنون"، فهي تساعد في ترسيخ الأفكار وتثبيتها في ذهن المتعلم، من خلال الحفظ والفهم حتى يتجنب نسيان هذا المحفوظ ويتذكره عند الحاجة كما اشترطوا أيضا أن يكون هذا المحفوظ بجودة عالية، وخلال مذاكرته حبّذ هؤلاء العلماء أن يصاحب المتعلم النشط، وأن يتجنب الكسول لأن ذلك يؤدي به إلى الخمول والكسل.

وفي مقابل ذلك نجد أن "الزرنوجي" قد اتفق مع "ابن خلدون" حول طريقة الرحلة التي كانت مسلكه الوحيد في طلب العلم، متحديا بذلك الظروف والصعوبات التي كان يواجهها هذا المتعلم، والذي كان يهدف إلى اكتساب المعارف والخبرات، ولهذا كان يهز الرحال إلى الأماكن البعيدة بحثا عن عالم ذو خبرة ومعرفة كبيرة بشتى العلوم ويساعده على تعلمها أيضا، فأنفقوا الأعمار والسنين بعيدين عن الأهل والأقارب بغية اكتساب العلم، أما "ابن سحنون" فقد اجتمع مع "ابن خلدون" حول طريقة التلقين "فابن سحنون" كان يرى أن هذه الطريقة تخص تعلم القرآن والعبادات كالصلاة مثلا، أما "ابن خلدون" فكان رأيه مخالفا لرأيه إذ اعتبر هذه الطريقة صالحة لاكتساب الملكة اللغوية وكان يبعدها على تعلم القرآن الذي خصه بطريقة الحفظ فقط، ومن جهة أخرى نجد كلا من " الماروردي" و "الزرنوجي" اتفقا على المشاورة كطريقة لتحصيل العلم، فكان أيهما قائما على مشاوره من هم أكبر منهم سنا، يكون ذا خبرة عامة وتجارب متنوعة، ومن خلال مشاورة المتعلم لابد أ ن يبتعد المعلم عن

الغضب والغرور الذي يحط مكانته، بل لابد أن يقدم كل ما لديه ويفيد متعلمه لأن العلم إفادة واستفادة، أما طريقة الإملاء فقد تفرد بها "ابن سحنون" الذي كان موقفه اتجاهها يتمثل في أن يكون المتعلم هو من يملي المحاضرة لا المعلم، وذلك حتى يكتسب خبرة التعليم والتعلم، ويتعود على مواجهة الطلاب وتلقينهم لعلوم والمعارف، ونفس الأمر نجده مع طريقة التجويد والترتيل والعرض فهذه الأخيرة كانت تشجع المتعلمين على طلب العلم وتثير في نفوسهم حب المنافسة، لأن العالم كان يقصد كل يوم طالبا بالمسائلة ويطالبه باستحضار ما لديه من معلومات ومعارف ذلك بالعرض مشافهة أمام زملائه، أما التجويد والترتيل فقد كانت خاصة بتعلم القرآن وحفظه وتطبيق أحكام تجويده وترتيله بكل جودة وإتقان، وهذه الطريقة لجأ إليها "ابن سحنون" على غرار بقية العلماء وذلك من أجل إعطاء اعتبار لأهمية ترتيل القرآن وتجويده عن طريق الأحكام.

المبحث الثالث: الأساليب التعليمية عند العرب القدامى

للتعليم أهمية كبيرة في حياة الإنسان، فهو يجعل الفرد في توافق مع مجتمعه وهذا ما سيحفزه لتنمية قدراته وطاقاته الهائلة، فالمعلم رابطة وثيقة في العملية التربوية حيث يعتبر مركز ومحور العملية التربوية، حيث أن جملة الأهداف تتحقق بالفرد وغرضها إسعاد المتعلم وإيصاله إلى حالة مثلى يرتقي إليها بتفاعله مع العمليات التربوية ومن هنا تتضح العلاقة الوثيقة بين المعلم والتعليم فبدون المعلم لا معنى لوجود التربية وبدون التربية يصبح وجود المعلم غير فعال، ولتحقيق التربية الصحيحة –المتمثلة خاصة في نقل الخبرات والحقائق والمعلومات– لابد له من أدوات تعينه في ذلك وهنا يأتي دور الأساليب التعليمية التي تساعد في تحقيق أغراضه وتجعله معلما ناجحا

1– تعريف الأساليب التعليمية:

أ) **لغة:** جاء في "لسان العرب": «يقال للسطر من النخيل: أسلوب. وكل طريق ممتد، فهو أسلوب قال: والأسلوب: الطريق، والوجه، والمذهب، يقال: أنتم في أسلوب سوء ويجمع أساليب والأسلوب: الطريق تأخذ فيه والأسلوب بالضم الفن، يقال أخذ فلان في أساليب من القول أي أفانين منه؛ وإنّ أنفه لفي أسلوب إذا كان متكبرا».[1]

ب) اصطلاحا: فقد جاء تعريفها بأنها: «التي يستعان بها لأحداث عملية التعليم وقد استعمل القرآن الكريم أنواعا من الوسائل التعليمية كالقصة والوصف لحالات معينة وإعطاء اللون أو الشكل لها، وخصوصا فيما يتعلق بالآخرة ومشاهدة يوم القيامة والجنة والنار»[2]، وعليه فالأساليب والوسائل التعليمية هي التي يستعين بها المعلم

[1] ابن المنظور: لسان العرب، ج7، ص 225، مادة (س.ل.ب).

[2] هدى عبد الرزاق هوبي الطائي: أصول التعليم في الإسلام للعصرين الأول والثاني، ص 138.

لإحداث عملية التعليم حسب مقتضيات الموقف التعليمي، وتحقيق الأهداف والنتائج التعليمية خاصة شرح الأفكار وتوصيلها للمتعلم.

إن الوسائل التعليمية مهما اختلفت مسمياتها وآراء العلماء فيها إلا أنها قديمة قدم التاريخ، وقد تطور استخدام الأساليب التعليمية من قبل الإنسان مع تطور الزمن والإمكانات المتوفرة لديه، خاصة أن الغرض منها هو تشويق المتعلمين لاكتساب مزيد من المعارف والاتجاهات.

لقد استعمل المعلمون قديما العديد من الأساليب التعليمية التي تعطي للعملية التربوية التعليمية طراوة ونعومة تجعلها سلسلة لدى المستمع، ومن هذه الأساليب الأمثال وأسلوب الشخصية بالقدوة، واستخدام أسلوب القصص والتشويق، الترغيب والترهيب:

1- القصة:

احتلت القصة مكانة عظيمة عند العرب القدامى عامة، وعند المعلمين والمؤدبين خاصة فأبدوا لها أهمية كبيرة لما لها من أثر وعبر تعود على المتعلم، لذلك فهي تعرف "لغة" على أنها من :«قص أثره قصا وقصيصا تتبّعه والخبر أعمله ﴿فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصاً﴾ [سورة الكهف-64-] ، أي رجعا من الطريق الذي سلكاه يقصان الأثر ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [سورة يوسف-3-] نبين لك أحسن البيان والقاص يأتي بالقصة».[1]

أما عند التربويين فإنها تعد: «طريقة تعليمية تقوم على العرض الحسي المعبر، الذي يتبعه المعلم لتعليمهم حقائق ومعلومات عن شخصية أو موقف أو ظاهرة أو حادثة معينة بقالب لفظي أو تمثيلي أو قد تستخدم لتجسيد قيم ومبادئ أو اتجاهات أو أخلاق مرغوبة»[2]، فأسلوب القصة لها أثر بارز في تقريب المعلومات إلى الأذهان بطريقة تمثيلية مشوقة وغير مباشرة يؤلفها وينشئها وللمتلقي الذي يستلمها.

يعد أسلوب القصص من أقدم الأساليب التي استخدمها المعلمون لنقل المعلومات والعبر إلى الأطفال كونها تكسبهم الكثير من المعلومات واعتبروها بذلك من أهم ركائز العملية التربوية ، لكن ظهورها في بداية الأمر – قبل الإسلام- كان مرتبطا بالأغراض السياسية «أن ظهور القصص ارتبط بالجهاد، فقد كانت القبائل العربية قبل الإسلام تصطحب في غزواتها شعراء وخطباء يشجعون المحاربين... وقاصا يذكر المجاهدين بواجبهم، وبالثواب

---

[1] الفيروز أبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب): القاموس المحيط، ج2، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د ط، د ت، ص 313، مادة(ق.ص).

[2] سهيلة محسن كاظم القتلاوي: المنهاج التعليمي والتدريس الفاعل، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، د ط، د ت، ص 387.

الذي ينتظرهم في الحياة الآخرة»[1]، فوظيفة القاص الرئيسية تذكير المحاربين بواجباتهم وبالثواب الذي سينالونه في الآخرة.

أما النبي –صلى الله عليه وسلم– فاعتباره المعلم الأول فقد كان يستعين بالقصة لإثارة انتباه طلابه ونشر المواعظ بينهم، فكل قصة من القصص النبوي تحمل موضوعا جديدا، ومذاهب وآراء مغايرة للقصص الأخرى ومن أمثلتها: «قصة الأقرع والأبرص والأعمى وقد أرسل الله ملكا إلى كل منهم وقف بطريقة فمسحه فعافاه الله وأعطاه مالا ثم أرسل الله الملك ذاته بطلب من كل صدقة، فرفض الأقرع والأبرص وأنكرا نعمة الله إذ ذكرهما بها الملك فأذهبها الله، ورضي الأعمى واعترف بنعمة الله، فقال الملك السائل خذ ما شئت، فأبقى الله عليه النعمة»[2] فهذه القصة تحث على الصدقة وشكر نعمة الله، وعليه فالقصة لها أثر كبير في نشر الأخلاق الحسنة وترسيخ الأفكار في الذهن لدى المتعلمين حيث تؤثر في نفوس الصغار والكبار على حد سواء، ومنه فالغرض من القصة كان التوجيه بالدرجة الأولى «... أن هذه القصص، الذي كان في صدر الإسلام وسنينه الأولى عنصرا من عناصر التثقيف والتوجيه والتعليم»[3]، ضف إلى ذلك فباعتبار المسجد من أهم المؤسسات التعليمية عند العرب قديما فقد كانت تقام فيه مجالس القصاصين وحلقات العلم رغبة في تعليم المتعلمين أمور الدين، والتذكير بالآخرة، ونشر الحكم والمواعظ الحسنة، ويرجع الفضل في انتشارها في المسجد إلى " تميم الداري" حيث «بدأ القصص كما تشير إلى ذلك جميع المصادر الإسلامية، في خلافة عمر بن الخطاب عند ما سأل تميم الداري الخليفة أن يسمح له بأن يقص في مسجد المدينة»[4]، فالهدف من هذه المجالس داخل مسجد الرسول –صلى الله عليه وسلم– هو التثقيف وتوجيه المتعلمين خاصة الصغار من خلال تقريب المعنى بصورة مشوقة حيث «رَوَوْأ أنه كان يحلق حوله حلقات يعظ فيها الناس في مسجد النبي كل يوم جمعة...وكان هدفهم في هذه المجالس نشر التعليم الديني وتثقيف العامة بتفسير بعض أي القرآن الكريم... وكانوا يمزجون ذلك كله بما تناقل إليهم من أخبار الماضي من عرب وغير عرب»[5]، فالهدف الأساسي من وسيلة وأسلوبا القصة تعليم أمور الدين؛ من وضوء وصلاة...الخ بأبسط وأحسن صورة ممكنة، وتفسير القرآن الكريم من خلال رواية الأخبار من عرب أو عجم وما تناقلوه بينهم.

---

[1] ملكة أبيض: التربية والثقافة العربية الإسلامية في الشام والجزيرة خلال القرون الثلاثة الأولى، ص 308.

[2] عبد الرحمن النحلاوي: أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دار الفكر، دمشق، ط2، 2004، ص 196.

[3] محمد أسعد طلس: التربية والتعليم في الإسلام، ص 54.

[4] ملكة أبيض: التربية والثقافة العربية الإسلامية في الشام والجزيرة خلال القرون الثلاثة الأولى، ص 307.

[5] محمد أسعد طلس: التربية والتعليم في الإسلام، ص 53.

أبدى الخلفاء الأمويون والعباسيون للقصة أهمية كبيرة وذلك لعدة أغراض: سياسية، دينية، أو للتسلية وأخذ العظة والعبرة، فكانت مجالسهم لا تخلو منها فعن" يزيد بن عبيدة" :أنه رأى أبا إدريس الخولاني في زمان عبد المالك بن مروان وأن حلق المسجد بدمشق يقرؤون القرآن يدرسون جميعا، وأبو إدريس جالس إلى بعض العمد فكلما مرت حلقة بآية سجدة بعثوا إليه يقرأ بها وأنصتوا له، وسجد بهم وسجدوا جميعا لسجوده...حتى إذا فرعوا من قراءتهم قام أبو إدريس يقص قال يزيد بن عبيدة: ثم قدم القصص بعد ذلك وأخروا القراءة، كما اهتم العلماء بالقصة واعتبروها أسلوبا من أساليب التربية والتعليم فـ " أبو إدريس" انتقل من القراءة إلى القصص حتى يشعل روح النشاط لدى المتعلمين ولا يخلوا ذلك بالطبع من الموعظة فقد كانت مصاحبته للقصص في ذلك العصر حتى أنه ارتبط بالوعظ فلقد كان أكثر القاصين وعاظا.[1]

تطور أسلوب القصة في عصر أمية وأخذ منحى آخر حيث أصبح المعلم القاص يحتل مكانة راقية لدى الخلفاء، فكانت وظيفته رسمية يعين أو يعزل من طرف الخليفة بحسب شهرته وسعة علمه «وكان لهؤلاء القصاصين كراسي يجلسون عليها، ويشرفون منها على طلاب الفقه والحديث وطلاب العلم والمعرفة، كما كانوا يحلقون حولهم حلقات صغيرة أو كبيرة تختلف بحسب شهرة القاص وبراعته في اجتذاب قلوب الناس إليه وسعة علمه»[2] وهكذا نستطيع القول أن أصحاب الكراسي هؤلاء كانوا هم الموجهين والمرشدين، فكانت مجالسهم لا تخلو من الجوانب التعليمية التي تحمل في طياتها مواعظ وحكم رغبة في توصيلها إلى نفوس المتعلمين: «أن التعليم كان يماشي القصص ولا نستطيع أن نميز بين النواحي التعليمية والنواحي القصصية في عمل القصاصين، فإنهم كانوا يمزجون بين معلوماتهم ومواعظهم مزجا يصعب معه التمييز»[3]، وعليه فالقصة كانت من أهم الأساليب التعليمية التي تحث المتعلم وتشوقه لاكتساب العديد من العلوم والأخلاق حيث كان القاص يمزج بين المعلومات والقصص في شكل تمثيلي مشوق.

باعتبار القصة من أهم الأساليب التعليمية لما لها دور في جذب انتباه الطلبة وتشويقهم للدرس فقد «قسم الكتّاب والنقاد القصص إلى نوعين؛ أحدهما: قصص العامة، والثاني: قصص الخاصة. أما قصص العامة الذين كان رواده من العوام والسوقة فقد كانت موضوعاته تافهة، أما قصص الخاصة فقد كان دروسا في الدين والتوحيد والعلم، وكان يقوم به نفر من كبار الأمة والمجتهدين الفضلاء»[4]، ومنه فالقصص الخاصة لها تأثير كبير في نفوس

---

[1] ينظر: سمية بنت نحمد فرج الوافي: التعليم في الشام، ص 118.

[2] محمد أسعد طلس: التربية والتعليم في الإسلام، ص 53.

[3] المرجع نفسه، ص 53.

[4] المرجع نفسه، ص 55.

المتعلمين لكون القاصي يراعي فيها التشويق وعدم الكذب خاصة أن موضوعاتها الأساسية هو الدين والتوحيد والعلم، على خلاف القصص العامة الذي كان يقوم بها العوام من الناس ومضامينها كانت تافهة.

تعد القصة من الأساليب التعليمية غير المباشرة التي تعتمد على الإيحاء، لذلك أعطى العلماء والمعلمون أهمية كبيرة لها واعتبروها أسلوبا من أساليب التربية والتعليم فاتخذوها لعدة أغراض لما تحتويه من حكم مواعظ، فكل قصة حتما تنتهي بعبرة هي بمثابة موعظة حيث تجعل الدرس شيّقا جّذابا ممّا يبعث على الانتباه وترسيخ الأفكار فعلى المعلّمين أن يكثروا من القصص النّافعة لطلاّبهم فهو خير عون لهم على تربية الأجيال.

2- الترغيب والترهيب:

اهتم المربون المسلمون -من علماء ومعلمين ومؤدبين-قديما في جميع عصور التربية بأمر ترغيب أو ترهيب التعلم رغبة في تشجيعه لاكتساب الأخلاق الحسنة، لذلك اعتبروها من أهم الوسائل التعليمية التي لا يستغني المعلم عنها في أي زمان ومكان لما تعود بالفائدة على المتعلم.

يعرف الترغيب لغة: «رغب يرغب رغبة إذا حرص على الشيء وطمع فيه، والرغبة: السؤال والطمع. وأرغبني في الشيء ورغبني بمعنى. ورغبة: أعطاه ما رغب والرغيبة من العطاء: الكثير، والجمع الرغائب»[1].

أما الترهيب فإنه من: « رهب خاف وأرهبه واسترهبه أخافه وترهبه توعده»[2].

أما اصطلاحا فإن الترغيب هو: «تأميل المرء أو إغراؤه بمنفعة عاجلة أو آجلة لقاء طاعة معينة »[3]، أما الترهيب «فيعد وعد وتهديد بعقوبة تترتب على اقتراف إثم أو ذنب مما نهى الله عنه أو على التهاون في أداء فريضة مما أمر الله به»[4] وعليه فالغرض من الترغيب والترهيب هو الإغراء مقابل طاعة أو التهديد بعقوبة ضد ذنب مقترف.

لقد انتشر أسلوب الترغيب والترهيب عند العرب القدامى بصفة كبيرة على أساس أن الهدف منه هو التأديب حيث كان مصاحبا للموعظة الحسنة وعليه فالثواب أو العقاب الذي يناله الطالب إنما هو تشجيع له على الاستمرار في التفوق والنبوغ. والواضح أن هذا الأسلوب قد انتشر في الكتاتيب وقصور الخلفاء« فقد وجدفي مؤسستين فقط من المؤسسات التعليمية هي الكتاتيب وقصور الخلفاء بحكم تناسب سن المتعلمين في هاتين المؤسستين مع طرف العقاب»[5]، وبالتالي فإن الترغيب والترهيب كان متصلا بأبناء الخلفاء وبطلاب الكتاتيب

---

[1] ابن المنظور: لسان العرب، ج6، ص 182، مادة (ر.غ.ب).

[2] الفيروز أبادي: القاموس المحيط، ج1، ص 76. مادة (ر.ه.ب).

[3] أمين أبو لاوي: أصول التربية الإسلامية، دار ابن الجوزي، الدمام، ط1، 1419هـ، ص 189.

[4] عبد الرحمن النحلاوي: أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، ص 287.

[5] مفتاح يونس الرباصى: المؤسسات التعليمية في العصر العباسي الأول، ص 170.

لأن هذا الأسلوب يعمل على ترسيخ السلوك المرغوب فيه، وإزالة السلوك غير المرغوب فيه، خاصة لدى الصغار وقد برز هذا الأسلوب بكثرة في العصر الأموي لكونه مرتبطا بالموعظة الحسنة، حيث:« كان الوعاظ في الشام يدعمون مواعظهم بالترغيب من الجنة وكل ما يقرب إليها من قول وعمل والترهيب من النار وعذابها وكل ما يقرب إليها من قول وعمل مستشهدين في ذلك بكثير من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة معتمدين على ما تحمله من قدرة عظيمة في إثارة الانفعالات وتربية العواطف الربانية»[1]، فالقرآن الكريم والحديث النبوي يعدان مصدرين لإثارة العواطف لدى المتعلمين من خلال ترغيبهم في الجنة وترهيبهم من النار، ومن أشهر الوعاظ في الشام خلال القرن الثاني للهجري "عطاف" حيث: «يروي عن هذا المعلم أنه كان يعلم صبيا فيقول له: والعاديات ضبحا، فيقول الصبي والعاديات دبحا، حتى إذا أعيا المعلم الأمر ضرب بأسفل اللوح نحو الصبي، فقال: يامعلم، ضبحتني ضبحتني. قال المعلم: فأين هذا الكلام من تلك الساعة»[2] وعليه عمد " عطاف" على تشجيع الصبي على حفظ القرآن وتعلمه عن طريق ترغيبه، وكتابتهم الآيات القرآنية في ألواحهم.

اعتمد المعلم على وسيلة الثواب والجزاء من خلال مدح المتعلم والثناء عليه وتكريمه إذا أحسن حتى يكتسب القيم الحميدة حيث « لم يغفل المسلمون أهمية المدح والثناء على الصبي في العملية التعليمية... حيث تنوعت المكافآت وقد تكون كلمة مدح: يوجهها المعلم للطبي وسط زملائه، وقد تكون جائزة نقدية وقد تكون تكريما علنيا في موكب يمر بين الناس»[3]، وبالتالي كانت من صوف التقدير مدح المتعلم وسط زملائه أو تكون مكافأة مالية نتيجة تفوقه فأما «التكريم العلني فيكون عادة إذا ختم الصبي القرآن ففي هذه الحالة يؤذن للصبي بعدم المجيء للكتاب وربما يحتفل أهل الصبي بهذه المناسبة»[4] ومنه إذا ختم المتعلم القرآن الكريم، فإنه يجتنب الحضور إلى الكتاب، ومن جهة أخرى يقوم أهله بالاحتفال بطريقتهم الخاصة تكريما له. إضافة إلى ذلك نجد من مظاهر التكريم الأدبي «أن يحمل الصبي على حصان أو بعير، وقد ارتدى أزهى ملابسه، ويحيط به إخوانه وأقرانه، ويسير ذلك الموكب في الشوارع الهامة في المدينة... وكثير ما يلقون على الصبي وموكبه البندق والجوز وأمثالها من الأشياء»[5] ويمكن أن نستنتج من هذه الرواية وجود موكب يحمل فيه الصبي المتفوق مع ارتداء أحسن الملابس

---

(1) سمية بنت محمد فرج الوافي: التعليم في الشام، ص 121.

(2) ملكة أبيض: التربية والثقافة العربية الإسلامية في الشام والجزيرة خلال القرون الثلاثة الأولى، ص 62.

(3) مفتاح يونس الرباصي: المؤسسات التعليمية في العصر العباسي الأول، ص 167.

(4) المرجع نفسه، ص 167- 177.

(5) عبد الله الدايم: التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين، ص 197.

ويطوف في شوارع المدينة وأحيائها وينثر عله الجوز والبندق...الخ، والغرض من هذا التكريم غالبا تشجيعه من جهة، ويمثل من جهة أخرى حافزا لبقية الصبيان لنيل هذه المكانة.

أما الخلفاء فإنهم في تأديبهم لأولادهم قد استعملوا الترغيب بكثرة وحثوا مؤدبي أولادهم بالإكثار منه إذا أحسنوا لأن ذلك يدفعهم للمزيد من الاجتهاد؛ سواء كان هذا المدح من الخليفة لولده أو مكافأة مادية حيث رأى الخليفة العباسي "المأمون"« بعض ولده وبيده دفتر فقال: ما هذا يا بني؟ قال : بعض ما يشحذ الفطنة ويؤنس في الوحدة فقال المأمون: الحمد لله الذي رزقني ولدا يرى بعين عقله أكثر مما يرى بعين جسمه»[1]، فهذا المدح الذي قدمه الخليفة لابنه يكون دافعا للاجتهاد وللارتقاء لما ينتظره من مهام، أما التشجيع المادي فقد أكد عليه الخلفاء لتحفيز أولادهم وهو ما يتجلى في «قصة تنافس ابني المأمون على من يقدم نعلي أستاذنا هما الفراء وبعد اتفاقهما على أن يقدم كل منهما نعلا منحهما أبوهما عشرين ألف دينار تشجيعا لهما على هذا السلوك الحسن المتمثل في احترام مؤدبهما»[2]، وعليه كانت المكافآت المالية التي يتحصل عليها المتعلم تزيد من ثقته بنفسه وتشجعه على الاستمرار والتفوق.

استعمل المعلم أسلوب الثواب والترغيب مع المتعلم مقابل أعمال حسنة قام بها حتى يثبت روح المنافسة بين الطلاب، فإنهم في المقابل استعملوا أيضا أساليب العقاب كالتوبيخ والضرب وحتى الحبس لكونها وسيلة لتجنب الأغلاط وعدم تكرارها، وهذا استنادا «لحديث الرسول –صلى الله عليه وسلم– الذي يبيح ضرب الصبيان على ترك الصلاة إذا وصل سنهم إلى عشر سنوات، ولكن تسبق مرحلة الضرب مرحلة تعليم الصبي بقوله: علموهم على سبع»، وتختلف العقوبة التي يتلقاها المعلم باختلاف الذنب المقترف وحجمه من حيث تكرار هذا الذنب «فالصبي الذي يخطئ لأول مرة يعاقب بالنصح والوعظ وبعض اللوم فإذا تكرر الخطأ يقوم المعلم بلومه بشدة، ثم يلجأ المعلم إلى الضرب وأخيرا يلجأ المعلم إلى مرحلة الحبس»[3]، ومنه عندما يستخدم المعلم العقاب كجزاء لفعل وقع فيه المتعلم فإن ذلك مدعاة لعدم تكراره، وغالبا ما كان الترهيب لذنب اقترفه الصبي؛ من ترك الصلاة أو الخطأ في قراءة وتلاوة القرآن أو كثرة اللعب، على خلاف الخلفاء الذين شددوا على مؤدبي أولادهم وسمحوا لهم باستعمال كل أساليب الترهيب والعقاب حتى يعودوا أولادهم بالابتعاد عن الأخطاء حيث ذكر« أن "محمد اليزيدي" مؤدب "المأمون" قد ضرب المأمون سبع درر لتأخره في الحضور في الموعد المحدد حتى أنه كان يدلك عينيه

---

[1] مفتاح يونس الرباصي: المؤسسات التعليمية في العصر العباسي الأول، ص 177.

[2] المرجع نفسه، ص 177.

[3] المرجع نفسه، ص 170.

من أثر البكاء»[1]، وبالتالي فالخلفاء قد استعملوا كافة الوسائل والأساليب حتى يسمح بمعاقبة أبنائهم بالضرب إذا لم يستطع المؤدب تقويمه بالوعظ، ويبدو هذا جليا في الوصايا التي قدموها لمؤدبي أولادهم ومنها وصية "الرشيد" لمؤدبي ولده"خلف الأحمر" حيث قال له :«قومه ما استطعت بالقرب والملاينة فإن أباها فعليك بالشدة والغلظة»[2] فالغرض إذن من الترهيب هو اعتباره كتهديد رادع ترتب عن القيام بسلوك أو فعل غير صائب.

إن الترغيب والترهيب من أهم الأساليب التعليمية المستخدمة في المنظومة التربوية حيث لا يستطيع المعلم أن يتخلى عنها باختلاف الظروف أو الأزمنة وذلك لاختلاف استجابة المتعلمين وردود أفعالها تبعا لاختلاف شخصياتهم، فمنهم من يستجاب بالموعظة الحسنة لذلك يتم إكرامه بالمكافآت المادية، أو يكون التكريم أحيانا معنويا حتى يشجعه، ومنهم من لا تجدي معهم كل هذه الوسائل جميعا، فلابد إذا بحل يضع المتعلم في الطريق الصائب والصحيح وذلك بتوبيخه وضربه حتى يتجنب ارتكاب الأخطاء، خاصة في ترك الصلاة أو الخطأ في تلاوة القرآن الكريم، أما الجزاء البدني كان معمولا به ولكن كحل أخير.

3- القدوة الحسنة:

إنّ لأسلوب القدوة أهمية كبرى في تربية المتعلم وتنشئته على أساس سليم، ذلك الأسلوب الذي يتربع على قمة الأساليب المؤثرة في العملية التربوية، وتأتي العناية بطالب العلم وصقل شخصيته، وبذل الجهد الصادق في تعليمه في مقدمة اهتمام علماء التربية على مر العصور.

تعرف القدوة لغة: «القدوْ: أصل البناء الذي يتشعب منه تصريف الاقتداء، يقال: قِدْوة وقدوة لما يقتدي به، والقدوة والقِدوة: الأسوة».[3]

أما اصطلاحا فيعرفها "البادي" بقوله: «بأنها نموذج بشري يترجم قيمة معينة في أحد مجالات الحياة المشتركة في المجتمع ترجمة واقعية من خلال تكامل القول والفعل معا بحيث يصبح هذا النموذج بارزا ولامعا بين قومه، يقبلون عليه ويهتدون به ويقلدونه فكرا وسلوكا»[4]، ومنه فالقدوة هي ذلك التأثير الخفي الذي يمثله المعلم سواء بالأفعال والأقوال والمواقف، مما يثير في نفس الآخرين الإعجاب والمحبة، وتتولد لديهم حوافز لأن يعملوا مثله ويقلدونه في سلوكاته وأفكاره.

---

[1] مفتاح يونس الرباصي: المؤسسات التعليمية في العصر العباسي الأول ، ص 174.

[2] المرجع نفسه، ص 174-175.

[3] ابن المنظور: لسان العرب، ص 54، مادة (ق.د.ا).

[4] عاطف سالم أبو نمر: مواصفات القدوة في ضوء التربية الإسلامية ومدى تمثلها لدى أعضاء هيئة التدريس، قسم أصول التربية، كلية التربية، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين،2007 - 2008، ص 21.

للقدوة دور هام في التربية والتعليم عند العرب القدامى، إذ يهدف هؤلاء إلى إنشاء جيل صاعد نما بالعلم النافع من خلال تربية صحيحة مؤثرة من جميع الجوانب لما تتركه من أثر خاصة في مرحلة الطفولة، فالطفل يقتدي بمن يراهم ويقلدهم في أعمالهم وسلوكهم، ولذلك عني المعلمون بالقدوة الحسنة ومحاولة ترسيخها في نفوس متعلميهم. فالطفل منذ ولادته يكتسب جميع السلوكات من خلال تقليده ومحاكاته للآخرين، وهذا ما يبين الدور الذي تلعبه القدوة في تحديد سلوك المتعلم، والقرآن الكريم يقرر عبر آياته أهمية سلوك القدوة حين يدعو إلى الاقتداء برسول الله –صلى الله عليه وسلم– وطاعته فيما يأمر وفيما ينهى قال تعالى:﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾[سورة الأحزاب – 21–] .

وعليه أكد العلماء أثناء تعليمهم على ضرورة الاقتداء بالرسول –صلى الله عليه وسلم– في جميع سلوكاته اقتداء مطلقا ويقول "ابن خرم" في هذا الخصوص: «فمن أراد خير الآخرة، وحكمة الدنيا، وعدل السيرة، والاحتواء على محاسن الأخلاق كلها، واستحقاق الفضائل بأسرها، فليتقيد بمحمد –صلى الله عليه وسلم– وليستعمل أخلاقه وسيرته ما أمكن»[1] ومنه إذا أراد المتعلم أن يكتسب الأخلاق فعليه أن يقتدي بالرسول ويتبع سيرته لأن في ذلك منفعة له خاصة وللمجتمع عامة، هذا وقد حفلت السنة النبوية بكثير من الأحاديث التي تقرر مبدأ القدوة، ومن جهة أخرى حث المربون والمعلمين قديما على وجوب اتسام المعلم بالأخلاق الحسنة لكونه يعد قدوة، خاصة أن المتعلم يقضي وقتا طويلا معهم: «وهكذا الحال في المعلم، فإن الطالب يقضي مع معلميه وأساتذته ساعات طويلة من النهار يسمع ويرى، ويراقب ويرصد، ليوازن بين المثال والواقع وبين النظر والتطبيق فإذا اكتسب جلباب العمل كانت القدوة المؤثرة التي تربى بسلوكها وأخلاقها مواقفها قبل أن تربي بكلماتها وعباراتها وألفاظها...»[2]، فالمسؤولية كبيرة على المعلمين داخل المؤسسات التعليمية إذ لابد أن يأهلوا تأهيلا خاصا؛ من ناحية سلوكاتهم وأخلاقهم وذلك بالاهتمام بتحقيق القدوة والأنموذج الواقعي للصلاح والاستقامة حتى ينشأ جيل متشبعا بالأخلاق الحسنة وحتى يحقق ذلك الغرض لا بد له من الصبر، ومن ذلك وصية الصحابي الجليل "عمير بن حبيب بن حباشة" لولده إذ يقول :«إذا أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف أو ينهى عن المنكر فليوطن نفسه قبل ذلك على الأذى وليوقن بالثواب، فإنه من يوقن بالثواب من الله تعالى لا يجد مسّا لأذى»[3]، فالوظيفة الرئيسية إذا المربي أن يصلح نفسه أولا ثم يأمر بالمعروف وينهى عن الأفعال الذميمة.

---

[1] خالد حامد الحازمي، أصول التربية الإسلامية، عالم الكتب للنشر والتوزيع، المدينة المنورة، السعودية، ط1، 2000، ص 377 387.

[2] خليل بن عبد الله عبد الرحمن الحدري: التربية الوقائية في الإسلام ومدى استفادة المدرسة الثانوية منها، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ص 220.

[3] عاطف سلام أبو نمر: مواصفات المعلم القدوة في ضوء التربية الإسلامية ومدى تمثلها لدى أعضاء هيئة التدريس، ص 54.

تعد القدوة من أهم الأساليب التربوية ومن أنجح الوسائل المؤثرة في إعداد المتعلمين خلقيا ونفسيا وعقليا وحتى عاطفيا، فالمتعلم بطبعه لديه حاجة إلى أن يشبه والده أو معلمه أو مؤدبه (الأشخاص الذين يقدرهم) لذلك «يجب أن يكون الأبوان في المنزل والمعلمون في المدرسة نماذج طيبة في السلوك حتى يساعدوا الناشئة عن تشرب العادات الإسلامية الطيبة منذ نعومة أظافرهم وينبغي أن يدرك المعلمون ذلك تماما وأن يبتعدوا حدود النظرة الضيقة التي تحدد ميدان تأثيرهم على تلاميذهم في مادة تخصصهم التي يدرسونها لهم»[1]، لزم إذا على المعلم أن يتسم بالخلق الحسن لكونه لا ينقل إلى متعلميه المادة المعرفية فقط، بل ينقل إليه آدابه وما يتحلى من فضائل دون شعور منه خاصة في صغره و ذلك عن طريق الاقتداء، وعليه لابد للمعلمين أن يكونوا مثلا لطلابهم علما وتقوى ويحاولوا نشر العادات الإسلامية من صب وصدق وحلم... الخ والابتعاد عن كل ما يضيقهم ويبعث إلى الملل في مادة تخصصهم خلال تدريسهم، وفي هذا الخصوص يقول النحلاوي: «فالتلميذ في المدرسة لابد له من قدوة يراها في كل علم من معلمه أو مدرسة من مدرسيه، ليقتنع حقا بما يتعلمه، وليرى فعلا أن ما يطلب عنه من السلوك المثالي أمر واقعي ممكن التطبيق... فلابد للأب والمعلم –كلاهما مربّ– من التحليل بأفضل الأخلاق يستلهمانها من القرآن، ومن سيرة الرسول –صل الله عليه وسلم– ويصران على تطبيقها والتحلي بها»[2]

ولتحقيق الأسوة الحسنة لابد على المعلم أن يطبق أقواله مع أفعاله، لأن التأثير بالأفعال والأحوال أشدوا أكثر تأثيرا من الكلام وحده، ذلك التأثير القوي والخفي الذي يمثله المعلم بأخلاقه وسلوكاته المستلهمة والمستنبطة من القرآن الكريم والسيرة النبوية، والقدوة الحسنة التي يتميز بها المعلم والمتجلية بالفضائل والاستقامة تعطي لطالب العلم قناعة بأن بلوغ هذا المستوى من الأمور الممكنة، وأنها في متناول قدراته.

لقد حاول خلفاء الدولة الإسلامية تربية أبنائهم على الأخلاق الحسنة، وذلك من خلال التوصيات التي قدموها لمعلمي ومؤدبي أولادهم خاصة تميز هذا المؤدب بالخلق الحسن باعتباره المثل الذي يحتذى به، ولشخصيته الأثر العظيم في نفوس الأبناء خاصة في المراحل الأولى من تأديبه، وبالتالي يتوقف ما يكتسبه المتعلم من عادات مرغوب فيها أو غير مرغوب فيها تبعا لنوع القدوة التي يكتسبها من مؤدبيه، وفي هذا القول قال:"عمر بن عتبة" لمؤدب ولده: «ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك فإن عيونهم معقورة بك، فالحسن عندهم ماتركت علمهم كتاب الله، وروّهم من الحديث أشرفه... »[3]، وعليه لابد للمعلم أن يصلح نفسه أولا قبل قيامه بعملية التعلم والتأديب، لأن أخلاقه تؤثر بشكل فاعل وكبر في تكوين اتجاهات الشخصية الفكرية وتحدي أنماط سلوكها

[1] محمد منير مرسي: التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، دار المعارف، د ب، د ط، 1987، ص 122.

[2] عاطف سالم أبو نمر: مواصفات المعلم القدوة في ضوء التربية الإسلامية ومدى تمثلها لدى أعضاء هيئة التدريس، ص 48.

[3] محمد منير مرسي: التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، ص 154.

في كل مرحلة من مراحل تطورها، «وفي هذا ينصح "ابن المقفع" من نصب نفسه للناس إماما في الدين أن يبدأ بتعليم نفسه وتقويمها في السيرة والرأي واللفظ فيكون تعليمه للناس بسيرته أبلغ من تعليمه بلسانه»[1]، ضف إلى ذلك فقد يشعر المتعلم من خلال تعلمه وتحصله للعلم إلى ضعف وعجز وملل، ولكنه إذا رأى قدوة من زملائه سعى إلى تقليدهم: «فالفصل يحتاج إلى الطالب القدوة، ذو الأخلاق الفاضلة، والأدب الرفيع، الجاد في الطلب لأن هناك الطالب المتهاون، المثبط للنجباء، الذي يمثل القدوة السيئة، فاحتاج بقية الطلاب للقدوة الصالحة»[2] ومن هنا كانت القدوة عاملا كبيرا في صلاح المتعلمين أو فساهم، فالمتعلم الذي يرى معلمه يكذب يصعب عليه تعلم الصدق وبالتالي كل ما يكتسبه المتعلم من عادات مرغوب فها أو غير مرغوب فيها، يتوقف على نوع القدرة التي يتعرض لها خلال وأثناء اندماجه مع زملائه في العملية التعليمة التربوية.

إن طالب العلم يرى المعلم مثالا ساميا وقوة حسنة وينظر إليه باهتمام كبير واحترام وفير، ويترك له مكانة عالية في نفسه، وهو دائم يحاكيه ويقتدي به، ويتأثر بسلوكه وشخصيته، فكلماته وسلوكاته تترك أثرها الفعال على نفسية المتعلم، فتظهر في حياته وتلازمه فينبغي أن كون المعلم قدوة حسنة ليقتدي به «فالقدوة عنصر فعال في نجاح العملية التربوية، لكون النفس تسكن إلى ما تدعى إليه حين ترى الداعي يتمثل ذلك»[3]، فنجاح العملية التربوية تركز على توفر القدوة الحسنة.

القدوة الحسنة من أكثر الأساليب وأقربها للنجاح، فهي ذات أهمية بالغة في التربية، فمن أهم واجبات المعلم ومسؤولياته تعليم وتأديب المتعلمين منذ الصغر على الصدق، والاستقامة، والأمانة، وغيرها، وإن غياب القدوة في حياة المتعلمين عامل رئيسي في انتشار الجهل.

4. ضرب الأمثال:

استعمل العرب قديما ضرب الأمثال كثيرا في تعليمهم إما بطريقة رسمية أو بطريقة غير رسمية، وكان هذا الأسلوب بارزا لدى المعلمين كونه يؤثر بشكل كبير في سلوكهم المتعلمين وعواطفهم، وفي غرس القيم النبيلة.

يعرف المثل لغة على أنه: «كلمة تسوية. يقال: هذا مِثله ومَثله بسكون التاء وفتحها كما يقال في شبهه وشبهه بمعنى. والمثل: ما يضرب به من الأمثال»[4].

وقد ذكر " الأزهري" في " تهذيب اللغة" في تعريفه للمثل بقوله «قال الليث: المثل: الشيء الذي يضرب

---

[1] محمد منير مرسي: التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية ، ص 154.

[2] خالد بن حامد الحازمي: أصول التربية الإسلامية، ص 382- 383.

[3] خليل بن عبد الله: التربية الوقائية في الإسلام، ص 226.

[4] الجوهري: تاج اللغة وصحاح العربية، ج6، ص 96، مادة (م.ث.ل).

مثلا فيجعل مثله»[1]، وعليه فالمثل أسلوب من أساليب الكلام يؤتى لعرض الحقائق أو للربط بين أمرين أحدهما غائب عن الذهن والأخر محسوس يكون متخيل في الذهن.

أما اصطلاحا فإن ضرب الأمثال تعرف بأنها:« نظم من التنزيل يعرض نظما واحدا معروفا من الكائنات أو الحوادث الكونية أو التاريخية عرضا لافتا للأنظار، لشبه أو يقارب به سلوكا بشريا أو فكرة مجردة، أو أي معنى من المعاني، بقص التوضيح أو الإقناع أو البرهان أو التأثير، أو لمجرد الاقتداء بها أو التنفير منه والابتعاد عن الاخر أو للبرهان على صحة أحدهما، وبطلان الآخر»[2]، ومن خلال ما سبق فالغرض من الأمثال هو التوضيح أو الإقناع وكذا التأثير، عن طريق المعنى الذي يغيب عن الذهن من المعاني بصورة بلاغية تصل إلى أعماق النفس مثيرة للعواطف وكل ذلك في أساليب بلاغية وقوالب أدبية.

يعد أسلوب ضرب الأمثال من أساليب التربية الوقائية في الإسلام وقد استعمل كثيرا، حيث كان الرسول –صلى الله عليه وسلم– يستخدم ها الأسلوب في تربيته وتعليمه لأصحابه باعتباره المعلم القدوة، فقد روى الإمام "أحمد" عن "عمر بن العاص رض الله عنه" قال: «عقلت عن رسول الله صل الله عليه وسلم ألف مثل»[3] هذا ما يوضح أن خاتم الأنبياء كان يكثر من ضرب الأمثال لمتعلميه لاعتبارها من أهم الأساليب في ترغيب الأولاد في الأشياء التي يريد المعلم ترغيبهم فيها، وفيها يقول "الزمخشيري" :«ولضرب العرب الأمثال، واستحضار العلماء المثل شأن ليس بالخفي في إبراز غيبيات المعاني، ورفع الأستار عن الحقائق، حتى تريك المتخيل في صورة المتيقن...وقمع لسور الجامح الأبي، وقد أكثر الله في كتابه المبين، وفي سائر كتبه من الأمثال»[4]، ومنه فضرب الأمثال عند العرب من أشهر الأساليب عندهم، وقد استخدم في مجال التعلم كثيرة للتعبير عن المعاني، ضف إلى ذلك فغالبا ما كان الرسول –صلى الله عليه وسلم– يضرب لهم الأمثال بما هو معروف عندهم أو فيما يشاهدونه وخلالها كان يستخدم عدة طرائق وأساليب مختلفة كالرسوم التوضيحية واستخدام العروض العملية خاصة في تعليم الصحابة أمور الدين كالصلاة والحج والتيمم...إلخ، فنجده مثلا يضرب مثالا بالعبارة، كما روى ذلك "ابن ماجة" في سنته أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: «ما أنا و الدنيا إنما أنا والدنيا كراكب استظل تحت الشجرة

---

[1] الازهري (أبو منصور محمد بن أحمد): تهذيب اللغة، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ص 216، مادة (م.ث.ل).

[2] خليل بن عبد الله: التربية الوقائية في الإسلام، ص 234.

[3] المرجع نفسه، ص 236.

[4] الزمخشيري: الكشاف، ص 149.

ثم راح وتركها»[1]،فهذا تعبير واضح على أن المثل مهم حيث مثل لهم الرسول –صلى الله عليه وسلم– هوان الدنيا وأن ملذاتها تفنى مع رحيله ووفاته، كذلك كان يستعمل أسلوب الإشارة لجذب الانتباه وتقريب المعلومات وتوضيحها، فقد شبه عليه الصلاة والسلام الساعة والبعثة النبوية بالوسيلة الموضحة وقال :«بعثت أنا والساعة كهاتين، فأشار بأصبعيه»[2] إذ شبه بعثته ويوم القيامة بالأصبعين المتقاربين والغرض منها الأسلوب هو توثيق الإيمان في قلوب الناس وتذكيرهم بيوم القيامة، وتارة نجده يستخدم رسوما توضيحية على هيئة خطوط مائلة في توضح قضايا معينة كالخط على الأرض أحيانا، وبالحجرة أو العصا تارة أخرى حتى يوضح مثلا طريق الخير والشر ويبين الصراط المستقيم فقد روى « " أنس بن مالك" –رضي الله عنه– أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ ثلاث حصيات فوضع واحدة، ثم وضع الأخرى بين يديه، ورمى بالتالية فقال: هذا ابن آدم، وهذا أجله، وذاك أمله إلى رمى بها»[3] فالأمثال القرآنية والنبوية بليغة الأثر في النفوس؛ من الناحية البلاغية والعاطفية وحتى العقلية.

اعتمد المربون قديما على أسلوب ضرب الأمثال لما تحتويه من آراء تربوية كتناولها لموضوعات تخص جانب العقيدة بصورة تبعث على القيام به إن كان مرغبا فيه، أو تبعث على النفور إن كان مما نهى عنه، ويقول "هلال العسكري" عن الأمثال إذا اشتمل عليه الكلام: «فأنّ ذلك يزيد المنطق تفخيما، ويكسبه قبولا، ويجعل له قدرا في النفوس، وحلاوة في الصدور، ويدعو القلوب إلى وعيه، ويبعثها على حفظه ويأخذها لأوقات المذاكرة والاستظهار به أوان المجادلة بين ميادين المجادلة...».[4]

فضرب الأمثال تساعد المعلم في تقريب المعاني الغائبة عن الذهن وذلك بمثل قريب منه مع جودة العبارة وبلاغة الأسلوب، وقوة التأثير في الصدور والنفوس. ومنه فالأمثال لها غايات نفسية متعددة خاصة في حمل النفس على الخير عن طريق الثناء على بعض الأعمال التي يحبها الله عز وجل أو عن طريق المدح لمن قام بأعمال خير وتمثيل دلك بأحسن الأوصاف، فهي تساهم بشكل كبير في تربية المتعلمين على السلوك الحسن والابتعاد عن العمل المشين لذلك حث العلماء على توفرها خلال العملية التربوية؛ خاصة الإكثار من الأمثال القرآنية والنبوية «فيجب على المربي العمل على تحقيق هذا الجانب من تربية السلوك والإدارة الطبية، والنزوع إلى الخير، وذلك باستحضار الأمثال القرآنية في المواقف الحياتية والنشاطية المدرسية المناسبة، والتعقيب عليها بكر نتائجها السلوكية والاجتماعية الطيبة بأسلوب يقوي إرادة الخير عن الطلاب وحقق عمهم على توجيه سلوكهم بما تقتضيه أمثال

---

[1] خليل عبد الله: التربية الوقائية في الإسلام، ص 237.

[2] هدى عبد الرزاق الطوئي: أصول التعليم في الإسلام، ص 52.

[3] خليل عبد الله: التربية الوقائية في الإسلام، ص238.

[4] المرجع نفسه، ص 244.

القرآن وتعامله»[1]، وعليه فالأمثال القرآنية هي حجر الزاوية في التربية فبها يمكن تعديل سلوك المتعلمين واستقامة حياتهم ذلك باكتساب الأخلاق الطيبة، والتحرز عن الظلم وغيرها. ضف إلى ذلك أن الأمثال قد اتخذت منحى آخر فلم تكن فقط توه سلوك المتعلمين بل كانت تستعمل للاستهزاء من المعلمين، وهذا تبعا لبعض الصفات التي ألصقت بهم والتي جعلتهم مضرب مثل سواء في الحمق أو الجهل، ومن الأمثال التي أوردها قول بعض الحكماء: «ولا تستشيروا معلما ولا راعي غنم ولا كثير القعود مع النساء»[2]، فهذه الأمثال تجعل من المعلم أضحوكة بين تلاميذه وغالبا ما كان الدافع للقيام بمثل هذه الأمثال بسبب قلة ثقافتهم عم امتلاكهم الخبرة الكافية التي تعلهم يمثلون المعلم القدوة وفي ها يقول "مفتاح يونس الرباصي":«وربما كانت بعض المعلمين المحدودة، وعم اتفاقهم لتعليم القرآن من أهم أسباب هذه الحلمة الموجهة ضدهم»[3]، ومنه فالأمثال كانت تستعمل لإصدار الأحكام على المعلمين والسخرية منهم، وهذه الصفات غالب ما تحط من قيمته وقدره بين الناس.

يلعب أسلوب ضرب الأمثال دورا هاما وعظيما في التربية والتعليم، لذلك أولى المعلمون القدامى أهمية كبرى له باعتباره أسلوبا فعالا ومؤثرا في عملية تنمية وتعليم القيم الأخلاقية لدى المتعلمين، وذلك من خلال إثارة المشاعر والعواطف، وتحريك نوازع الخير في نفوسهم.

من خلال الاطلاع على الكتب المختلفة التي ألفت في مجال التربية والتعليم نستطيع التوصل إلى تنوع أساليب التعليم قديما، فلم يكن المعلم يعتمد على أسلوب واحد، بل كان ينتقل من أسلوب إلى آخر على حسب مقتضيات الموقف التعليمي، فتارة يستخدم أسلوب القصص لما تحمله من عبر وحكم للإقناع بفكرة معينة وذلك بأسلوب مشوق يثير الانتباه، وتارة يستخدم أسلوب الترغيب والترهيب لدعوة المتعلم إلى السلوك السوي والابتعاد عن السلوك المنحرف رغبة في تشجيعه على النبوغ وتجنب ارتكاب الأخطاء، وتارة يستخدم أسلوب القدوة التي تعد من أنجح الأساليب وذلك بترجمة أقواله إلى أفعال وترسخيها في نفوس المتعلمين، هذا بالإضافة إلى استخدام أسلوب ضرب الأمثال لتعليم القيم الأخلاقية بما يشاهده المتعلم بأم عينه، ويقع تحت حواسه ليكون وقع تأثير الموعظة في النفس أشد وفي الذهن أرسخ.

2- مكانة أساليب التعليم عند علماء العرب القدامى:

تعد أساليب التعليم أداة فعالة في نجاح عملية التدريس واستمرار نشاطها، وقد كان الهدف من اللجوء إلى مثل هذه الأداة داخل العملية التعليمية هو تنمية ذهن المتعلم وانفتاحه على جميع ميادين حياته، وجعله

---

[1] عبد الرحمن النحلاوي: أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، ص 204.

[2] محمد أسعد طلس: التربية والتعليم في الإسلام، ص 66.

[3] مفتاح يونس الرباصي: المؤسسات التعليمية في العصر العباسي الأول، ص 124.

متخلقا بمبادئ خلقية وأخرى تربوية، كما تمكنه من توسيع أفق تطلعاته وتصوراته الفكرية والعقلية اتجاه لعلم من العلوم، وحتى يستطيع المتعلم تحقيق كل هذه المستلزمات ينبغي على العالم أولا أن يكون قادرا على اختيار الأسلوب المناسب للتعليم وعارفا بنوعيته أيضا التي تناسب ذهن المتعلم، حتى يتمكن من الوصول إلى الهدف المنشود وهو الفهم والاستيعاب.

وقد كان المؤدبون يلجؤون إلى هذه الأساليب رغبة في غرس الإيمان والعقائد الإسلامية في نفوس الناشئين ولكي يكون على دراية تامة بأمور الدنيا والآخرة من عذاب وعقاب، وقد كان القرآن دائم التحفيز والتشجيع لعملية التعليم، فأوصى المعلمين بذلك مع ضرورة الاعتماد على أساليب تعود بالنفع والفائدة على المتعلمين، فكان أسلوب الترهيب والترغيب من أبرز الأساليب التي نادى بها القرآن، إذ وجدت بعض الآيات التي وردت فيما أشارت عن هذا الأسلوب الذي يوحي إلى ضرورة الإيمان بالله واليوم الآخر، وقد جاء في قوله تعالى:﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (55) وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنْ الْمُحْسِنِينَ﴾ سورة الأعراف -أية55 ـ56-.

فعند عرض مثل هذه الآيات على المتأدب يصبح بذلك هذا الأخير قادرا على صيانة نفسه ومتحفظا على أخلاقه ومبتعدا عن الفساد والانفعالات غير المجدية، ونفس الأمر لجأ إليه "الغزالي" الذي أصر على الاعتماد على أسلوب الترهيب والترغيب، والذي يقابل عنده أسلوب العقاب والثواب، إلا أن نظرته اختلفت فهو يرى «ألا يكون العقاب لكل أمر بل من الأفضل التغاضي عن بعض الأمور إذا خجل الطفل منها وتستر بإخفائها»[1] أي يفترض على العالم أن لا يضغط عل المتعلم بشكل دائم حتى لا تتأثر نفسيته ويصبح ينفر من العلم والتعلم، فينعكس ذلك سلبا على تحصيله العلمي والمعرفي، وحتى لا يقع العالم والمؤدب في دوامة نفور من العلم والتعليم أشار "الغزالي" إلى أسلوب يمكن أن يساعد المعلم ف استمرار عملية التعليم، كما يساعد المتعلم على الفهم والاستيعاب، ويتمثل هذا الأسلوب في أسلوب التدرج إذ يقوم على مبدأ الانتقال من الأسهل إلى الأصعب، ومن الكل إلى الجزء إد قال: «ينبغي اعتماد أسلوب التدرج في التعليم الصبي وأن يبدأ في تعليمه من الأمور السهلة إلى الصعبة كما يطالبه بأن لا يخوض في العلم دفعة واحدة بل يتدرج فيه مع مراعاة الترتيب ويبدأ بالأهم»[2]، ولم يتوقف "الغزالي" عن هذا الحد من النصح حول أسلوب التدريس بل أقحم أيضا أساليب عديدة ومتنوعة أدرجها

[1] أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين، ص 65.

[2] المرجع نفسه، ص 65.

في أربعة أساليب وهي:[1]

1. **أسلوب الأبوة الحامية:** أي يصبح المعلم بمثابة الأب البيولوجي أثناء معاملاته وتصرفاته اتجاه المتعلم، ويعمل على نجاح تأثيره في نفسية المتعلم.

2. **أسلوب الإثارة وحفز الدافعية:** وهذا يعني أن يكون المتعلم قادرا على تحمل المسؤولية بحب العلم والجد فيه، والتحفيز للاطلاع إلى أعلى دائما، كما ينصحهم بعدم إرهاق المتعلم ومنعه من اللعب، لأن ذلك يميت عقله وقلبه ويذهب ذكاءه وفطنته.

3. **أسلوب التفريد:** انطلاقا من هذا الأسلوب يرى "الغزالي" أنه يجب على التعليم أن يكون متفردا وذلك بمراعاة الفروقات الفردية بين المتعلمين وذلك على حسب قدراتهم العقلية والفكرية.

4. **أسلوب التدرج والتوجيه:** أقر "الغزالي" على ضرورة مراعاة سن المتعلم وأخذ حاجاته بعين الاعتبار، إذ ينصحهم بعرض العلوم وما يلائم طبيعة المتعلم.

ونجد أيضا "ابن جماعة الكناني" الذي أوصى على نفس الأسلوب أي أسلوب الثواب والعقاب، فهو أقر على العالم أن يحرص على استخدام مثل هذه الأساليب في وقتها المناسب، مع احترام ذواتهم والصبر عليهم بالشفقة والرفق بهم فقال :«يعامله بما يعامل به أعز أولاده من الحنو والشفقة عليه، والإحسان إليه، والصبر على جفاء ربما وقع منه، ونقص لا يكاد الإنسان عنه، وسوء الأدب في بعض الأحيان ويبسط عذره بحسب الإمكان»[2] وكما صنف "الغزالي" الأساليب في أربع عناصر، جعلها "الكناني" في أربعة أيضا وهي:[3]

1. أسلوب إثارة دافعية التلاميذ للتعلم.
2. مراعاة مستوى ذكاء المتعلم.
3. الاعتماد على فعالية المتعلم ونشاطه.
4. المرونة والتوازن، والعناية بالصحة النفسية للمتعلمين.

ولم يكن أسلوب الترهيب والترغيب الأسلوب الوحيد المعتمد في عملية التعليم بل يوجد أساليب أخرى كانت معتمدة داخل الصف التعليمي، فمثلا أسلوب "ضرب الأمثال" الذي كان شائعا بشكل كبير في المؤسسات التعليمية قديما حتى ألف فيه عدد كبير من علمائنا الأفذاذ منهم " أبو هلال العسكري" في مؤلفه

---

[1] أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين ، ص 89- 92.

[2] ابن جماعة الكناني: تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، ص 140.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص 141 156.

"جمهرة الأمثال" إذ قال : «أصل المثل التماثل بين الشيئين في الكلام، كقولهم: كما تدين تدان، وهو من قولك: هذا أمثل الشيء ومثله، كما تقول: شِبهه وشَبهه، ثم يجعل كل حكمة سائرة مثلا»[1]، ومن خلال هذا القول نجد أن الاعتماد على أسلوب ضرب الأمثال مفيد بالنسبة للمتعلم، فالمعلم عند عرض المادة المعرفية يقوم بالشرح والتفسير عن طريق تقيم أمثال تخدم موضوع المحاضرة وبالتالي فإن المتعلم هو المستفيد الوحيد منها يفهم موضوع المحاضرة من جهة، ويكتسب أمثالا وحكما كان يرددها طائفة من العلماء، وقد ورد فضل الأمثال وأهميتها في القرآن الكريم في قوله تعالى:﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة الجمعة -05-] .

فالأمثال كانت بمثابة الحجة والإقناع فسبحانه وتعالى ضرب في هذه الآية مثلا بالحمار على عالم أقبل بلسانه على دراسة العلوم ثم أعرض بقلبه عنها، وإلى جانب الأمثال يوجد أيضا أسلوب القدوة والذي يمثل المعلم العنصر الرئيسي فيها لأن المتعلم يقتدي به سواء كان ذلك بالأقوال أو بالأفعال، بالتقليد أو بالأعمال وقد قال "عمرو بن عتبة" لمؤدب والده :«ليكن أول إصلاحك لوالدي إصلاحك لنفسك ... ولا تنقلهم من علم إلى علم حتى يحكمون فإن ازدحام الكلام في القلب مشتعلة للفهم وعلمهم سنن الحكماء وجنبهم محادثة النساء»[2]، فالأولياء قديما كانوا ينصحون مؤدب أولاهم بما يتعلق بسلوكاتهم وتصرفاتهم أمام المتعلمين، كما كانوا أيضا يرشدونهم إلى تنبيه الصبيان على الاقتداء بأحكام العلماء وسننهم وعدم مخالطة النساء لأن في ذلك مضرة بهم، إلى جانب أسلوب الترهيب والترغيب وأسلوب ضرب الأمثال والقدوة نجد أيضا أسلوب القصة، هذه الأخيرة التي كانت لها مكانة مرموقة ف عملية التعليم إذ كان من خلالها المعلم يعرض قصص الأنبياء والرسل بالدرجة الأولى، كما كانت أيضا أداة لعرض البطولات والمغامرات التي كان يقوم بها العلماء قديما من أجل البحث والاكتشاف، كالرحلات مثلا التي قام بها "ابن بطوطة" والتي ظلت خالدة عبر التاريخ والتي تشهد على حبه واجتهاده الكبير في سبيل العلم، ومن خلال هذا الأسلوب يكون المتعلم عالما بقصص الأنبياء وعارفا بمغامرات علماء بيئته.

وفي الأخير يمكن القول أنّ للأساليب مكانة خاصة بين عناصر العملية التعليمية المتكونة من عناصر رئيسية وهي المعلم والمتعلم والمادة المعرفية، إلى جانب العناصر الفرعية والمكملة لها والمتمثلة في المؤسسات والطرق والأساليب وكل هذه العناصر ساهمت بشكل مباشر في نجاح العملية التعليمية واستمرار نشاطها إلى حد الساعة.

---

[1] أبو الهلال العسكري: جمهرة الأمثال، دار الجيل للنش، بيروت، لبنان، ط2، د ت، ص 11.

[2] محمد منير مرسي: التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، دار المعارف للنشر، (دب)، 1987، ص 145.

3- مكانة الأساليب التعليمية في المدونات الأربع:

تعد الأساليب التعليمية من أهم الطرق التربوية التي يستخدمها المعلم في حقل التربية بغرض إيصال فكرته وتنشئة المتعلمين التنشئة الصالحة، وذلك بما يتميز به من فطنة وذكاء ومهارة وثقافة وإمكانات...إلخ، وقد أكد كل من "ابن سحنون" و"الماوردي" و "الزرنوجي" و "ابن خلدون" في مدوناتهم عن أهمية الوسائل والأساليب التعليمية ودورها الفعال في تنمية قدرات المتعلمين، وتثبيت المعلومات في الذاكرة، وتدليل الصعوبات، وذلك من خلال ربط المعلومات ببعضها بأسلوب مشوق وبسيط.

1 – عند ابن سحنون:

أشار "ابن سحنون" في كتابه "آداب المعلمين" إلى بعض الأساليب التي كان المعلم يقتدي بها أثناء مدارسة أبناء ملته، حيث لم يكن يفصل كثيرا فيها بل كان دائم الاختصار والتدقيق في العرض، فأشار إلى أن الدعاء في حياة الإنسان شيء محبذ يكسب صاحبة الراحة النفسية، والطمأنينة القلبية لهذا كان دائما يوصي المعلمين بهذا النوع من الأساليب والاعتماد عليها داخل الصف، حتى يكون المتعلم عارفا بقدرات ربه وعظمته الجليلة فقال :«وليتعاهد هم بتعليم الدعاء ليرغبوا إلى الله ويعرفهم عظمته وجلاله ليكبروا على ذلك وإذا أجدب الناس واستسقى بهم الإمام فأحب للمعلم أن يخرج بهم من يعرف الصلاة منهم، وليستهلوا إلى الله بالدعاء ويرغبوا، إليه فإنه بلغني أن قوم يونس ـ صلى الله على نبينا وعليه ـ بما عاينوا العذاب خرجوا بصبيانهم فتضرعوا إلى الله بهم»[1].

فالتضرع إلى الله وطاعته يزيد من تحصيل العلم ودوام الخير والصدق بين المتعلمين من جهة، وبين المعلم والمتعلم من جهة أخرى، إلى جانب هذا نجد "ابن سحنون" يدعو إلى تطبيق أسلوب "التفرد" داخل الصف، أي أن يكون المعلم هو معلم الغلمان وأن تكون الجارية معلمة الجواري وهو لا يحبذ أن يكون الجواري والغلمان يدرسان داخل صف واحد، بل يفضل أن يكون كل جنس يتعلم بانفراد عن الجنس الثاني فقال :«وأكره للمعلم أن يعلم الجواري ولا يخلطهن مع الغلمان لأن ذلك فسادا لهم»[2]، وفي موضع آخر أصر"ابن سحنون" على الاقتداء بأسلوب التخلق بين المتعلمين داخل مجلس التعليم، وهذا الأمر ينبغي على المعلم تطبيقه وجعله سائرا في حصصه التعليمية فقال في هذا الخصوص :«وسئل سحنون عن المعلم أيأخذ الصبيان بقول بعضهم على بعض في الأذى؟ فقال ما أرى هذا من ناحية الحكم وإنما على المؤدب أن يؤدبهم إذا آذى بعضهم بعض وذلك عندي إذا

---

[1] ابن سحنون: آداب المعلمين، ص 111.

[2] المصدر نفسه، ص 117.

استفاض علم الأذى من الجماعة منهم أو كان الاعتراف، إلا أن يكونوا صبيانا قد عرفهم بالصدق ...»[1]، وبالتالي فإن للمعلم دورا مهما في تطبيق الطرق والأساليب داخل الحصة التعليمية، وقد تبين ذلك من خلال النجاحات التي حققها هؤلاء المعلمين بتخريج علماء ونحاة ولغويين وبلاغيين في كل فرع من فروع التعليم، ومن مؤسسات عريقة غلب عليهم طابع الأدب والصفات الحميدة والنبيلة فظلت راسخة في ذاكرة التاريخ عبر العصور.

واستخلاصا مما سبق نجد أن "ابن سحنون" قد كان رأيه الفكر التربوي اتجاه هذه الأساليب خاصا ونوعا بالنسبة إلى "ابن خلدون" و "الماوردي" و " الزرنوجي" فقد دعا إلى الاعتماد على أسلوب الدعاء والتفرد في الصف التعليمي إلى جانب أسلوب التأدب والتخلق بالأخلاق الحميدة، وقد كان موقفه هذا كافيا في الاقتناع من خلا الأدلة والبراهين والشواهد التي اعتمدها في توضيح وتفسير كل أسلوب على حده.

2- عند الماوردي:

إن لتنوع الأساليب التربوية أهمية كبيرة في العملية التربوية التعليمية فهي تعد عامل تشويق، فالموعظة التي تحتوي عليها القصة وضرب الأمثال والعبر...إلخ تكون أكثر تأثيرا وواقعا في نفسية المستمع، وقد استخدم "الماوردي" في كتابه "أدب الدين والدين" عدة أساليب تربوية يجب على المعلمين والمؤدبين الاهتمام بها، ومن هذه الأساليب:

أ- الترغيب والترهيب:

أشار "الماوردي" إلى أحد أهم أساليب التربية الإسلامية والتي أكد عليها الله عز وجل ونبيه -صلى الله عليه وسلم-، حيث ذكر في معرض كلامه عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- :«فبلغهم رسالته، وألزمهم حجته، وما وعد به من الثواب لمن أطاعه وأوعد هبه من العقاب لمن عصاه فكان وعده ترغيبا ووعيده ترهيبا لأن الرغبة تنبعث على الطاعة والرهبة تكف عن المعصية»[2]،فالغرض من الترغيب هو طاعة الله والعمل بما أمر، هذا ما يؤدي إلى نيل الأجر والثواب، أما الرهبة فإنها تزيل المعصية، وذلك من خلال إثارة الخوف وعدم تكرار الفعل.

إن العلم يكتسب عن طريق الرغبة والرهبة؛ فالرغبة تخلق لدى المتعلم حب الاستمرار والاجتهاد أكثر في تحصيل العلم، أما عقابه فإنه يدفعه إلى الابتعاد قدر المستطاع عن الخطأ، ويستند الإمام "الماوردي" في إثبات موقفه إلى أقوال بعض الفقهاء والحكماء: «وقد قالت الحكماء... أصل العلم الرغبة وثمره السعادة وأصل الزهد الرهبة، وثمرته

[1] ابن سحنون: آداب المعلمين ، ص 117- 118.

[2] أبو الحسن الماروردي: أدب الدنيا والدين، ص 98.

العبادة فإذا اقترن الزهد والعلم فقد تمت السعادة وعمت الفضيلة»[1] فكل من الزهد والرهبة يؤديان إلى طلب العلم.

إن الثواب والعقاب كلاهما مقرر في الإسلام في جميع مجالات الحياة العامة، وفي ميدان التربية أيضا، فالترغيب يهدف إلى تنمية الحوافز حتى تتحد النية والنهج والهدف، أما الرهبة فإنها تهدف إلى إلزام المتعلم بحدود حتى لا يتجاوزها إلى تذكيره بواجباته حتى يعود فيلزمها، ويفضل "الماوردي" استخدام الثواب والترهيب لأن ذلك أعطف عليهم وأدعى إليهم من تحصيل العلم.

ب- القصة:

لقد أورد المؤلف قصصا كثيرة ومتنوعة تبعا لاختلاف الأزمنة والظروف ولا شك أن القصص من الأساليب ترك أثرا في نفسية طالب العلم وخاصة للصغار، ومن أمثلة ذلك ما أورده أثناء حديثه عن الرياء* فقال :«وحكى الأصمعي أن أعرابيا صلى فأطال وإلى جانبه قوم فقالوا ما أحسن صلاته فقال: وأنا مع ذلك صائم»[2]فالرياء يعتبر شرك لأنه الصلاة فرض ويقصد بها وجه الله تعالى أما الأعرابي فإنه جعلها لغير الله وافتخر بها، وفي موطن آخر وفي أثناء حديثه عن الزهد أيضا يقول: «وحكى الأصمعي -رحمه الله- قال: دخلت على الرشيد -رحمه الله- يوما وهو ينظر في كتاب ودموعه تسيل على خذه فلما أبصرني قال: أرأيت ما كان مني؟ قال نعم يا أمير المؤمنين فقال: أما إنه لو كان لأمر الدنيا ما كان هذا ثم رمى إلي بالقرطاس»[3] وعليه من الورع أن يبتعد المتعلم عن إغراء الدنيا لأنها فانية، فالزهد مطلب لزم الوصول إليه حتى ينال المغفرة.

إن القصة من الأساليب القديمة قدم التربية نفسها، والتي دعا إليها العلماء الإسلام في كتبهم وشجعوا على استخدامها في المنظومة التعليمية، لما تحمله من عبر، فهي توجه المتعلم وبطريقة غير مباشرة إلى مختلف الأغراض بأسلوب مشوق ومؤثر في نفس الوقت رغبة في كسر الملل بين المتعلمين.

ج- التشبيه:

إن التشبيه يعد من الأساليب البلاغية التي تزيد المعنى جمالا ووضوحا، من خلال تقريب المعنى بصورة غير مباشرة تجسد الحقائق عن طريق أداة بين شيئين ويؤكد "الماوردي" في كتابه "أدب الدنيا والدين" أهمية هذا بقوله في هذا الخصوص معبرا عن غرضه:« وقد قالت الحكماء طالب العلم وعامل البر، كآكل الطعام إن أخذ منه قوته

---

[1] أبو الحسن الماروردي: أدب الدنيا والدين ، ص 53.

* الرياء: ترك الإخلاص في العمل بملاحظة غير الله فيه.

[2] المصدر نفسه، ص 119.

[3] المصدر نفسه، ص 133.

عصمه، وإن أسرف فيه أبشمه، وربما كان فيه منبته، كأخذ الأدوية التي القصد فيها شفاء ومجاوزة الحد فيها السم المميت»[1] وهذا يعني أن الإكثار من العلم يؤثر على صاحبه باختلاط العلوم ومعارفها، والتقليل منها أيضا مضرة له، وهذا ما ينبغي عليه أن ينتقي العلوم التي تفيذه في حياته، وفي موطن آخر شبه زلة العالم بغرق السفينة التي تهلك خلقا كثيرا معها فقال :«فقد قيل في منثور الحكم: زلة العالم كالسفينة تغرق ويغرق معها خلق كثير»[2] ضف إلى ذلك فإن "الماوردي" يرى أن التعلم يكون في الصغر لأن ذلك أكثر تأثيرا فيه؛ من حيث قدرة الاستيعاب والحاجة إليه في مراحل حياته، ويبرر موقفه هذا بحديث للرسول –صلى الله عليه وسلم– حيث شبه فيه فائدة التعلم بالصغر بالنقش على الحجر فقال فيه: «مثل الذي يتعلم في صغره كالنقش على الصخر والذي يتعلم في كبره كالذي يكتب على الماء»[3]، فالكتابة على الحجر والصخر يؤدي إلى إبقاء أثر الكتابة ولا تزول رغم ما تتعرض إليه الصخرة، أما التعلم في الكبر فهو كالكتابة على الماء حيث تزول ولا يبقى لها أثر لذلك حبذ أن يرسخ أفكاره.

إن العلم يطلب مرضاه لله وليس لأغراض دنيوية فانية ويقول "الماوردي" في ذلك : «وقال صاحب كليلة ودمنة: طالب الدنيا كشارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا»[4] ومنه شبه طالب العلم للدنيا بشارب ماء البحر فهو رغم شربه إلا أنه يزداد عطشا، وهذا ما يؤدي إلى اكتساب العلم وعدم الملل منه.

يعد التشبيه من الأساليب التعليمية التي تترك أثر في نفوس المستمعين من خلال الإشارة إلى المعنى بصورة أخرى، هذا ما يحفز المتعلم إلى أخد عبر ومواعظ تؤثر في سلوكه.

د– ضرب الأمثال:

إن للأمثال فوائد كثيرة خاصة في تقريب المعنى إلى الأذهان عن طريق تشبيه الأمور فهو يعين المتعلم على الفهم والاستيعاب، والمثل أسلوب من أساليب تنمية الأفكار وتربية العواطف وكذا الانفعالات حيث يرى المؤلف أن الأمثال: «من الكلام موقع في الأسماع وتأثير في القلوب لا يكاد الكلام المرسل يبلغ مبلغها ولا يؤثر تأثيرها لأن المعاني بها لائحة والشواهد بها واضحة والنفوس بها واقفة والقلوب بها واثقة والعقول لها موافقة»[5] فالمثل إذا عبارة عن كلام يسمع فيؤثر في القلب لكونه معانيه واضحة فيترك بصمته في القلب والعقل، وقد أورد "الماوردي"

---

[1] أبو الحسن المارودي: أدب الدنيا والدين ، ص 80.

[2] المصدر نفسه ، ص41.

[3] المصدر نفسه ، ص 56.

[4] المصدر نفسه، ص 129.

[5] المصدر نفسه، ص 294.

في هذا المصنف الكثير من الأمثال رغبة في التعبير وتكون أبلغ تأثيرا وأحسن موقعا في نفسية المتلقي، فكثيرا ما يذكر عبارة "والعرب تقول" وذلك للتعبير عنه والمتعلق بالموضوع الذي يتحدث عنه ومن ذلك قوله في معرض حديثه عن فعل الخيرات وذلك بالقصد حتى ينال الثواب فيقول:« والعرب تقول: القصد والدوام وأنت السابق الجواد»[1]، فالغرض من الكلام هو قصد العمل الصالح والمداومة عليه، ضف إلى ذلك فإن الإمام يؤكد على المتعلم تجنب الحفظ إذا كان لا يفهم المضمون وفي هذا يقول :«والعرب تقول في أمثالها: حرف في قلبك خير من ألف في كتبك»[2] وعليه غاية العلم الفهم وليس الحفظ.

يضع "الماوردي" بعض الشروط الواجب توافرها في المثل وهي: صحة التشبيه، وأن يكون العلم بها سابقا والكل عليها موافقا إضافة إلى سرعة وصوله للفهم وتعجيل تصورها في الوهم، من غير ارتياء في استخراجها ولا كد في استنباطها، فإذا اجتمعت في الأمثال هذه الشروط كانت زينة الكلام وجلاء للمعاني وتدبرا للأفهام.[3]

وعليه فللأمثال أثر واضح في التعبير عن الأفكار بأسلوب غير مباشر وبسيط لغرض الإقناع، بما تترك من أثر في المتعلمين.

هـ- التربية بالقدوة:

القدوة «هي نماذج بشرية متكاملة تقدم الأسلوب الواقعي للحياة في مجالاتها المختلفة السلوكية والانفعالية والعلمية والاجتماعية»[4]، فالمتلقي (المتعلم) يقتدي بمربيه في جميع سلوكاته، فإذا لاحظ سلوكا معينا يسهل عليه الإتيان به فإنه يقتدي به سواء كان هذا السلوك خطأ أو صواب، ومن هنا كانت أهمية القدوة وخطورتها في نفس الوقت، فكم من طالب اقتدى بمعلمه في أمور سيئة فانحرف وخرج عن طريق الصواب، وقد أشار "الماوردي" في كتابه على ذلك في عدة مواضع منها قوله: «وقيل لعيسى بن مريم عليه السلام: من أشد الناس فتنة قال زلة العالم إذ زل هلك بزلته عالم كثير»[5]، فأخلاق المعلم وسلوكاته يقتدي بها المتعلم فيكون بالتالي قدوة له، لذلك وجب أن تكون أخلاقه وأفعاله طيبة لأن ذلك يساعد المستمع في اكتساب الصفات والأخلاق الحميدة.

أشار "الماوردي" إلى أن التعليم بواسطة أسلوب القدوة من أفضل وأنجح أساليب التعليم وأكثرها تأثير، ويظهر ذلك من خلال قوله عن قبح العجب: «وهو بكل أحد قبيح، وبالعلماء أقبح، لأن الناس بهم يقتدون وكثيرا ما

---

[1] أبو الحسن الماروردي: أدب الدنيا والدين ، ص 122.

[2] المصدر نفسه، ص 66.

[3] ينظر: المصدر نفسه ، ص 294.

[4] صالح عبد الرحمان: مدخل إلى التربية الإسلامية وطرق تدريسها، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1991، ص 152.

[5] المصدر نفسه، ص41.

يداخلهم الإعجاب لتوحدهم بفضيلة العلم...»[1]، فالعجب صفة رذيلة لذلك حث "الماوردي" على تجنبها لأن الناس عامة والمتعلمين خاصة يأخذون عن العلم فضائله وآدابه دون شعور منه.

لقد أولى "الماوردي" للقدوة أهمية كبيرة، فهي تعتبر من أشهر أساليب التربية والتعليم على وجه العموم، وذات أثر عميق في تنشئة المتعلم على وجه الخصوص ذلك الأسلوب الذي يترجم أقوال المعلم إلى أفعال، وله تأثيره الحسن في النفوس، ويكون هذا الأسلوب فعالا وتؤتي ثماره عندما تكون المعلم يتسم بالأخلاق الحسنة التي تجعله المعلم القدوة في نظر طلابه.

3- ابن خلدون:

إذا أردنا التوغل في الكتب التراثية واحيائها نجدها لا تكاد تخلو من الحديث عن عملية التعليم خاصة في العصور القديمة التي كان العلم والتعليم مشغل الكثير من الناس سواء كان ذلك علماء، معلمين، أو أولياء لأن التعليم كان سبيل هذه الأمة وأملها في حفظ القرآن من اللحن والحديث النبوي الشريف من التحريف وعند قول حفظ هذين العلمين يعني حفظ علما بأكمله كان يجمع القرآن بالناس وهو علم اللغة، واللغة هنا هي العربية التي نزل بها القرآن وكانت لغة العلوم التي جاءت فيما بعد، ولحفظ هذه اللغة أكثر عمل جمهرة من علمائنا على تأليف مؤلفاته تجمع هذه المادة -اللغة- وما يخصها من طرق ومؤسسات وأساليب كانت يافعة في عملية تعليمها.

وقد كان كتاب "مقدمة" "لابن خلدون" من أهم هذه المؤلفات، فهو كان يردد مصطلح الأساليب، إلا أنه لم يخص أو يذكر نوعا معينا من الأنواع التي كانت سائدة آنذاك، كأسلوب القصة، والأمثال والقدوة...إلخ، وهذا يعني أن "ابن خلدون" كان دائما ينفرد في عرض مادته المعرفية في مجال ما دون الاقتران بالآخرين، ومن خلال مطالعة هذا المؤلف وجدنا أنه في كل علم من علوم العربية يجب الاقتداء بأساليب العرب التي كانوا يعتمونها فقال في "علم الأدب" :«هذا العلم لا موضوع له ينظر في إثبات عوارضه او نفيها، وإنما المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته، وهي الإجادة في فني المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم، فيجمعو بذلك من كلام العرب ما عساه تحصل به الكلمة من شعر عالي الطبقة وسجع متساوي في الاجادة»[2]، فالعربي كان دائما يقتدي بكلام أهل جيله وأساليبهم في مخاطبتهم وفي هذا الجانب قال العلامة: «فالمتكلم من العرب حين كانت ملكته اللغة العربية موجودة فيهم يسمع كلام أهل جيله وأساليبهم في مخاطباتهم وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم، كما يسمع

[1] ابن خلدون: مقدمة ، ص60.

[2] المصدر نفسه، ص 709.

الصبي استعمال المفردات في معانيها فيلقنها أولا، ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك»[1]، أي أن الملكة اللغوية كانت حافز ومشجعا للمتعلمين قديما في سماع الكلام وحفظه وفهمه والاقتداء بأساليب العلماء القدامى من حيث التعبير والمخاطبة، حتى يكون لسان هذا المتعلم ذا أسلوب محدد ومنظم يمكن المتعلم من تعلم فنون اللسان من نظم ونثر ويكون خطابه مقنعا، يحتوى على تراكيب وأساليب لغوية مألوفة فقال في هذا الرأي: «وأساليب اللسان وفنونه من النظم والنثر موجودة في مخاطباتهم، وفهم الخطيب المصقع في محالفهم ومجامعهم والشاعر المفلق على أساليب لغتهم والذوق الصحيح والطبع السليم شاهدان بذلك»[2] ،ومن هذه الأقوال نجد أن "ابن خلدون" لم يعط أية أهمية لنوعية الأسلوب الذي يتبعه أي عالم في تعليم الصبيان، وإنما المهم عنده أن لا يخرج المعلم عن نطاق أساليب العرب الذين كانوا يعتمدونها فقال: «إلا أن اللغات لما كانت ملكات كما مر كان تعلمها ممكنا شأن سائر الملكات، فوجه التعليم لمن يبتغي هذه الملكة ويروم تحصيلها ان يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجاري على أساليبهم من القرآن والحديث وكلام السلف ومخاطبات فحول العرب في اسجاعهم وأشعارهم»[3]، وقد أشار "ابن خلدون" إلى أن حفظ الأساليب واستيعابها تمكن المتعلم من استعمالها في خطاباته وأحاديثه اليومية تلقائيا دون تخمين وتفكير، هذا الأمر زاد من تحصيل الملكة اللغوية وتطويرها فقال:«... ثم يتصرف بعدد ذلك في تعبير عما في ضميره على حسب عباراتهم وتأليف كلماتهم وما وعاه من حفظه من أساليبهم وترتيب ألفاظهم، فتحصل له هذه الملكة بهذا الحفظ والاستعمال ويزداد بكثرتهما رسوخا وقوة »[4]، وعليه فإن اللغة كانت بمثابة قوانين عقلية جدلية بعدت عن ملكة اللسان، وما كان ذلك إلا لعدولهم عن شواهد اللسان وتراكيبه وتبيان أساليبه فقال: «فأصبحت صناعة العربية كأنها من جملة قوانين المنطق العقلية أو الجدل وبعدت عن مناحي اللسان وملكته، وما ذلك إلا لعدولهم عن البحث في شواهد اللسان وتراكيبه وتميز أساليبه وغفلتهم عن المران في ذلك المتعلم فهو أحسن ما تفيده الملكة في اللسان»[5].

فالممارسة والتكرار والاعتياد وكثرة المران والتدرج في التعليم من أهم ما لجأ إليه "ابن خلدون" وحث إلى الاعتماد الدائم على هذه الممارسات من أجل تفكيك فعجمة لسان المتعلم وفتقه لمناقشة ما ورده معلمه أو أصدقائه المتعلمين، وتكون الملكة بذلك منتقلة من شخص لآخر ومن جيل إلى جيل.

---

(1) ابن خلدون: مقدمة ، ص 710- 711.

(2) المصدر نفسه، 712- 713.

(3) المصدر نفسه، ص 716.

(4) المصدر نفسه، ص 716.

(5) المصدر نفسه، ص 718.

***مقارنة بين أساليب التعليم ضمن المدونات الأربع:**

انطلاقا من الدراسة التي قمنا بها حول الأساليب التعليمية ضمن المدونات الأربع تبين لنا أنه يوجد اختلاف كبير بين آراء أصحاب هذه المدونات اتجاه هذه الأساليب، إذ لم يكن هناك اتفاق بينهما، على عكس الاختلاف الذي كان الغالب الأكثر، وغالبا يعود هذا الاختلاف إلى طبيعة كل معلم والأسلوب الذي يراه مناسبا لإيصال الفكرة إلى المتعلم.

فقي بداية الأمر نجد "الماوردي" الذي كان الوحيد الذي تطرق للحديث عن مجموعة من الأساليب والتي كانت من أشهرها في نظر معظم العلماء، فكانت القصة وضرب الأمثال، والتشبيه، والترغيب والترهيب، والقدوة من أبرز الأسس التي تقوم عليها الحصة التعليمية، والتي يعمل من خلالها المعلم إلى جذب ولفت انتباه المتعلم وتشويقه للدرس، ومن خلال هذه الأساليب التي كان يتبعها المعلم، كان يجعل المتعلم يعيش لحظتها الحدث بكل مواقفه وبأسلوب سهل وبسيط حتى تصله الفكرة وتؤثر في نفسيته. أما "ابن سحنون" فقد كان بعيدا كل البعد عن هذه الأساليب فهو دعا إلى الاعتماد على أسلوب الدعاء لتقريب المتعلم من ربه، وإلى جانب الدعاء تطرق أيضا إلى أسلوب التفرد وأسلوب التأدب والتخلق، وكان الغرض منهما أن لا يعتمد المتعلم التعليم الجماعي، وأن يحث المتعلم على التأدب داخل مجلس التعليم، أما "ابن خلدون" فكان كعادته الطبيعية ينفرد في كل شيء، إذ لم يتطرق إلى ذكر أي نوع من أنواع الأساليب بل ذكرها بصفة عامة، وكان الغرض من ذلك أن يقتدي المعلم بأي أسلوب كان متبعا داخل المؤسسات التعليمية العربية القديمة وأن لا يخرج عن نطاقها، لأن النوعية لا تهم بقدر ما يهم الفهم والاستيعاب، آما "الزرنوجي" فلم يكن له أثر لأي نوع من أنواع الأساليب المذكورة آنفا.

وفي ضوء ما سبق تبين لنا أن كلا من المؤسسات التعليمية، والطرق، والأساليب كانت محو جدل ونقاش بين مختلف العلماء والمفكرين العرب القدامى، فالمؤسسات التعليمية كانت مركز التقاء العلوم وانتقائها؛ إذ كانت المواد التي تدرس في هذه المؤسسات –سواء كانت مؤسسات عامة كالكتاتيب والمساجد...الخ، أو مؤسسات خاصة كالقصور–، مرتبطة بالعلوم الدينية كتعليم الصلاة، وتلاوة القرآن، وتجويده، وحفظ الحديث...الخ، كما كانت أيضا مكان اجتماع فئات مجتمعية مختلفة الأعمار، ويتم فيها تعليمهم وتزويدهم بالكثير من المعلومات المختلفة، وذلك حسب نوع كل مؤسسة من المؤسسات التعليمية التي تعددت واختلفت من حيث الأنظمة السائدة فيها، فكل مطرح من هذه المطارح ساهم وبشكل واضح في التنشئة الاجتماعية، بتقويم سلوك الطالب بغرس الوازع الديني، وترسيخ الأخلاق والسلوكيات التي تفتح عقله على الأمور العلمية من كل الجوانب.

ولا تنتج عملية التعليم داخل هذه المؤسسات، إلا من خلال تطبيق إجراءات عملية خاصة بهذه العملية، وتتمثل هذه الإجراءات في الطرق التي ساعدت المعلم على تحقيق الأهداف والنتائج التعليمية المطلوبة، كما مكنته أيضا من معرفة الطريقة الخاصة بكل علم والتي بواسطتها استطاع المتعلمون الاستفادة من الخبرات التعليمية.

ومكنت المعلم من معرفة مدى استجابته للتلاميذ وتفاعلهم معه ومشاركتهم له، وسعيه لإيصال المعلومات إلى أذهانهم بيسر ووضوح، ولا يتطرق المعلم إلى أي طريقة، إلا بعد أن يكون على إدراك تام، بمستوى كل متعلم وطبيعية نموه العقلي والفكري، حتى يكون مراعيا للفروقات الفردية بين المتعلمين ومحترما، لهم وطريقة التعليم تشجع المتعلم على معرفة أهدافه، وتمنحه الفرصة لتحقيقها وتطوير إمكاناته العقلية.

وإلى جانب الطرق نجد أيضا الأساليب التي كانت بمثابة عمود الحصة التعليمة، فمن خلالها يستطيع المعلم شرح المسائل الصعبة وتبسيطها وجعلها سهلة في متناول جميع الطلاب، فبواسطة الأسلوب يتمكن المعلم من تنفيذ طريقة التعليم، فالأسلوب يختلف من معلم إلى آخر وذلك على حسب طبيعة الطريقة المعتمدة في العملية التعليمية، وإلى جانب هذا يمكن القول أن الأسلوب يخص كل معلم، أي حسب الصفات والخصائص والسمات الشخصية للمعلم، فكل واحد يريد أن يجسد أفكاره ومعارفه بأسلوب يكون مقترنا بنوعية تلك المعارف، وبالتالي فإن الأسلوب يساعد وبشكل كبير على معرفة شخصية المعلم وطبيعة تفكيره العقلي والفكري.

وهذا يعني أن كل عنصر من هذه العناصر مرتبطة ببعضها البعض، وكل واحد منهم يدل على الثاني، فلا يمكن الاستغناء عن أي واحد منهم لأنهم عبارة عن أجزاء تكمل بعضها البعض.

خاتمـــة

خاتمة:

إنّ اللغة العربية ذات أصالة تراثية عظيمة لأنها استطاعت عبر تاريخها الطويل الحفاظ على مكانتها، وأثبتت جدارتها كلغة علم وحضارة وألفت في سبيل دراستها كتب قيمة ذات جودة ونوعية عالية، وكذا جودة هاته اللغة وضحت تطور الأمة الاجتماعي والحضاري، وهذه الكتب لا تقل أهمية عما توصل إليه الدارسون والباحثون العرب المحدثون، ومن خلال هاته الدراسة والتي انحصرت حول أربع مدونات، استطعنا من خلالها التعرف على طرق ووسائل وكيفيات تعليم وتعلم اللغة العربية وقمنا باستنتاج عدة نتائج تمثلت فيما يلي:

-أن عملية التعليم كانت شاغلة الفكر الإنساني العربي منذ العصر الجاهلي إلى غاية العصر الأندلسي، خاصة بعد نزول القرآن ونشر الدعوة الإسلامية.

- عملية التعليم في القديم كانت تهتم أكثر بتعليم القرآن والحديث واللغة عن باقي العلوم لأنها كانت أم العلوم وأصلها، ووجدنا أن هاته العلوم ارتبطت أكثر بالعلوم الدينية منها بالعلوم العقلية.

- أن المكانة التي كان يحتلها المعلم مكانة كبيرة، باعتباره القائد التربوي للعملية التعليمية، أما المتعلم فهو المعلم تابع لأوامره ونواهيه، كما أن المادة المعرفية هي الرابط بين القطبين سابقي الذكر.

- رأى علماء العربية حسب المدونات الأربع أن نجاح العملية التعليمية لا يتم إلا حسب قدرة المعلم وملكته على إدارة العملية التعليمية وإجادته فكلما نجح في ذلك كلما زاد حدق المتعلم في حصول ملكة التعلم.

- ركز التعليم قديما على المعلم، وفرض شروطا وآدابا صارمة عليه منها: المعرفة العلمية الشاملة (دينية، تاريخية ولغوية)، جودة الشرح وتبسيطه وتجنب الأخطاء المعرفية ما أمكنه حتى لا يسقط من نظر المتعلمين، وتحليه بالصبر على التعليم، وتقريب المعلومات إلى أذهان الطلاب، ومراعاة الفروقات الفردية لدى المتعلمين، لأن الناس ليسوا سواء في القدرة على التعلم، الإحاطة بمبادئ التعليم والإيجاز في عرض المسائل العلمية، الصدق فيما يدعو له لأن علامة الصدق أن يطبق على نفسه فالمعلم هو قدوة المتعلم، لأن هذا الأخير يتبعه ويقلده في أقواله وأفعاله.

-إن المكانة التي كان يحتلها المعلم في القدم كانت أكبر من مكانة المتعلم، الذي كان الاهتمام به ناقصا نوعا ما غير أن المعلم ومن خلال نوعية الطرق والأساليب التي كان يعتمدها في عملية التعليم، جعلته يتفاعل ويتحفز من أجل الارتقاء بمكانته أكثر.

-اتضح من خلال المدونات الأربع أنه توجد بعض الآداب والشروط التي اهتم بها بعضهم في حين أهملها الآخر كما تبين أن أصحاب هذه المدونات اختلفوا من حيث تسمية هذه الشروط والآداب إذ وجدنا بعضهم قد اصطلح عليها بمصطلح الصفات -الآداب- ، وأن بعض الشروط كانت في خانة الصفات، والعكس صحيح.

-تبين أن المادة المعرفية والتي تتمثل في اللغة العربية كانت تضم علوما رئيسية وأخرى فرعية، وقد كان المعلم مطالبا بتعليم العلوم الرئيسية أكثر من العلوم الفرعية، وقد وجدنا اختلافا كبيرا من حيث وجهات النظر بين أصحاب المدونات الأربع، حول كيفية تعليم اللغة وتعلمها وطرق اكتسابها، إلى جانب تسميتها، فكان "ابن خلدون" وحده من أطلق عليها مصطلح الملكة اللغوية على غرار باقي العلماء.

-شدّد العلماء القدامى على ترك العلوم التي لافائدة منها، لأن تعلمها مضيعة للوقت، بل يتوجب اتباع العلوم المفيدة للطـــالب المتعلم.

-ينبغي على المعلم أن يتفنن في تنويع أساليب التعليم، بحيث يكون عارفا بالأسلوب الذي يصلح بكل موقف من مواقف التعليم ومواده، على أن تكون هذه الأساليب مستقاة من القرآن، ومن تعليم الرسول -صلى الله عليه وسلم- لأصحابه.

- لم يخصص علماء العربية قديما أماكن معينة للتعليم، وإنما كانوا يركزون على التعليم أكثر من مكانه.

- تنوع المؤسسات التعليمية أدى إلى تنوع العلوم، وطرق، وأساليب التعليم بداخلها، إذ كانت كل مؤسسة تلقن فيها علوما خاصة، وكل علم كانت له طريقة وأسلوب معين للتدريس.

-الاعتماد على أسلوب التدرج في التعليم، والانتقال من السهل إلى الصعب يساعد المتعلم على اكتساب العلم والمعرفة واستيعابها وفهمها أكثر.

-أن معظم الطرق التي كانت معتمدة في عملية التعليم قديما وهي طريقة المحاضرة، والمناظرة، والمناقشة...الخ، من أنجع الطرق التي ساعدت المعلم على طرح أفكاره ومعارفه للمتعلم، وهذه الطرق قد اتفق عليها أغلبية العلماء.

-إن الأساليب التي كانت تستعمل للتعليم،هي في أغلبها أساليب تربوية تحفز على التنشئة الصالحة للصبي مثل أسلوب المواعظ والتوجيهات.

وفي الأخير نتمنى أن يكون هذا البحث قد أضاء السّبيل أمام الباحثين المقبلين على دراسة علوم اللغة العربية ولو بالقليل وأن يفيد كل مطلع عليه، ونتمنى أن يكون فاتحة أمام دراسات أخرى لأن التراث العربي زاخر بكل ما هو مفيد ونافع ، ونرجو من الهيئة المكلفة بتسيير العملية التعليمية الحديثة الاهتمام أكثر بتعاليم الدين الإسلامي عامة و اللغة العربية خاصة لأنهما أساس التراث العربي وثقافته.

قائمة المصادر

و المراجع

قائمة المصادر والمراجع

* القرآن الكريم، برواية ورش عن نافع.

(1) المصادر

1. برهان الإسلام الزرنوجي: تعليم المتعلّم طريق التعلّم، الدّر السودانية للكتب، السّودان، ط1، 2004.
2. أبي الحسن الماوردي: أدب الدّنيا والدّين، تع: محمّد كريم راجع، دار اقرأ، بيروت، لبنان، ط4، 1985.
3. ابن خلدون: المقدّمة، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، (دط)، 2005.
4. ابن سحنون: آداب المعلّمين، تحقيق: حسني عبد الوهاب، مكتبة الفقه المالكي للنشر والتوزيع، ط1، 1972.

(2) المراجع

1. أحمد شلبي: تاريخ التربية الإسلامية، موسوعة النّظم والحضارة الإسلامية، مكتبة النّهضة المصرية، القاهرة، مصر، ط4، 1976م.
2. أمين أبو لاوي: أصول التّربية الإسلاميّة، دار إبن الجوزي، الدمام، ط1، 1419هـ.
3. الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق: درويش جويدي، المكتبة العصريّة، بيروت، لبنان، 2003، الجزء(1-3).
4. ابن جماعة الكناني: تذكرة السّامع والمتعلّم في آداب العالم والمتعلّم، تح: عبد السلام عمر علي، دار الآثار للتوزيع والنشر، القاهرة، مصر، ط1، 2005.
5. ابن جنيّ: الخصائص، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط2، 2003، المجلّد الأول.
6. ابن حاج: المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات، ج02، دار الكتب العلميّة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (دط)، 1995.
7. الحافظ أبي عبد اللّه محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: الكبائر دار ابن حزم للطباعة والنّشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط3، 2001م.
8. أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدّين، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2005م.
9. خالد بن حامد الحازمي: أصول التّربية الإسلاميّة، دار عالم الكتب للنّشر والتّوزيع، المدينة المنورة، ط1، 2000.

10. راشد بن محمد بن كساكر: تاريخ المساجد والأوقاف القديمة في بلد الرياض إلى عام 1373هـ، مكتبة الملك فهد الوطنية للنّشر، الرّياض، السعودية، دط، دت.

11. الزمخشري: الكشاف، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 2009م.

12. ابن سنان الخفاجي: سرّ الفصاحة، دار الكتب العلمية للنّشر والتوزيع، ط1، 1982م

13. سهيلة محسن كاظم القتلاوي: المنهاج التّعليمي، والتدريس الفاعل، دار الشروق للنّشر والتّوزيع، عمتن، الأردن، (دط)، (دت).

14. سيبويه: الكتابج1، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، دط، دت.

15. ابن سينا، السياسة، تحقيق: علي محمد، أبر، بدايات للنّشر والتوزيع، دب، ط1، 2007م.

16. صالح سالم باقارش وعبد اللّه علي: مشاهير الفكر التربوي عبر التاريخ، دار الحارثي للنّشر والتوزيع، الطائف، (دط)، 1986.

17. صالح عبد الرحمان: مدخل إلى التربية الإسلامية وطرق تدريسها، دار الفرقان للنّشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1991.

18. عبد الأمير شمس الدين: الفكر التربوي عند إبن خلدون وإبنالأرزق، دار إقرأ للنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1984م.

19. عبد الرحمن النحلاوي: أصول التربية الإسلاميّة وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط2، 2004.

20. عبد العزيز محمد الحسيني: الحياة العلمية في الدّولة الإسلامية، وكالة المطبوعات للنّشر والتوزيع، الكويت، (دط)، 1973.

21. عبد الغني عبود: دراسة مقارنة لتاريخ التربية، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، (دط)، 1963م.

22. عبد اللّه عبد الدايم: التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين، دار العلم للملايين للنّشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط5، 1984.

23. علي أسعد وطفة: التراث التربوي للحضارة العربية الإسلامية في العصر الوسيط، التربية الإسلامية مند عصر النبوّة حتى نهاية العصر العباسي، مركز الرافدين للدراسات والبحوث والإستراتيجيات، الكويت، دط، دت.

24. عمر فروج: عبقرية العرب في العلم والفلسفة، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط3، 1980.

25. ابن فارس: الصاحبي في فقه اللّغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تعليق: أحمد حسن بسبح، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1997.

26. محسن علي عطيّة: الكافي في أساليب تدريس اللّغة العربية، دار الشروق للنّشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2006م.

27. محمد أحمد العمايرة: بحوث في اللغة والتربية، وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2002.

28. محمد أسعد طلس: التربية والتعليم في الإسلام، مؤسسة هنداوي للنّشر والتوزيع، القاهرة، مصر، (دط)، 2012.

29. محمد عبد الرزاق شفشق: التربية المعاصرة طبيعتها وأبعادها الإنسانية، دار القلم للنّشر والتّوزيع، الكويت، ط1، 1984.

30. محمد منير مرسي: التّربية الإسلاميّة أصولها وتطوّرها في البلاد العربية، دار المعارف، (دب)، (دط)، 1987.

31. محمود عبد اللّطيف: الفكر التربوي عند الكندي، ج4، مطبعة إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2012م.

32. مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب، ج3، دار الكتاب العربي للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2006م.

33. مفتاح يونس الرباصى: المؤسسات التعليميّة في العصر العباسي الأول، الإدارة العامة، للمكتبات والمطبوعات للنّشر والتّوزيع، بنغازي، ليبيا، ط1، 2010.

34. مقري: نفح الطيّب في غصن الأندلس الرطيب، ج1، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، دط، دت.

35. ملكة أبيض: التربية والثقافة العربية الإسلامية في الشام والجزيرة من خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة، دار العلم للملايين للنّشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1980.

36. ـــــــ تاريخ التربية وعلم النفس عند العرب، مطبعة الإنشاء، دمشق، سوريا، دط، 1982.

37. نادية رمضان: اللّغة العربية وأنظمتها بين القدماء والمحدثين، دار وفاء الدّين للطباعة والنّشر، الإسكندرية، مصر، دط ، دت.

38. ناصر البفراتي: مؤسسات العلم والتّعليم في الحضارة الإسلامية، كليّة الآداب والعلوم الإنسانية للنّشر، دار البيضاء، الرّباط، ط1، 2008م.

39. نايف محمود معروف: خصائص العربية وطرائق تدريسها، دارالنفائس للنشر،بيروت، لبنان، ط6، 2008م.

40. أبو هلال العسكري: جمهرة الأمثال، ج1، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش ، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط2، دت.

(3) المعاجم والقواميس

1. إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، ج1، المكتبة الإسلامية للطباعة والنّشر والتوزيع، إسطنبول، تركيا، 1960.

2. الأزهري: تهذيب اللّغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2001.

3. الجوهري: الصحاح تاج اللّغة وصحاح العربية، ج(2،6)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4، 1990.

4. الفيروز ابادي: القاموس المحيط، ج(1،2)، مؤسسة الحلي وشركاه للنّشر والتوزيع، القاهرة، مصر، دط، دت.

5. ابن منظور: لسان العرب، ج(6،7،10،12،13،14)، دار صادر للطباعة والنّشر، بيروت، لبنان، ط4، 2005.

(4) الرسائل الجامعية:

1. أحمد فؤاد باشا: المؤسسات العلمية والتعليمية في عصر الحضارة الإسلامية، مركز الدراسات المعرفية، قاعة رواق المعرفة، 2007/12/11م.

2. جيهان عبد اللّه المحلوت: المقوّمات الشخصية والمهنية للمعلّم في ضوء آراء بعض المربين المسلمين ومدى تمثلها لدى معلمي المرحلة الثانوية بمحافظة غزّة من جهة نظر طلبتهم، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، قسم أصول التربية، كلية التربية، الجامعة الإسلامية، غزّة، فلسطين، 2007.

3. خليل بن عبد اللّه بن عبد الرّحمان الحدري: التربية الوقائية في الإسلام ومدى إستفادة المدرسة الثانوية منها، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أمّ القرى، مكة المكرّمة، السعودية.

4. ربيعة بلحاج: ملامح تعليمية اللّغة العربية عند إبن خلدون – من خلال مقدمته – ،مذكرة لنيل شهادة الماجستير، قسم اللّغة والأدب العربي، كليّة الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، الجزائر، 2008-2009.

5. سليمة برطولي: جهود علماء اللّغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، 2008-2009.

6. سمية بنت محمد فرج الواقي: التعليم في الشام في العصر الأموي، مذكرة لنيل رسالة ماجستير، قسم التربية الإسلاميّة والمقارنة، كليّة لتربية، جامعة أمّ القرى، السعودية، 1428هـ.

7. عاطق سالم أبو نمر: مواصفات المعلم القدوة في ضوء التربية الإسلامية ومدى تمثّلها لدى أعضاء هيئة التدريس في كليات النربية من جهة نظر طلبتهم، درجة الماجستير، قسم أصول التربية، كلية التربية، الجامعة الإسلامية، غزّة، فلسطين، 2007-2008.

8. عبد الرحمان النقيب: مؤسسات التعليم في عصور الإزدهار الإسلامي، أفريل، 2008.

9. عبد الرؤوف أحمد بن عيسى: النموّ المعرفي عند الإمام الماوردي في كتابه أدب الدّنيا والدّين، دراسلت علوم الشريعة والقانون، كلية التربية الإسلامية، جامعة العلوم الإسلامية، الأردن، المجلّد 41، الملحق 1، 2014.

10. عبد اللّه بن خلفات بن عبد اللّه آل عايش الأسمري: أسلوب المناظرة وتطبيقاته في الفكر التربوي الإسلامي، قسم الدورات التدريبية، المعهد العالي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية، (دت).

11. فتيحة حداد: ابن خلدون وآراؤه اللّغوية والتعليمية (دراسة تحليلية نقدية)، مخبر الممارسات اللّغوية في الجزائر، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، 2011.

12. ـــــــــ المفاهيم التعليمية في العصور الإسلامية الأولى -تنظير وتحليل-جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر.

13. يحي علاق: أهمية السماع في اكتساب اللّغة وفي تعلمها قبل التمدرس، مذكرة ماجستير، قسم اللّغة والأدب العربي، كلية الآداب واللّغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة الجزائر، 2010-2011.

(5) الدوريات

1. رشيد بن صديق: التعليم والتعلّم عند الإمام الماوردي: مبادئ تربوية سامية طواها النسيان والإهمال، جريدة المحجبة، العدد 449، 2016.

2. صالح العلي : التعلم الإلزامي في القرآن والسنّة وفقه الأئمة، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية،العدد 2، سوريا، 2006، المجلّد 22.

3. ليلى سهل: واقع العملية التعليمية بين مطرقة القديم وسندان المعاصرة، مجلّة المخبر، أبحاث في اللّغة العربية والأدب الجزائري، العدد 10، 2014.

4. مثنى علوان الجشعمي: التربية والتعليم عند الجاحظ وابن راشد، مجلة الفتح، العدد 31، كلية التربية، جامعة ديالي، (دب)، 2007.

5. مناع آمنة: أقطاب المثلث الديداكتيكي في التراث العربي على ضوء اللّسانيات الحديثة تحديد المصطلح والتعريف بالمفهوم، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 02، جامعة غرداية، الجزائر، 2014.

6. هدى عبد الرزاق هوبي الطائي: أصول التعليم في الإسلام للعصرين الاول والثاني، مجلة مواد الآداب، العدد7 ،معهد إعداد معلمات، العراق، 2011.

(6) المواقع الإلكترونية :

1. wwwpowered By : orangestudio.com
2. www. ar.M.wikipidia.org
3. www.blog-post echo-infpe.blogspot.com
4. www.drmasad.com
5. www.dwanalarab.com/spipg?pog : articlecide – article : 436
6. www.edutrapedia.illaf.net
7. www.edutrapedia.illogspot.com
8. www.insaniyat.revers.org
9. www.Islam web.net.
10. www.Oujdacity.net/national - article -

www.sasnvion.blogspot.com/2014/hello -8– html .11

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

العنوان **الصفحة**

بسملة

دعاء

شكر وعرفان

اهداء

مقدمة ..... أ-ج

مدخل: المسار التاريخي للتعليم عند العرب القدامى..... 4-15

الفصل الأول: عناصر العملية التعليمية عند العرب القدامى..... 16-89

تمهيد 16

المبحث الأول: المعلم..... 17-48

1. التعريف بالمعلّم:..... 17-18

2. صورة المعلم عند العرب القدامى:..... 18-21

3. صورة المعلم في المدونات الأربع..... 22-45

I. شروط المعلم..... 22-34

1. ابن سحنون..... 22-25

2.الماوردي..... 25-29

3. الزرنوجي..... 29-31

4- ابن خلدون..... 34-31

II- صفات المعلم وآدابه:..... 45-34

1-عند ابن سحنون..... 38-34

2 –الماوردي..... 41-38

3-عند الزرنوجي..... 43-41

4-عند ابن خلدون:..... 45-43

مقارنة صورة المعلم ضمن المدونات الأربع..... 48-46

المبحث الثاني: المتعلّم..... 72-49

1تعريف المتعلّم..... 49

2 –صورة المتعلّم عند العرب القدامى:..... 52-50

3-صورة المتعلم في المدونات الأربع..... 70-53

I- شروط المتعلّم:..... 65-53

1-عند الماوردي..... 57-53

2 –عند الزرنوجي..... 62-57

3-ابن خلدون..... 65-62

II –صفات المتعلّم وآدابه:..... 70-65

1-عند"الماوردي":..... 68-65

2-عند الزرنوجي..... 70-68

مقارنة صورة المتعلّم ضمن المدونات الأربع..... 72-70

المبحث الثالث: المادة المعرفية..... 89-73

1تعريف المادة المعرفية..... 74-73

2صورة المادة المعرفية عند العرب القدامى..... 76-74

-صورة المادة المعرفية في المدوناتالأربع..... 87-76

1عند ابن سحنون..... 77-76

2 الماوردي 78-77

3 الزرنوجي..... 81-79

4 ابن خلدون..... 87-81

مقارنة المادة المعرفية ضمن المدوّنات الأربع..... 89-88

الفصل الثاني: المؤسسات التعليمية والطرق والأساليب المعتمدة في العمليةالتعليمية..... 180-90

تمهيد..... 90

المبحث الأول: المؤسسات التعليمية..... 116-91

1- تعريف المؤسسات التعليمية..... 104-91

2- مكانة المؤسسات التعليمية عند العرب القدامى..... 106-104

3- مكانة المؤسسات التعليمية في المدونات الأربع..... 113-106

I - ابن سحنون..... 110-106

II – ابن خلدون 113-110

مقارنة بين المؤسسات التعليمية ضمن المدونات الأربع..... 116-114

المبحث الثاني: طرق التعليم..... 155-116

1- تعريف طرق التعليم..... 132-116

2-أهمية طرق التعليم عند العرب القدامى..... 135-132

3- مكانة طرق التعليم في المدونات الأربع..... 153-135

1-ابن سحنون..... 137-135

2-الماوردي..... 142-137

3-الزرنوجي..... 146-142

4- ابن خلدون..... 153-146

مقارنة بين طرق التعليم: ضمن المدونات الأربع..... 155-154

المبحث الثالث: الأساليب التعليمية عند العرب القدامى..... 180-155

1- تعريف الأساليب التعليمية..... 168-155

2- مكانة أساليب التعليم عند علماء العرب القدامى..... 171-168

3- مكانة الأساليب التعليمية في المدونات الأربع..... 178-172

1 – عند ابن سحنون..... 173-172

2- عند الماوردي..... 177-173

3- ابن خلدون..... 178-177

مقارنة بين أساليب التعليم ضمن المدونات الأربع..... 180-179

خاتمة..... 183-181

قائمة المصادر والمراجع..... 189-184

فهرس الموضوعات..... 193 -190